الشيخ عبد الخالق الشريف

الأربعون الشريفية

في الظلم وعاقبة الظالمين

من الصحيحين

الطبعة الأولى ٢٠٢٠م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

من أراد طبعة للتوزيع المجاني فله ذلك

أكاديمية الشريف العلمية

www.alsharifas.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حرَّم على نفسه الظلم، وجعله بين عباده محرَّمًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي جاء بشريعة العدل والإحسان والرحمة، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فما رأيتُ أَهْلَكَ للحياة الإنسانية من الظلم والجهل؛ حيث إن الظلم يجعل الإنسانية في قهر، وينشر فيها الفساد والإفساد، ويعم بسببه النِّفاق والرِّياء، وانعدام الأمان في نفس الإنسان، وجميع دوائر العلاقاتَ في كل مجالاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فلا وجود حقيقي لمجتمع انتشر فيه الظلم.

وقد ذكر الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين: أن صلاح الدنيا يقوم على ستة أشياء: دين متبع، وسلطان قاهر، وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دائم، وأمل فسيح، والناظر لهذا كله يرى أن الدين يمنع الظلم، والسلطان القاهر يحول دون الظلم وعنده يأخذ كل ذي حق حقه، والعدل الشامل هو أساس العدل الذي هو نقيض الظلم، وفي ظل الأمن العام والخصب الدائم والأمل الفسيح يقل الظلم وينزوي.

والإسلام إذْ حَرَّم الظلم؛ إنما ينشد مجتمعا متراحما ودودا، يسود فيه الخير، وتشيع فيه المحبة والألفة، ويعمّ الأمان.

ولذا كان الظلم ظلمات يوم القيامة، وكانت دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، وتوعد الله الظالم أنه يملي له حتى إذا أخذه لم يفلته.

ورَغَّب الإسلام في المسارعة في تحلل الإنسان من المظالم التي اقترفها في حق الناس، كما رغَّب في العفو.

بل إن النبي ﷺ، يؤكد بأسلوب بليغ أن على المجتمع نصرة الظالم؛ فتعجب الحضور، فبين أن منعه من الظلم هو نصرة له على نفسه!!

كما أضاف النبي صلى الله عليه وسلم تعريفًا جديدًا للمفلس، وأن حقيقته هناك في الدار الآخرة، حين يؤخذ من حسناته لمن ظلمهم، فإذا فُرِغ من ذلك أُخِذ من سيئاتهم فطرحت على سيئاته، ثم كُبَّ على وجهه في النار، فالظلم في حقيقته هو ظلم الإنسان لنفسه!!

والظلم أنواع؛ فأقبحه الشرك بالله، ومن الظلم ما هو من الكبائر والموبقات، ومنه ما دون ذلك.

ولقد اشتمل القرآن العظيم على آيات كثيرة تحذر من الظلم وتنذر الظالمين، كما بينت الآيات القرآنية أنواعا من الظلم.

فبينت الآيات أن الحكم بغير شرع الله ظلم، وكتمان الآيات ظلم، والكذب على الله ظلم، ومنع عمارة المساجد ظلم، وتعدي حدود الله ظلم، وأنواعا أخرى.

وقد يظن البعض أن الظلم محصور فيما هو شائع من إيذاء وضرب وقتل ... ونحو هذا؛ ولكن للظلم مظاهر عديدة قد يغفل عنها كثير من الناس، ويبررونها لأنفسهم، مثل عدم العدل بين الأولاد، وعدم العدل بين الزوجات، أو في إقامة الحقوق التي قد تتعارض، كحق الوالدين مع حق الزوجة، والحقوق عند الدعوة للطعام، فقد تُدخِل معك مَن لم يكن مدعوًّا دون إذن، وهذا ظلم أو غصب، أو تأكل بأسلوب يحيف على من يشاركك.

ومن أقبح أنواع الظلم؛ هذا الذي يقترفه بعض الحكام من سجن واعتقالات وتعذيب للأبرياء، بل وسَنِّ قوانين تضفي على مظالمهم صبغة قانونية.

وينتشي الظالم وجنوده حتى تصير آهات المسجونين نغمات يَسعَدُون بسماعها، وتتعاظم دنياهم أمام أعينهم، ويوم القيامة ليس لهم إلا الندم، ولكن ما جدوى ذلك؟!

وإن نسيت لا يمكن لي أن أنسى دخول أمي- رحمة الله عليها- محمولة على كتفي أحد الشباب الآتي لزيارة أخيه، وكان عمرها قد تجاوز الثمانين، وصاحبة أمراض مختلفة، ومسافة السير من الباب الخارجي إلى بوابة السجن ثلاثة كيلو مترات، ولك أن تتصور حالتك النفسية وأمك محمولة تأتي لزيارتك، وفي نفس الوقت كان أبي الذي دنا من التسعين لا يقوى على السير لا بالعصا ولا بغيرها، لقد كدت أقول لهم

ارحموا أنفسكم من الحضور، وكيف يمكن أن أنطق بها وكيف لي أن أجرحهم؟!!

أما ظلم هذه الأيام ففي الكثير من الأحيان قد صار أشبه بمحاكم التفتيش الأوربية، أو ما يتم مع أهلنا في بورما أو تركستان الشرقية، من أمور يندى لها جبين الإنسانية، وتكشف عن الأسلوب الاستحماري الذي يعيش به الظلمة.

حدثني أستاذ جليل كنا نتذاكر الأيام ونتكلم على نعمة الجَلَد، فأخبرني أنهم حين اقتلعوا الأظافر، تصبح الأصابع مثل كيس به سوائل، لا تستطيع أن تلمس بها شيئًا، أو تضعها على شيء، ومن قرأ كتاب "أيام من حياتي" للأستاذة زينب الغزالي رحمها الله يري العجب العجاب.

بل من عجائب الأمور أنه في عهد السادات، وبعد العفو عن الإخوان المسلمين رُفعت قضايا بطلب التعويض، وكان أحد المظلومين رفع قضية، وطلب فضيلة الأستاذ مصطفى مشهور ; شاهدًا على التعذيب، فلما حضر فضيلته إلى المحكمة طلب المستشار منه أن يقول: "والله العظيم أقول الحق"، فقال الأستاذ مصطفى: (والله العظيم أقول الحق)، ولكن لن أستطيع أن أقول الحق!! فتعجب المستشار من ذلك، فقال الحاج مصطفى: سأقول لك إنه ضُرِب ٤٠ أو ٥٠ كُرباجًا أو أكثر.. هذه كلمات سريعة تثبتَ لحضرتكم أنه قد ضُرب ظلمًا؛ لكن هل حقيقة هذه الكلمات تعبر عن الألم الذي نزل به، والدماء التي سالت، والجلود التي قطعت، والآهات التي صعدت إلى خالقها،

وكم مِنْ أيام لا يستطيع فيها النوم وكم وكم!! ... فأنا أقول الحق لفظًا، ولكن غاب عن القول دقة البيان بالإحساس.

وقد عايشت الظلم سنوات وعدة مرات، بل ما زلت أعيشه أنا وأهلي وأحبابي، وليس من سبب إلا أننا أردنا العزة لأمتنا، وأردنا الحق أن يسود، وأن العدل يقام وفق شرع الله.

لذا أردت أن أسير على درب الصالحين، باختيار أربعين حديثًا [١] في الظلم وعاقبة الظالمين، من صحيحي الإمام البخاري والإمام مسلم، ولما كان الإمام البخاري، قد جَمَع مع تقدمه في علم الحديث، دقتهِ في اختيار عناوين الأبواب للأحاديث التي اختارها، فهو بحقٍ مُحَدِّثٌ فقيهٌ، وفي أسرار ترتيبه الأبواب في الكتاب الواحد فقهٌ آخر.

منهجي في البحث:

١- جَمعتُ كل أحاديث الكتاب من صحيحي البخاري ومسلم، وأكثر ما أوْرَدْتُ مُتَّفَقٌ عليه، وفي شرح الأحاديث أوردت أكثر من ثمانين حديثًا متفقًا عليها، أو انفرد بها أحدهما، وكذلك قرابة أربعة وأربعين حديثًا من غيرهما، أكثرها من سنن الترمذي وأبي داوود ومسند الإمام أحمد، وهي:

---

(١) مع الإقرار بأن الأحاديث التي وردت في فضل أربعين حديثًا كلها ضعيفة أو شديدة الضعف، لكن العلماء عملوا بذلك منذ القديم، ومثال ذلك: "الأربعون النووية"، وهناك من اختار أربعين حديثًا في الجهاد، وفي أصول الدين وغيرها. راجع في ذلك مقدمة الهداية الربانية شرح الأربعين النووية للمؤلف، الجزء الأول: "الأعمال بالنيات".

إما حسن صحيح، أو حسن، أو رجاله رجال الصحيح، وليس فيه ضعيف يقبل الجبر إلا قليل جدًّا.

٢- بدأت بالحديث الذي بدأ به الإمام البخاري في كتاب المظالم والغصب، ولكني جعلت له عنوانًا آخر، حيث عنون له الإمام البخاري: "باب قِصاص المظالم"، وما رأيت أن يكون العنوان أوضح في المقصد فجعلته: "باب حبس المؤمن على قنطرة بين الجنة والنار، حتى تُقضَى المظالم"، ولعل في هذا العنوان زَجْرًا.

٣- أتيت بعده بحديث الإمام مسلم عن القصاص من البهائم، كأني أريد القول: إذا كانت البهائم غير المكلفة يُقتص لبعضها من بعض، فكيف بالمكلّف؟!

٤- غيرت عناوين بعض أبواب البخاري؛ وذلك لتغيُّر الزمان، والحاجة لإفادات يشملها الحديث، مثل: حديث كسر السيدة عائشة للإناء، الذي أرسلته إحدى زوجات النبي ﷺ وفيه طعام، فقد عنون البخاري: "باب إذا كَسَر قصعةً أو شيئًا لغيره"، وقد جعلته: "باب استيفاء الحق، ولو كان من أحب الناس إليك".

٥- أوردت أحاديث من البخاري ومسلم، لم تَرِد في كتاب المظالم والغَصْب عند البخاري، ولا تحت هذا العنوان عند مسلم، مع صريح العبارة بالظلم في الحديث أو وضوح ذلك دلالَةً.

ومن ذلك ما أورده البخاري في "كتاب الزكاة"، ومسلم في "كتاب الإيمان" في حديث معاذ بن جبل حين أرسله ﷺ إلى اليمن، مع أن في الحديث: (واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) فأوردت الحديث تحت عنوان: "تحذير الولاة من الظلم" [الحديث الرابع]، ورواه مسلم في "كتاب المساقاة".
ومن ذلك ما أورده البخاري في "كتاب الحَوَالة"، وفي باب الاستقراض أعني حديث: (مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ) فأورده تحت هذا العنوان: [الحديث العاشر].

وحديث عن أن أكل مال اليتيم ظلم، أورده البخاري في "كتاب الوصايا"، ومسلم في "كتاب الإيمان" [الحديث الثلاثون].

والحديث عن عقوبة مَن غش الرعية، أورده البخاري في "كتاب الأحكام"، ومسلم في "كتاب الإمارة" مع أن غش الرعية من أشد أنواع الظلم [الحديث الثالث والعشرون].

والحديث عن الخلاف بين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مع قول أبي بكر: (وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ)، أورده البخاري في كتاب فضائل الصحابة، وأوردته تحت عنوان: "ما سُمِّي ظلمًا تجاوزًا"، وغضّ الطَّرْف عن أصحاب الفضائل في الأمور الصغيرة [الحديث الرابع والثلاثون].

والحديث الذي يقول فيه العبد متكلما مع الله ﷻ: (ألم تُحرِّمْني من الظلم) أورده الإمام مسلم في "كتاب الزهد" [الحديث الثامن والثلاثون].

٦- هناك أحاديث موضوعها واحد، مع وجود اختلاف في كلمات الحديث، أو زيادة، لكن للأهمية ذكرت الحديثين، مثل الحديثين السابع والثامن؛ وذلك لأهمية الموضوع وهو تعذيب الناس.

٧- بَيّنتُ لماذا يورد البخاري آيات قرآنية، ويجعل لها عنوانًا، ولا يذكر تحت هذا العنوان أحاديث: [الحديث الخامس والعشرون].

٨- تكلمت عن المَصْلحة ببعض النقول عن الإمام العز بن عبد السلام: (الحديث الأربعون).

٩- توسعت كثيرا فيما يستفاد من الحديث، فإن هذا الأمر له أهميته عند شراح الأحاديث، مثل بيان فضل الأمة المحمدية في الحديث: التاسع والثلاثين، والحديث القدسي، رقم: [أربعون]: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي. والأحاديث: الرابع، والثاني والعشرين، والرابع الثلاثين، والسادس والثلاثين.

١٠-عرضت لجميع أنواع الظلم: السياسي والاقتصادي والاجتماعي، داخل الأسرة وفي عموم المجتمع، والظلم الفردي، وحاولت أن يكون الكتاب شاملًا في هذا الأمر.

١١- في الحديث [الخامس عشر] جمعت باقي الأحاديث التي لم ترد في الأحاديث المختارة لهذا الكتاب مما أوردها الإمام البخاري في "كتاب الظلم والغَصْب"؛ وذلك تتميما للفائدة، وربما كان أغلبها مما يكشف عن دقة فَهْم الإمام البخاري لهذه الأحاديث.

١٢- أتيت بأبيات من الشعر في عدة أحاديث، عن الظلم عامة، والإيذاء البدني للمظلومين، وكذلك لليتامى.

١٣- أوردت عددًا من القَصص من حياة الصحابة ومَنْ بَعدَهم، ومِنْ عصرنا عن الظلم وعاقبة الظالمين.

١٤- قمت بفضل من الله بشرح الأحاديث شرحًا متوسطًا، مع تخريج الحديث ومعاني المفردات، ثم ما يستفاد منه، وإذا اشتمل الحديث على معان أخرى زائدة على موضوع الظلم، قمت ببيانها استيفاء لحق الحديث النبوي.

وقد أسميت الكتاب:

الأربعون الشريفة

في الظلم وعاقبة الظالمين

من الصحيحين

وقد أردت من وراء هذا الكتاب التحذير الشديد من الظلم وعاقبته؛ ليفيق الغافل، وتُرَدّ المظالم إلى أهلها، طلَبًا للتلاحم بين المجتمع المسلم؛ بل المجتمع الإنساني.

فما كان من توفيق فمن الله، وإذا كانت الأخرى، فأسأل الله العفو والعافية وقبول التوبة والاستغفار.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه

عبد الخالق الشريف

اسطنبول، في شهر الله المحرم، عام:

١٤٤٢هـ

الحديث الأول

باب: حبس المؤمنين بقنطرة بين الجنة والنار حتى تقضى المظالم

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إذا خَلُصَ المؤمنونَ من النارِ، حُبِسوا بقنطرةٍ بين الجنةِ والنارِ، فيتقاصُّونَ مظالمَ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أُذِنَ لهم بدخول الجنةِ، فو الذي نفسُ محمدٍ بيدِه، لأحدُهم بمسكنِه في الجنةِ أدَلُّ منه بمسكنِه كان في الدنيا).

تخريج الحديث

أخرجه الإمام البخاري في: "كتاب المظالم والغصب: "باب قصاص المظالم"، برقم: (٢٤٤٠)، الفتح: (٥/ ١١٥)، كما أخرجه الإمام البخاري في: "كتاب الرقاق"، "باب القصاص يوم القيامة" برقم: (٦٥٣٥)، الفتح: (١١/ ٤٠٣)[٢].

معنى المفردات

إذا خَلُصَ المؤمنون من النار: أي نَجَوْا منها ومن السقوط فيها.

---

(٢) المرجع في البخاري ومسلم الآتي: -

*فتح الباري بشرح صحيح البخاري الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧٧٣- ٨٥٢ هـ دار الريان للتراث راجعه قصي محب الدين الخطيب رقمّ كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

*صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي ت ٦٧٦هـ المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج مؤسسة الكتب الثقافية بيروت الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

حبسوا بقنطرة: أي منعوا، وأوقفوا على القنطرة، وقيل القنطرة هي طرف الصراط، ويحتمل أنها شيء آخر بين الجنة والنار، وقيل غير ذلك، وهذا غيب لا يُعرَف إلا بالنّصّ.

فيتقاصُّونَ: وفي رواية فيُقَص، وفي أخرى فيَقْتَصُ لبعضهم من بعض. قال ابن الملقن[٣]: **"يتقاصُّونَ:** أي يتتاركون لأنه ليس موضع مقاصة ولا حساب؛ لكن يُلقي الله ﷻ في قلوبهم العفو لبعضهم عن بعض، أو يعوض الله جل جلاله بعضَهم من بعض".

قال ابن حجر: "قال القرطبي[٤]: هؤلاء الذين علم الله ﷻ، أن القِصاص لا يستنفذ حسناتهم، وفي الرواية الثانية، ورد ذكر قوله ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الحجر: ٤٧]، من رواية يزيد بن زريع أحد رواة السند، ووردت الآية تامة عن النبي ﷺ: **﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾** [الحجر: ٤٧].

حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا: بمعني خَلَصُوا من الآثام بمقاصصة بعضها ببعض، وحدث التمييز والتخلص من التبعات. ونُقُّوا من التنقية، وهُذِّبوا: أي خلصوا.

---

(٣) الفيض الجاري بشرح صحيح البخاري: (٤/ ٦٣٧).

(٤) فتح الباري: (١١/ ٤٠٦)، والإمام القرطبي المشار إليه، المحدِّث وليس المفسِّر.

أُذن لهم بدخول الجنة: نسأل الله ﷻ أن نَدخُلَها مع السابقين، وهذا هو الفوز المبين، والأمل العظيم، فضلًا من الله ﷻ رب العالمين.

لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله في الدنيا: قال ابن بطال[٥]: (إنما كان أدل لأنهم عرفوا منازلهم في الجنة بتكثير عرضها عليهم بالغداة والعشي فقد أخبرنا ﷺ: (إن المؤمن إذا كان من أهل الجنة، عُرِض عليه مقعده منها بالغداة والعشي، فيقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله ﷻ يوم القيامة)[٦]، وقال تعالي: ﴿**وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ**﴾ [محمد: ٦].

المعنى الإجمالي

هذا الحديث يشتمل على معنى دقيق وشديد جدا؛ فأما شِدّته فهي في هذا الموقف الذي حَلّ بأهل الإيمان، الذين فرغوا من الحساب وخلصوا من النار، فازداد أملهم بالفوز والرضوان؛ فإذا بهم يُحبَسون على قنطرة بين الجنة والنار، وكأني بهم ينظرون ويتساءلون في أنفسهم، لماذا؟ ماذا بقي؟ وتمر الأحداث وهم يحمدون الله ﷻ أن أخذوا الكتاب باليمين، ونجاهم بفضلِه من

---

(٥) الفيض الجاري: (٤/ ٦٣٨).

(٦) البخاري: "كتاب الجنائز، "باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي": (الفتح: ٣ / ٢٨٦ برقم: ١٣٧٩) والحديث عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: (إن أحَدَكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة).

النار، وتجاوزوا الصراط، ولكنهم الآن قد حُبِسوا على هذه القنطرة لماذا؟ إلى متي؟ ماذا سيكون؟
حقًّا إنه لأمر شديد جدًّا.

والأمر دقيق جدًّا، كما ورد في الحديث عند البخاري: (لا يَحل لأحد من أهل الجنة أن يَدخُل الجنة ولأحَدٍ قِبَلَهُ مظلمة)(٧). فمازال هناك بقية من حقوق، نعم، لم تمنعهم من دخول الجنة، ولكن لابد من العفو فيما بينهم، أو يقتص من بعضهم لبعض؛ لكنها مظالم لا تستغرق حسناتهم، ولعل ورود الآية الكريمة في إحدى الروايات: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الحجر:٤٧]، كاشف عن ذلك. وقيل: الغِلّ: هو الحقد والضَّغينة، حتى تصبح القلوب طاهرة نقية، من أي حقوق أو أمور خفية.

ولم يرد مقدار الحبس على هذه القنطرة، ولكن الحديث يكشف كم أن الظلم لابد من القصاص له وأخذ كل ذي حق حقه.

قال ابن كثير: "عن أبي أُمامة قال: لا يدخل الجنة مؤمنٌ حتى ينزع اللّه ما في صدره من غِلّ، حتى ينزع منه مثل السَّبُع الضّاري، وقال غيره: أخرجنا ما في صدور هؤلاء المُتّقين الذين صُفِّيَت صفتهم من حقد وضغينة بعضهم لبعض، وورد عن عليّ بن أبي طالب، أنه قال: إني لأرجو الله أن أكون أنا وفلان،

(٧) فتح الباري عند شرحه للحديث.

حيث وردت عدة روايات، إحداها قال: الزبير، وفي أخرى: طلحة، وفي أخرى: عثمان وغيرهم، أن أكون أنا وهم ممن قال اللّه فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾".

يقول الشيخ الشعراوي: "وكلمة نَزَعنا تدل على أن تغلغل العمليات الحِقدية في النفوس يكون عميقًا، وأن خَلْعَها في اليوم الآخر يكون خلعا من الجُذور".

قال البغوي: "وأخرجنا ما في صدورهم مِن غشّ وعداوةٍ كانت بينهم في الدنيا، فجعلناهم إخوانًا على سرر متقَابلين، لا يحسد بعضهم بعضًا على شيء من فضل الله".

وقال الألوسي: "﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ أي قلعنا ما في قلوبهم من حقد خَفِي: وعداوة كَانت بمقتضى الطبيعة لأمور جرت بينهم في الدنيا"، ثم يقول: "أخرج ابن جرير عن السُّدِّي قال: إن أهل الجنة إذا سبقوا إلى الجنة فبلَغوها، وجدوا عند بابها شجرةً أصل ساقها عينان، فيشربون من إحداهما، فيُنزَع ما في صدورهم من غِل، فهو الشراب الطَّهور، ويغتسلون من الأخرى، فتُجرى عليهم نضرة النعيم، فلن يشْعَثُوا ولن يَشْحَبوا بعدها أبدًا".

وهذا الكلام بحثت عنه، فلم أجد له سَنَدًا مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ، وهذا من الغيبيات التي لابد لها من دليل من الله أو ممن علّمه الله.

ويأتي الحديث ببشارة مَعْرِفَة أهل الجنة بمنازلهم فيها، وإني أشعر بالمبعوث رحمة للعالمين ﷺ، يطمئن أهل الجنة الذين حبسوا للتنقية، أنهم بإذن الله ﷻ، سيدخلون إلى منازلهم بالجنة بعد هذه التنقية.

ما يستفاد من الحديث

١- عدلُ الله ﷻ.
٢- الجنة لا يدخلها إلا من تَطَهّرَ من كل الحقوق التي عليه.
٣- عاقبة الظلم شديدة، حتى يمنع أهل الجنة من دخول الجنة، إلا بعد قصاص المظالم.
٤- الله ﷻ لا يظلم أحدًا.
٥- الإنسان هو الذي يظلم نفسَه.
٦- إثبات وجود قنطرةٍ بين الجنة والنار.
٧- معرفة المؤمن مسكنه في الجنة.
٨- رحمة النبي ﷺ في بيان معرفة المؤمن مكانه في الجنة، بعد الشدة التي حواها الحديث في أوله.
٩- أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله ﷻ.

الحديث الثاني

باب: القصاص من البهائم

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (لَتُؤَدَّنَّ الحقوقَ إلى أهلِها يومَ القيامةِ، حتى يُقادَ للشاةِ الجَلْحاءِ مِنَ الشاةِ القَرْنَاءِ).

تخريج الحديث

أخرجه الإمام مسلم في "كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم"، رقم: (٦٤٦٣).

معنى المفردات

الحق: الذي لم يُستَوْفَ في الدنيا.

الجَلْحَاء: التي لا قُرون لها.

القَرْناء: ذات القُرون.

المعنى الإجمالي

قال الله تعالي: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير:٥]، وقال تعالي: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [سورة ص:١٩].

ولعل سؤالًا يتبادر: لماذا تُحشر الوحوش، وهي غير مكلّفة، وليس لها جنة ولا نار، وتأتي الإجابة:

أولًا: ليرى الناسُ كمال قدرة الله ﷻ في بعث جميع المخلوقات.

ثانيًا: كمال عدله ﷻ في الاقتصاص للدّوابِّ بعضها من بعض.

قال الإمام النووي في شرح حديث الإمام مسلم: "هذا تصريح بحشر البهائم وإعادتها يوم القيامة كما يُعاد أهل التكليف من الآدميين، وكما يُعاد الأطفال والمجانين، ومن لم تبلغه دعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ**﴾ التكوير:٥، وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع، وجب حمله على ظاهره، قال العلماء: وليس في شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأما القصاص من القرناء للجلحاء، فليس من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة".

(**أقول**) هذا يتم بين البهائم التي لا عقل لها، ولا تكليف عليها، فكيف بالإنسان المُكلَّف، صاحب العقل والتمييز، الذي أرسل الله ﷻ له الرسل، وأنزل الكتب وضاعف له الحسنات، وأعطاه مهلة للتوبة والاستغفار، ورَدِّ المظالم؟!!

عن أبي ذر الغِفاري رضي الله عنه: رأى رسولُ اللهِ ﷺ شاتَين تنتطِحان، فقال: (يا أبا ذر! أتدري فيم تنتطِحان؟ قلتُ: لا، قَال: ولكَنْ ربُّك يدري، وسيقضي بينهما يومَ القيَامةِ)(٨).

ويتبين من هذا كله حرص الإسلام على تحريم أي نوع من الظلم، وقد روى الإمام مسلم عن جابر بن عبدالله: (ما مِن صاحِبِ إبِلٍ، لا يَفعَلُ فيها حَقَّها، إلا جاءَتْ يَومَ القِيامَةِ أكثَرَ ما كانَتْ قَطُّ، وقَعَدَ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ تَستَنُّ عليه بقَوائِمِها،

(٨) مجمع الزوائد: (١٠/ ٣٥٥)، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وفيها راوٍ لم يُسَمّ، والحديث حسن بطرقه.

وأَخْفافِها، ولا صاحِبِ بَقَرٍ، لا يَفْعَلُ فيها حَقَّها، إلا جاءَتْ يَومَ القِيامَةِ أَكْثَرَ ما كانَتْ، وقَعَدَ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِها، وتَطَؤُهُ بقَوائِمِها، ولا صاحِبِ غَنَمٍ، لا يَفْعَلُ فيها حَقَّها، إلا جاءَتْ يَومَ القِيامَةِ أَكْثَرَ ما كانَتْ، وقَعَدَ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ تَنْطَحُهُ بقُرُونِها وتَطَؤُهُ بأَظْلافِها، ليسَ فيها جَمّاءُ ولا مُنْكَسِرٌ قَرْنُها، ولا صاحِبِ كَنْزٍ لا يَفْعَلُ فيه حَقَّهُ، إلا جاءَ كَنْزُهُ يَومَ القِيامَةِ شُجاعًا أَقْرَعَ، يَتْبَعُهُ فاتِحًا فاهُ، فإذا أتاهُ فَرَّ منه، فيُنادِيهِ: خُذْ كَنْزَكَ الذي خَبَأْتَهُ، فأنا عنْه غَنِيٌّ، فإذا رَأى أنْ لا بُدَّ منه، سَلَكَ يَدَهُ في فِيهِ، فَيَقْضَمُها قَضْمَ الفَحْلِ. قالَ أبو الزُّبَيْرِ: سَمِعْتُ عُبَيْدَ بنَ عُمَيْرٍ يقولُ: هذا القَوْلَ: ثُمَّ سَأَلْنا جابِرَ بنَ عبدِ اللهِ عن ذلك فقالَ مِثْلَ قَوْلِ عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ. وقالَ أبو الزُّبَيْرِ: سَمِعْتُ عُبَيْدَ بنَ عُمَيْرٍ يقولُ: قَالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللهِ، ما حَقُّ الإبِلِ؟ قالَ: حَلَبُها على الماءِ، وإعارَةُ دَلْوِها، وإعارَةُ فَحْلِها، ومَنِيحَتُها وحَمْلٌ عليها في سَبيلِ اللَّهِ(٩).

قال الإمام النووي: قال القاضي: قال المازري: يحتمل أن يكون هذا الحق في موضع تنفع فيه المواساة.

وفي صحيح مسلم، "كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها"، فإذا كان الأمر كذلك، فكيف ترى أحوال الإنسان؟ ففي صحيح الإمام مسلم، "باب النهي عن لعن الدواب": (٨/ ٢٤٩) برقم: (٦٤٨٧)، عن عمران بن حصين قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار

(٩) صحيح مسلم: "كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة": (٢١٦٢، ٢١٦٣).

على ناقة، فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسولُ الله ﷺ فقال: (خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة)، قال عمران: وكأني أراها الآن تمشي بين الناس ما يعرض لها أحد!

وفي: (٩/ ٤٩)، برقم: (٦٨٦٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (دخلت امرأة النار في هِرّةٍ ربطتها، فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت هزلًا).

بل نجد درجات عالية لمن كان في قلبه رفق بالحيوان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قَالَ: بَيْنا رَجُلٌ بطَريق اشْتَدَّ علَيْهِ الْعَطشُ، فَوجد بِئرًا فَنزَلَ فِيهَا فَشَربَ، ثُمَّ خَرَجَ فإذا كَلْبٌ يلهثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ العطش مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَملأَ خُفَّه مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَه بِفيهِ، حتَّى رقِيَ فَسَقى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَه فَغَفَرَ لَه. قَالُوا: يَا رسولَ اللَّه. إِنَّ لَنَا في الْبَهَائِم أَجْرًا؟ فَقَالَ: (في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبةٍ أَجْرٌ)(١٠).

ولعل ورود هذا الحديث في كتاب المظالم لبيان، أن المياه العامة يمكن استخدامها، شريطة عدم إيذاء أحد، وهذا الحديث عظيم الشأن، لبيان رحمة الله بخلقه.

---

(١٠) خرج هذا الحديث الإمام البخاري في: "كتاب المظالم، باب الآبار التي على الطريق، إذا لم يتأذ بها"، الفتح: (٥/ ١٣٥)، برقم: (٢٤٦٦)، وخرجه الإمام مسلم في: "كتاب قتل الحيات وغيرها، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها": (٧ / ٣١٧) برقم: (٥٧٣١).

وقول النبي ﷺ (فشكر الله له فغفر له): يدل على أن الرحمة هي أساس هذا التشريع، وأن الراحمين يرحمهم الرحمن، فارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

وفي هذا الحديث ملمح آخر هو سبب إيراده في كتاب المظالم، وهو بيان أن الظلم والظالمين ضد حقيقة هذا التشريع السمح، من سقى كلبًا شكره الله وغفر له، فكيف بمن لا يعالجون المرضى في السجون، ولو على حسابهم، وكيف بمن يعذبونهم، ولا يطعمونهم؟! وكيف... وكيف؟!!

ما يستفاد من الحديث

١. الحقوق سيتم القصاص فيها، ولو بين البهائم.
٢. يجب المسارعة بالاعتذار عن سوء السلوك مع الآخرين.
٣. عدم استخدام ما أعطانا الله ﷻ من نعم الصحة والمال والجاه في إيذاء الآخرين.
٤. الله ﷻ حَكَمٌ عدل لا يظلم.
٥. الله ﷻ سيحشُر الدوابّ للقِصاص بعضها من بعض.
٦. من له حق إذا لم يستوفِهِ في الدنيا استوفاه في الآخرة.
٧. أن مانع الزكاة سيكون ماله عقابا عليه يوم القيامة.
٨. من سقى ذوات الكبد فأجره كبير.
٩. الله برحمته يغفر الذنوب جميعًا.

١٠. الإسلام دين الرحمة.

الحديث الثالث

باب: التحذير من الظلم وأنه ظلمات يوم القيامة

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال رسول الله ﷺ: (اتَّقوا الظُّلمَ، فإنَّ الظُّلمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ، واتَّقوا الشُّحَّ، فإنَّ الشُّحَّ أهلك مَن كان قبلَكم، وحملَهم على أن سفكوا دماءَهم واستحلُّوا محارمَهم).

تخريج الحديث

أخرجه مسلم في، "كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم" رقم: (٦٤٥٩)، وأخرجه البخاري عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (الظُّلم ظُلُمات يوم القيامة)، الفتح (٥/ ١٢٠)، برقم: (٢٤٤٧).

معاني المفردات

الظلم: لغة التصرف فيما لا يملك التصرف فيه، وأصل الظلم تجاوز الحد، والجور.

واصطلاحا: التّصَرُّف في حق الغَيْرِ بغير حَق، أو مجاوزةُ الحق، وقيل: الظلم وضع الشيء في غير موضِعِهِ، وفي الشريعة: عبارة عن مجاوزة الحق إلى الباطل، وقال الراغب: "الظلم هو الانحراف عن العدل"، وقيل: الظلم هو الخروج عن الاعتدال في جميع الأمور.

الشح: هو الطمع فيما ليس عندك، وهو أشد من البخل؛ لأن البخل يؤدي بالإنسان إلى منع ما عنده، أما الشح فيؤدي بالإنسان إلى الطمع فيما عند الناس.

سفكوا دماءهم: قتل بعضهم بعضا.

استحلوا محارِمَهم: استحلوا ما حرم الله ﷻ عليهم.

اتقوا: من الوقاية وهي الحماية، يقال: اتقِ شر فلان؛ أي تجنب شره، ويقال: الوقاية خير من العلاج؛ أي سعي الإنسان لحماية نفسه من المرض خير من أن يمرض ثم يُعالَج.

وإذا أضيف المعنى إلى الله، كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فالمراد أن العبد يتقي غضب وسخط الله ﷻ، والله ﷻ هو المستحق للتقوى والمهابة، وشرعًا هي ما ينبغي للإنسان أن يقوم به حماية لنفسه من غضب الله ﷻ عليه، وقيل: هي امتثال أوامر الله ﷻ واجتناب نواهيه، وتظهر أهميتها في قوله تعالى: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾ [البقرة: ١٩٧].

المعنى الإجمالي

في هذا الحديث يخاطب النبي ﷺ أهل هذه الملة الحنيفية، أن يكونوا في حذر من الظلم، وأن يبتعدوا عنه تمامًا بأن يحذروا من تبعاته، وأن يتخذوا الوقاية من الظلم بترك كل ما يؤدي إليه، ولو كان شيئًا قليلًا، كما يتخذ الجُندي الدرع ليقي نفسه من سهام العدو.

إن الظالم مهما فعل بالمظلوم، فإن لظلمه نهاية بموت الظالم، أو موت المظلوم، أو زوال الظلم، ولكن مَنْ للظالم يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء: ٨٩: ٨٨].

يوم لا درهم ولا دينار؛ إنما الحسنات والسيئات، قال الله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا**﴾ [الفرقان: ٢٧]، وقد وقف هذا الظالم أمام الحق، وكل مَظلوم يطالبه بحق مِنْ مال أو دم أو عرض أو كلمة رماه بها، مَن للظالم يحميه في هذا المشهد العظيم، أين ماله؟ أين سلطانه؟ أين فصاحته؟ أين جاهه؟ أين...؟ أين...؟

كل شيء ذهب والخلق يسألون الله القصاص من هذا الظالم، رئيسًا كان أو قاضيًا، أو ضابطًا، أو موظفًا، أو عاملًا أو زوجًا، أو زوجةً، أو... الجميع يقف بين يدي الله جل جلاله ذكرًا كان أم أنثي.

في الدُّنيا المظلوم لم يكن صاحب حُجّةٍ، أو قدرة على البيان، في الدنيا المظلوم كان أسيرًا، والقاضي كان شريكًا في الظلم، وأعوان الظالم تبلّدت عندهم الأحاسيس، أصبحت آهات المسجونين كأنها نغمات يتلذذون بها، وأصبحت أوجاع المظلومين كأنها أنوار عرس يعيشونه، طباع الظلمة وأعوانهم طباع بهيمية فاقدة للإحساس، شعور متبلِّد، قسوة القلب هي صفاتهم، وإيذاء الآخرين هو شعارهم يأكلون الحرام، ويتلذذون

بصرخات وشكايات الخَلق، ينظرون لغيرهم نظرة دونية، ويبتسمون كلما علت صرخات المظلومين؛ لكن اليوم وقد طويت صفحة الحياة الدنيا، اليوم حال إنكارهم، ستنطق جوارحُهم وتشهد الأرض والملائكة على ما كان منهم. اليوم حتى الشيطان يتبرأ من أفعالهم، ويقول: ﴿**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ**﴾ [إبراهيم: ٢٢]، ذهبَت كل الشهوات وذهبت لذّاتُها الكاذِبة، ونَشواتها الفاسدة، وتبرأ كل فرد من أتباعه قال الله تعالى: ﴿**وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا**﴾ [طه:١٠٨]، وقال الله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وكأني بهذا الظالم صاغر أمام المظلومين يوم القيامة، يرجو منهم العفو، وهم يطلبون من الله حقَّهم.

يقول سفيان الثوري: "لأن تلقى الله ﷻ بسبعين ذنبًا بينك وبينه، أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد بينك وبين العباد، وقد ورد في التنزيل: ﴿**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [الشورى: ٤٢]. قال الشافعي: "بئس الزاد إلى المعاد، العدوان على العباد". وقد قيل: "المظلوم لا يهدأ والظالم لن يهنأ".

قال أبو العتاهية:

أَمــا وَاللَهِ إِنَّ الظُــلــمَ لُؤمٌ ... وَما زالَ المُسيءُ هُوَ الظَلومُ

إِلى دَيّانِ يَومِ الدينِ نَمضي ... وَعِــندَ اللَهِ تَجتَمِعُ الخُصومُ

وقال آخر:

تَوَقّ دعا المظلوم إن دعـــاءه ليرفع فوق السحب ثم يجاب
توق دعا من ليس بين دعائه وبين إله العـــــالمين حجاب

وقال آخر:

يأيُّها الظَّـــالمُ في فعـــلِه فالظُّلمُ مردودٌ على من ظلمْ
إلى متى أنت وحتَّى مـــتى تسلو المصيباتِ وتنسى النّقمْ

وقال ابن القيم:

وكذا دعا المضطر أيضًا صـاعد أبداً إليه عند كل أوان
وكذا دعا المظلوم أيـــضًا صـاعد حقا إلـيه قاطع الأكوان

وقال عليّ رضي الله عنه:

أدِّ الأمانةَ والخـــيانةَ فاجتـنبْ واعدلْ ولا تظلمْ يطيبُ المكسبُ
واحذرْ مِن المظلومِ سهمًا صائبًا واعلمْ بأنَّ دعاءَه لا يُحـــــجبُ

إن الظلم يهدر كرامة الإنسان، وحريته، ويجعل هذا الذي كرمه الله جل جلاله كئيبًا حزينًا مقهورًا، وبالظلم ينتشر النِّفاق والفساد في المجتمع، وتفسد العلاقات التجارية والأسرية، وتهدر الأموال والأعراض والدماء، ولا يجد المجتمع الأمان، وفي هذا الحديث وعيد للظالمين، بأن ظلمهم سيكون ظلمات عليهم في هذا اليوم العصيب قال الله تعالى: **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلا عَمَّا**

يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم:٤٢]. ويقول تعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾** [الأعراف: ١٨٢].

لا تظلمن إذا كنت مقتدرًا فالظلم ترجع عقباه إلى النَّدم

تنام عيناك والمظلوم منتـبه يدعو عليك، وعين الله لم تنم

قال رسول الله ﷺ: (ما مِن ذنبٍ أحرى أنْ يُعجِّلَ اللهُ لصاحبِه العقوبةَ في الدُّنيا، مع ما يدَّخِرُ له في الآخرةِ، مِن قطيعةِ الرَّحِمِ والبَغيِ)(١١).

والبغي ضرْب من الظلم، وقد ورد عن رسول الله ﷺ: (المسلمُ مَن سَلِمَ المسلمون مِن لسانِه ويدِه)(١٢)، وفي حجة الوداع بيّن النبي ﷺ حرمة الدماء والأموال والأعراض، وجعلها حرمات ثلاث، كحرمة البلد واليوم والشهر، بل إن النبي ﷺ كان ينهى عما قد يؤدي إلى الظلم، كمن جاء يطلب النصيحة، فقال له

(١١) أبو داوود في: "الأدب، باب في النهي عن البغي": (٤٩٠٢)، والترمذي في: "صفة القيامة، باب ٥٨"، برقم: (٢٥١٣)، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح. قال مُخَرج جامع الأصول: وإسناده صحيح.

(١٢) أخرجه البخاري: "كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"، برقم: (١٠)، وخرجه مسلم: "كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أعظم".

الرسول ﷺ: (لا تَغْضَبْ)[١٣]. فإن الغضب غالبا يؤدي إلى الظلم.

إن الظلم مرض نفسي، يسيطر على الظالم، يفقده الإحساس، ويفسد منه كل صفات الخير، ينمي فيه الأنانية والقسوة وحب الشر، وسوف نعرض في هذا الكتاب إلى بعض صور الظلم.

وتأتي النصيحة الثانية التي اشتمل عليها هذا الحديث: (وإياكم والشح) والشح بمنزلة المنع، والبخل فرع منه، وكان النبي ﷺ يستعيذ من البخل.

والشح مرض اجتماعي فتاك، وهو مخالف تماما لما يهدف إليه الإسلام، من إيجاد مجتمع متكافل ومتراحم ومتعاون على الخير، مجتمع يقوم على البر والتقوى، فيه يتراحم الغني والفقير، والقوي والضعيف، والكبير والصغير، فيأتي الشحُّ فيُغيّر حقيقة المجتمع الذي رغَّب فيه الإسلام، إلى مجتمع تُسفك فيه الدماء، وترتكب فيه المحرمات، ولقد مدح الإسلام من كان بعيدا عن الشح، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: ٩]، وقال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾ [الليل: ٨- ١٠].

قال الإمام الشافعي:

---

(١٣) أخرجه البخاري: "كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب": (١٠/ ٥٣٥)، برقم: (٦١١٦).

وَإن كَثُرَت عُيوبُكَ في البَرايا وسَرَّكَ أَن يَكونَ لَها غِطَاءُ

تَسَتَّر بِالسَخاءِ فَكُلُّ عَيبٍ يُغَطّيهِ كَما قيلَ السَخاءُ

والسخاء ضد الشح والبخل، فمن اتصف به ستر الكثير من عيوبه.

ما يستفاد من الحديث

١- تحريم الظلم.
٢- أن الظلم سيكون ظلمات يوم القيامة.
٣- أن الظلم ولو معنويًّا سيكون لصاحبه ظلمات.
٤- أن الله جل جلاله لا يُظلم عنده أحد.
٥- أن المظلوم سيأخذ حقه يوم القيامة.
٦- عين الظالم تنام، وعين الله ﷻ لا تنام.
٧- أن عاقبة الظلم وخيمة يوم القيامة.
٨- التحذير من الشح.
٩- الشح يؤدي إلى سفك الدماء وارتكاب المحرمات.
١٠- الأصل أن المجتمع المسلم مجتمع تراحم وبر.
١١- أهمية تربية المجتمع على البعد عنِ الظلم والشح.
١٢- أهمية أن يجعل الفردُ المسلمُ وقاية بينه وبين الظلم.
١٣- شمول الإسلام لكل التشريعات الحامية للمجتمع من كل شر.

الحديث الرابع

باب: تحذير الولاة من الظلم

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعثني رسول الله ﷺ، فقال: (إنك تأتي قومًا أهل كتابٍ، فادعُهم إلى شهادةِ أن لا إله إلا اللهُ وأني رسولُ اللهِ، فإن هم أطاعوك لذلك، فأَعْلِمْهم أنَّ اللهَ افترض عليهم خمسَ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، فإن هم أطاعوك لذلك، فأَعْلِمْهم أنَّ اللهَ افترض عليهم صدقةً في أموالهم، تُؤخذُ من أغنيائِهم وتردُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائمَ أموالِهم واتّقِ دعوةَ المظلومِ، فإنها ليس بينها وبين اللهِ حجابٌ).

تخريج الحديث

أخرجه البخاري في: "كتاب الزكاة، باب لا يؤخذ كرائم الأموال في الصدقة"، الفتح: (٣/ ٣٧٧)، برقم: (١٤٥٨)، وخرجه مسلم في: "كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشريعة الإسلام": (١/ ١١٢)، برقم: (٢٩).

معاني المفردات

أهل الكتاب: هم اليهود والنصارى، وأساس ذلك أنهم كانت لهم كتب أنزلت على أنبيائهم، التوراة على سيدنا موسى عليه السلام، والإنجيل على سيدنا عيسى عليه السلام، ولكنها حُرِّفَت وزُيِّفَت، واشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا، وحَرّفوا الكَلِمَ عن

مواضعه، ومن العلماء من يلحق بهم المجوس والصّابئة لعل المقصود من الإلحاق هو في أخذ الجزية منهم (١٤).

شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ: هي كلمة التوحيد وأساس دخول المَرْء في الإسلام، وهي حق الله تعالى على العباد، وما من نبي بُعث إلا نادى في قومه: ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف: ٧٣، ٦٥، ٥٩].

كرائم أموالهم: الكرائم جمع كريمة، وهي جامعة الكمال الممكن في حقها من غزارة لبن، وجمال صورة، أو كثرة لحم أو صوف، أقول: أو الفَحْل؛ لأنه نادر في القطيع.

ليس بينها وبين الله حجاب: أي أنها مسموعة لا ترد.

المعنى الإجمالي

هذا الحديث هام جدًا، لأنه تذكرة للوُلاة، وقد أخرج الإمام البخاري الحديث في سبعة مواضع من الصحيح، منها في "كتاب المظالم، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم"، وخرج الحديث مختصرا، على أن النبي ﷺ أرسل معاذا إلى اليمن، فقال: (اتَّقِ دعوةَ المظلومِ فإنَّه ليس بيْنَ اللهِ وبينَه حجابٌ) ولكن أخرجه كاملًا في مواضع أخرى، وأخرج الحديث بتمامه الإمام مسلم

(١٤) البخاري رقم: (٦/ ٢٩٧)، "كتاب الجزية والموادَعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب"، برقم: (٣٥١٦، ٣٥١٧)، وحديث: (سنوا بهم سنة أهل الكتاب) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: (١/ ٢٧٨) في: "كتاب الزكاة، باب جزية أهل الكتاب والمجوس" قال محقق جامع الأصول: رجاله ثقات ولكنه منقطع.

في: "كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام".

إن الوُلاة مظنة الوقوع في الظُّلم، حيث السلطة، وإذا ظَلَم الوالي أفسد الرّعيّة، فإن غيره إذا ظلم رجعوا إليه؛ أما هو إذا ظَلَم فإلى مَنْ مِن الخَلْق يذهبون، وبظُلم الوالي تَظْلم بطانتُه وعُمّاله وأتباعه، وضاعت الحقوق في الدولة، وانتشر فيها الفساد، وهنا لم نجد النبي ﷺ ينهى عن الظلم فقط، بل أعطى تحذيرًا شديدًا، من دعوة المظلوم، وبَيّن أنه ليس بينها وبين الله حجاب، وفي قوله ﷺ: (اتق دعوة المظلوم) لم يفرق بين كَونِه مسلمًا، أو غير مسلم، قال الشيخ عبدالفتاح أبو غدة في شرحه لقول الإمام المحاسبي: (وإياك ودعوة المظلوم)، قال: وذلك أنها دعوة مستجابة، ولو كانت من عاصٍ فاجر، أو مشرك كافر. ثم أورد حديث الإمام أحمد، وأبي يعلَى، والضياء المقدسي في المختارة بلفظ: (اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)[١٥]، أي هي مستجابة، ليس هناك مانع يمنع قَبولَها من الله تعالى، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجرًا، ففجوره على نفسه)[١٦]، وقد أورد الإمام البخاري قصة لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وكان واليًا على الكُوفة، فأقام فيهم بالحق، ولكنهم شكوه

(١٥) مجمع الزوائد: (١٠/ ١٥٥).

(١٦) مجمع الزوائد: (١٠/ ١٥٤)، رواه أحمد، والبزار بنحوه، وإسناده حسن.

لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت شِكاية كاذبة، فدعا سعد على هذا الرجل، فاستجاب الله له.

فعن جابر بن سمرة قال: «شكا أهل الكوفة سعدا إلى عمر رضي الله عنه فعزله، واستعمل عليهم عَمّارا، فشكَوا، حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي! فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي. قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء فأركُد في الأوليين، وأخف في الأخريين. قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق. فأرسل معه رجلًا– أو رجالًا– إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يَدَع مسجدًا إلا سأل عنه، ويُثْنُون معروفًا، حتى دخل مسجدًا لبني عَبْس، فقام رجل منهم، يقال له: أسامة بن قتادة، يُكَنّى: أبا سعدة، قال: أما إذ نَشَدْتَنَا، فإن سعدا كان لا يسير بالسّرية، ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدْعُوَنّ بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياءً وسُمعةً، فأطِلْ عُمُره، وأطِل فقره، وعرّضه بالفتن. وكان بعدُ إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابَتني دعوة سعد. قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكِبَر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن"(١٧).

(١٧) البخاري: "كتاب الآذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت": (٧٥٥).

وكذلك أورد الشيخ/ عبد الفتاح أبو غدة قصتين في استجابة دعاء مظلوم، نُوردها للعظة والعبرة: "ومن عجيب ما يذكر في هذا المقام: ما وقع للوزير (يحيى بن خالد البرمكي) الجواد المشهور، الذي يُضرَب المثل به في سعة الجود والكرم، قال الخطيب في "تاريخ بغداد": (١٤/ ١٢٨)، (١٣٢) في ترجمته ;: "كان الخليفة العباسي المهدي، قد ضمّ ابنه هارون الرشيد، إلى يحيى بن خالد، وجعله في حِجْره، فربَّاه يحيى، وأرضعته امرأته مع ابنه الفضل، وصار الرشيدُ ابنَ يحيى من الرّضاعة، فلما استُخْلِف الرشيد، عَرَفَ ليحيى حَقَّه، وولّاه الوزارة، وكان يُعظِّمه، وإذا ذَكَرَهُ قال: أبي، وجعل إصدار الأمور وإيرادَها إليه، إلى أن نَكَبَ هارون الرشيد البرامِكة، فغضب على يحيى بن خالد البرمكي، وخلّده في الحبس إلى أن مات فيه سنة: (١٩٠) هجرية، وقَتَل ابنَه جعفرًا.

وقال جعفر لأبيه يحيى بن خالد، وهم في القيود والحبس: يا أَبَتِ بعد الأمر والنهي والأموال العظيمة، أَصارَنا الدّهرُ إلى القيود، ولبس الصوف والحبس، فقال له أبوه يحيى: يا بني لعلّها دعوةُ مظلوم، سَرَتْ بليلٍ غفلنا عنها، ولم يغفل الله عنها، ثم أنشأ يقول:

رُب قوم قد غدوا في نعمة زمنًا والدهر رَيّان غــدق
سكت الدّهر زمانًا عنـــهم ثم أبكاهم دمًا حين نطق"

انتهى بتصرف يسير.

قال العلامة سعد الدين التفتازاني في "شرح الأربعين النووية" ص: ١٩٤، في شرحه للحديث الرابع والعشرين: "عن أبي ذر الغفاري أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه جل جلاله: (إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا)".

"حُكي أن الأمير نوح بن أسد بن سامان، أحد الولاة على بلاد ما وراء النهر، لَمّا فَرَض الخَراج على أهل سمرقند، بعث بريدًا إلى أميره، فأحضر الأئمة والمشايخ وأعيان البلد، وقرأ عليهم الكتاب، فقال الفقيه أبو منصور الماتُريديُّ للبَريد: قد أدّيت رسالة الأمير، فاردُدْ إليه الجواب، وقل له: (زدنا ظلمًا حتى نَزيد في دعاء الليل، ثم تفرقوا، فلم يذهب إلا أيام حتى وجدوه قتيلًا، وفي بطنه زُجُّ رُمح، الزُّجُّ: الحديدة في أسفل الرمح، مكتوب عليه:

بغي وللبغي ســـهام تنتـــــظر أتتـــــه من أيدي المنايا والقَدَر

ســهام أيدي القانتات في السّحَر يرمين عن قوس لها الليل وتَـر(١٨)

كما اشتمل الحديث على النهي عن أخذ كرائم الأموال في الصدقات، والمقصود الأفضل في لحمها ولبنها، وغير ذلك فإن

(١٨) رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة من ص: (١٢٦-١٢٨) (بالهامش).

في هذا إيذاء لصاحب المال، وأيضًا لا يأخذ الأسوأ. فالمطلوب الوسط، وهو عدل في كل الأمور، ولقد احتوى الحديث على أمور عِظام كثيرة نوردها فيما يستفاد منه.

ما يستفاد من الحديث

١- التحذير والترهيب من الظلم.
٢- تحذير الولاة خاصة من الظلم.
٣- أن العدل هو أساس الوَلاية.
٤- أن دعوة المظلوم مستجابة.
٥- أن الله ﷻ لا يفرق بين دعوة المظلوم، مسلمًا أو غير مسلم.
٦- التحذير من إيذاء مؤدِّيّي الزكاة بأخذ كرائم أموالهم.
٧- الدعوة إلى التوسط في أخذ أموال الزكاة.
٨- وجوب تعليم الولاة وتدريبهم قبل إرسالهم.
٩- وجوب تعريف كل والٍ أو داعية، أو موظف بالعمل الذي سيقوم به، وتحذيره من مواطن الفساد.
١٠- وجوب تعليم الولاة والسفراء والموظفين، والطلاب المبتعثين حقيقة الجهات التي سيرسلون إليها.
١١- أن دعوة التوحيد هي أساس الدين كله.
١٢- أن حقيقة كلمة التوحيد تشتمل على الشهادتين.
١٣- التدرج في تعليم الدين.
١٤- البداية بالأهم قبل المهم.
١٥- الصبر في التعليم.

١٦- الزكاة لا تجوز للأغنياء.
١٧- الزكاة لا تجوز لغير المسلمين (ترد على فقرائهم).
١٨- جواز نقل الزكاة من بلد إلى آخر، لعموم قوله ﷺ: (على فقرائهم).
١٩- فروض الصلاة خمس في اليوم والليلة.
٢٠- جواز إطلاق كلمة الصدقة على الزكاة.
٢١- الطاعة واجبة للولاة في غير معصية.
٢٢- جواز رواية الصحابي عن صحابي، فهذا الحديث عن ابن عباس عن معاذ.
٢٣- جواز إنفاق الزكاة في صنف واحد من الأصناف الثمانية.
٢٤- الأمر الخاص بالتوحيد: (ادعُهُم)، وللشريعة: (أَعْلِمْهُمْ).
٢٥- وَقَع خِلاف في: هل الكفارُ مُخاطَبون بفروع الشريعة أم لا؟

الحديث الخامس

باب: من هدم جدارا عليه إعادته، والهدم ظلم بدون وجه حق، وهو من أنواع الظلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كانَ رَجُلٌ في بَنِي إسْرائِيلَ يُقالُ له جُرَيْجٌ يُصَلِّي، فَجاءَتْهُ أُمُّهُ، فَدَعَتْهُ، فأبَى أنْ يُجِيبَها، فقالَ: أُجِيبُها أوْ أُصَلِّي، ثُمَّ أتَتْهُ فقالَتْ: اللَّهُمَّ لا تُمِتْهُ حتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ المُومِساتِ، وكانَ جُرَيْجٌ في صَوْمَعتِهِ، فَقالتِ امْرَأَةٌ: لَأَفْتِنَنَّ جُرَيْجًا، فَتَعَرَّضَتْ له، فَكَلَّمَتْهُ فأبَى، فأتَتْ راعِيًا، فأمْكَنَتْهُ مِن نَفْسِها، فَوَلَدَتْ غُلامًا فقالَتْ: هو مِن جُرَيْجٍ، فأتَوْهُ، وكَسَرُوا صَوْمَعتَهُ، فأنْزَلُوهُ وسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وصَلَّى ثُمَّ أتَى الغُلامَ، فقالَ: مَن أبُوكَ يا غُلامُ؟ قالَ: الرَّاعِي، قالوا: نَبْنِي صَوْمَعتَكَ مِن ذَهَبٍ، قالَ: لا، إلا مِن طِينٍ).

تخريج الحديث

أخرجه البخاري: "كتاب المظالم والغصب، باب إذا هدم حائطًا فليَبْنِ مثله" برقم: (٢٤٨٢)، وأخرجه مسلم: (٦٣٩٤) في: "كتاب البر والصلة والآداب، باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها" وهي أتَمُّ من رواية البخاري، كما أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله "واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها" [مريم: ١٦]، برقم (٣٤٣٦) وأوله: (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل

رجل يقال له: جريج كان يصلي...) وذكر الحديث مع اختلاف بعض الكلمات.

معاني المفردات

المهد: سن الطفولة الأول.

الصومعة: مكان للعبادة.

المُومِسات: البَغايا والزّانيات، وقيل: المُجاهرات بذلك.

المعنى الإجمالي

في هذا الحديث بيان أن من اعتدى على أملاك الغير فهو ظالم، ويجب عليه إعادة كل شيء إلى أصله، سواء كان ذلك في مبنى أو سيارة أو جدار أو زرع أو ثياب أو غير ذلك، لأن الاعتداء على أملاك الغير ظلم، والظلم بكل أشكاله وأنواعه لابد أن يزال ماديًا كان أو معنويًا بالاعتذار ورد الاعتبار للمظلوم، والإمام البخاري فقيه محدث ومحدث فقيه، لذا ربما أورد الحديث في مكان تام وفي مكان آخر أورد موضع الشاهد، وفي روايته في كتاب أحاديث الأنبياء، لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، وأوردهم وهم عيسي بن مريم عليه السلام، وما ورد هنا من غلام جريج العابد، وقصة سترد في موضع آخر وهو طفل كان يرضع من أمه، ولعل سؤالا يرد كيف هذا الحصر، وهناك طفل تكلم مع أمه في قصة أصحاب الأخدود، وكذلك ابن ماشطة بنت فرعون، والجواب على ذلك، أن هؤلاء كانوا أطفالًا ولم يكونوا في المهد، فالطفل في المهد يعني في أيامه الأوائل بعد الولادة، وأما ما ورد عن

شاهد يوسف عليه السلام فالحديث ضعيف، وأما الحكاية عن يحيى بن زكريا عليهما السلام فلا أصل لها.

الأمر جلل خطير، رجل عابد تفرغ للعبادة على ما كان في الأديان السابقة، أعني الرهبانية التي لم تقرها الشريعة الإسلامية، واستبدلته بالاعتكاف وما هو قريب منه، هذا الرجل يُصدم بفتاة سوء تتهمه بأنه والد من أنجبت من الزنى، والناس تسارع بالتصديق دون رَوِيّة أو تأنٍّ، فيهدمون صومعته، فماذا يفعل هذا العابد، ليس إلا اللجوء إلى الله، والصلاة الصلة بين العبد وربه، والله لا يضيّع أولياءه، فجاءت رحمات الله بأن تكلم من في المهد وقال الحقيقة أن أباه الراعي، ويعود الانفعال مرة أخرى نبني لك الصومعة من ذهب، ولكن الثابت على الحق لا يريدها إلا من طين كما كانت.

نسأل الله أن يكفينا شر التهم الباطلة، وأن يستر عيوبنا ويغفر ذنوبنا.

وكعادتنا في هذا الكتاب، نُورد ما يستفاد منه، سواء ما يخص موضوع الكتاب وهو الظلم، أو غيره، حتى تحدث الاستفادة بما ورد في الحديث، دون شرح أو تفصيل، على أن نبدأ بما يخص موضوع الكتاب.

ما يستفاد من الحديث

١- الترهيب من الظلم.
٢- التسرع في التُّهم يورث الندم.
٣- وجوب إعادة ما أفسده الظالم إلى أصله.
٤- الله جل جلاله يدافع عن الذين آمنوا.
٥- إجابة الله جل جلاله لدعوة المضطر.
٦- ليس أحد بعيدا عن التهمة بالباطل.
٧- إذا تعارضت الأمور بُدئ بالأهم.
٨- إجابة الوالدين أهم من النافلة.
٩- إثبات الكرامة للأولياء.
١٠- لم يشرع الإسلام الرهبانية بل حض على الزواج.
١١- حض الإسلام على الاعتكاف لمدة معينة.
١٢- حاجة الإنسان لخلوة لمدة يراجع فيها نفسه، قال ابن عطاء الله: "ما نفع القلبَ شيء مثل عُزلة يدخل بها ميدان فِكْرِه".
١٣- المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم.
١٤- فضل طاعة الوالدين.
١٥- جواز اتخاذ مكان للعبادة في المنازل.
١٦- عداوة الشيطان.

١٧- غضب الأم على ولدها آثاره شديدة.

١٨- جواز التفكير في الصلاة النافلة في أمر مشروع.

١٩- التّقْوى تعصم صاحبها.

٢٠- حرمة بناء المساجد من ذهب أو فضة.

٢١- قد يحدث للوالدين ما يرفع الشفقة من صدورهم مؤقتًا.

٢٢- أهل الرَّذيلة يحاولون تشويه أهل الحق.

٢٣- كيد النساء عظيم.

٢٤- النهي عن الدعاء على أنفسنا أو أولادنا.

٢٥- فضل العلم بتقديم الواجب على النافلة.

٢٦- أهمية القصص في العملية التعليمية.

٢٧- أهمية الصلاة في حياة المسلم.

٢٨- الوضوء كان في الأمم السابقة؛ لكن أمة محمد ﷺ تميزت بأنهم يأتون غُرًّا مُحَجّلين.

٢٩- كرامة الأولياء قد تقع باختيارهم وطلبهم.

٣٠- قد تجري الشدائد حينًا على الأولياء.

٣١- قد ينادَى ابن الزنى من أبوك؟ مع الخلاف في النسب.

أثبته المالكية والحنفية، ونفاه الشافعية والرأي الأول أرجح.

٣٢- إذا كان في مخالطة الناس ضرر أشد جازت العزلة.

٣٣- كل ذي نعمة محسود.

٣٤- جواز الأخذ بالأشد لمن علم في نفسه قوة.

٣٥- مشروعية الدفاع عن النفس.

٣٦- المَفْزَعُ إلى الله جل جلاله بالصلاة.

٣٧- عدم الاغترار بالمظاهر.

٣٨- فضل الزهد.

٣٩- دعاء الوالدين مستجاب.

٤٠- على المسلم أن يحتاط لنفسه.

وهناك معانٍ كثيرة الله ﷻ أعلم بها.

الحديث السادس

باب: من الظلم أن يكون في الطرقة ما يؤذي الناس وعظم أجر من رفع ما يؤذي الناس في طرقهم

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (بيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيق، وجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ علَى الطَّرِيقِ، فأخَذَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ له، فَغَفَرَ لَه).

تخريج الحديث

أخرجه البخاري في: "كتاب المَظالِم والغَصْب، باب من أخذ الغصن وما يؤذي الناس في الطريق فرمى به، برقم: (٢٤٧٢)، وقد أخرج البخاري في ذات الكتاب "باب إماطَة الأذى" عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: (يُميط الأذى عن الطريق صَدَقَة)، وقد أخرج الإمام مسلم الحديث، ومعه طرقه في "كتاب البِرّ والصِّلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق" برقم: (٦٥٥٢) وما بعدها وهي:

(٦٥٥٢) (قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَذَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ).

(٦٥٥٣) (مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لا يُؤْذِيهِمْ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ).

(٦٥٥٤) (لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَة قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ).

(٦٥٥٥) (إنَّ شَجَرَةً كَانَتْ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَطَعَهَا فَدَخَلَ الْجَنَّةَ).

(٦٥٥٦) عن أبي برزة قال: قلت: يا نبي الله علمني شيئًا أنتفع به، قال النبي ﷺ: (اعْزِلِ الأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ).

كما أن هناك أحاديث كثيرة في هذا الباب منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: (الإيمان بِضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بِضْعٌ وسِتُّونَ، شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ)[١٩].

عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: (عُرِضَتْ عليّ أعْمالُ أُمَّتي حَسَنُها وسَيِّئُها، فَوَجَدْتُ في مَحاسِنِ أَعْمالِها الأذى يُماطُ عَنِ الطَّرِيقِ، ووَجَدْتُ في مَساوِي أعْمالِها النُّخاعَةَ تَكُونُ في المَسْجِدِ، لا تُدْفَنُ)[٢٠].

معاني المفردات

الطريق: الذي يسير فيه الناس والدواب ووسائل المواصلات.
غصن شوك: وهو يؤذي المارّة، والمراد سواء هو أو حَجَر أو مِسْمار أو حَديد، وعمومًا كل ما فيه أذًى، مثل حُفرة أو غير ذلك.

---

(١٩) أخرج الإمام البخاري: (بضع وستون شعبة) "كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان: (١/ ٦٦) برقم: (٩)، والمروي لفظ مسلم: "كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان"، برقم: (٣٥).

(٢٠) مسلم برقم: (٥٥٣) في "المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد".

المعنى الإجمالي

إن إيراد الإمام البخاري هذا الحديث في كتاب المظالم لهو فقه دقيق، فإن الغُصن أو الحفرة أو أنواع الحديد أو المسمار أو غير ذلك، وتركه في الطريق يؤذي الناس بين ضرير لا يبصر، أو كبير قد يقع ويؤذَى كثيرا، أو إعاقة لسير الناس، أو إفساد لسياراتهم وما يستعملون من وسائل للمواصلات، لذا بين النبي ﷺ، هذا الأجر العظيم لمن رفع الأذى عن طريق المسلمين، إنه يَرْتَع في الجنة، وشكر الله له، وغفر له.

وفي هذا الحديث بيان لنوع من أنواع الظلم يغفل الناس عنه.

ما يستفاد من الحديث

١- أن الظلم أنواع كثيرة.
٢- أن إيذاء الناس في طريقهم من الظلم.
٣- أن إماطة الأذى عن الطريقِ من شعب الإيمان.
٤- العمل قد يكون ظاهره قليلًا؛ لكنه عند الله ﷻ عظيم.
٥- اهتمام الإسلام بسلامة طُرُق المسلمين.
٦- العمل قد يكون سببًا لشكر الله جل جلاله.
٧- العمل قد يكون سببًا لمغفرة الله جل جلاله.
٨- الفعل المتعدي النّفع أجره كبير.
٩- جزاء الله ﷻ وفضله أكبر بكثير من فِعل العبد.
١٠- الطرق إلى الجنة كثيرة.
١١- إماطة الأذى عن الطريق صدقة.

١٢- نعمة البصر عظيمة.
١٣- عِظَمُ مقدار ذنب وسوء فعل من آذى المسلمين في طريقهم.
١٤- شمول الإسلام وتمام الشريعة وكمالها.
١٥- اهتمام الإسلام بالنظافة.
١٦- أهمية تربية المسلمين على عدم الأنانية.
١٧- هذا الحديث يكشف عن نفس غير متكبرة.
١٨- في هذا الحديث دعوة إلى الإيجابية.
١٩- الشوك يؤذي الناس.
٢٠- الله ﷻ ذو فضل على الناس.
٢١- لم يذكر الحديث اسم الرجل؛ لأنه لا نفع من ذلك.
٢٢- أهمية تربية القلب الرقيق.
٢٣- من تعلق بالرجاء من الله، فإن الله ﷻ لا يضيعه.
٢٤- الإسلام يهتم بجميع شئون الحياة.
٢٥- حض الإسلام على إيجاد مجتمع سليم متعاون.
٢٦- الله ﷻ لا يضيع من الأعمال شيئًا، ولو كان مثقال ذرة.
٢٧- في الحديث إشارة إلى الحث على فعل الخيرات والإكثار منها.

الحديث السابع

باب: الوعيد الشديد لمن يعذب الناس

عن هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنه: أنه مَرّ بالشّام على أُناس، وَقَدْ أُقِيمُوا في الشَّمْس، وَصُبَّ على رُءُوسِهِم الزَّيْتُ، فقالَ: ما هذا؟ قيلَ: يُعَذَّبُونَ في الخَراجِ، فَقالَ: أَما إنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: (إنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ في الدُّنْيا).

تخريج الحديث

أخرجه الإمام مسلم كتاب: "البر والصلة والآداب، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق" برقم: (٦٥٤٠)، وفي رواية: مَرّ هشام بن حكيم بن حزام على ناس من الأنباط بالشام، قد أقيموا في الشمس، فقال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنّ اللهَ يُعذّب الّذين يُعذّبون النّاس في الدُّنْيا)، برقم: (٦٥٤١)، وزاد في رواية: (وأميرهم يومئذ عمير بن سعد على فلسطين، فدخل عليه فَحَدّثَهُ، فأَمَرَ بِهِم فَخُلُّوا) برقم: (٦٥٤٢).

معاني المفردات

(إن الله جل جلاله يعذب الذين يعذبون الناس): محمول على التعذيب بغير حق، فإن القصاص والحدود ظاهرها تعذيب، ولكنها حق لحماية المجتمع من الفساد ومما هو أشد.

(الأنباط): اسم ولقب للفلّاحين من العَجَم كان أصلهم من العرب، اختلطوا بهم، واختلطت أنسابهم وفسدت ألسنتهم.

المعنى الإجمالي

هذا حديث فيه تحذير شديد للظالمين، يحمل وعيدًا لهم بانتقام الله ﷻ يوم الحساب، وبيان أن حق المظلوم، إن لم يحصل عليه في الدنيا، ففي يوم الحساب والميزان لابد أنه آخذ حقَّه، ويعرض هذا الحديث نوعًا من الظلم، إنه الإيذاء الذي يترتب عليه القهر والتعذيب، وهو الغالب على مر العصور والأيام، وأما ما وصفه الإمام النووي في عُنوان الباب (بدون حق) فهو من دقّة فَهْم السّادَة الفُقهاء، ففي إقامة القصاص وحَدِّ السّرقة والتعزيرات إيذاء ظاهري لأهلها، ولكنه في الحقيقة ليس كذلك، فقد فعلوا ما يوجب عليهم ذلك بأسباب شرعية، علاوة على أنه كفارة لهم يوم الحساب؛ وذلك لحديث عبادة ابن الصامت: (فمَن وَفَّى مِنكم فأَجْرُه على اللهِ، ومَن أصابَ مِن ذلكَ شَيئًا فعُوقِبَ به في

الدُّنيا فهو كَفّارةٌ له)[٢١]، والحدود والقصاص لا يسمى تعذيبا، فإذا أطلق التعذيب فهو ما يتم من باب الظُّلم، وإطلاق الظُّلم على القصاص والحدود فيه تَجَوُّز؛ لذا لم أورد ذلك في العنوان.

إننا في هذه الأيام نعيش أنواعًا من الظُّلم والإيذاء البدَني...

- جَلْد وضرب بالعِصِي والأيدي، وإيذاء شديد جدًّا.
- حبس انفرادي.
- منع من العلاج.
- منع من الطعام.
- وضع الأعداد الكثيرة في أماكن ضيقة.
- انعدام التهوية للزنازين.
- منع الزيارات أو إذا تمت ففي ظروف سيئة جدًّا.
- الصعق الكهربائي.
- التهديد بإيذاء الأهل.
- التهديد بالاغتصاب أو اغتصاب الأهل.
- الإحراق بالسجائر.
- قلع الأظافر.
- المنع من النوم فترات طويلة.
- إحراق الإنسان، وهو حي.
- تكسير العظام بالحديد.

---

(٢١) صحيح البخاري: "كتاب الإيمان، باب (١١)"، الحديث رقم: (١٨)، الفتح (١/ ١٨) والمنقول جزء من الحديث وتتمته: (ومن أصاب من ذلك شيئًا، ثم ستره الله، فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه).

وألوان أخرى قد يعجز الشيطان عن التفكير بمثلها، ولكن شياطين الإنس الذين قست قلوبهم وتحجرت أحاسيسهم يفعلونها، لقد خلق الله الإنسان وكرَمه قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا **الإسراء: ٧٠**، و قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ **الأحزاب: ٥٨**، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنِّي لَمْ أبْعَثْ عُمّالي ليضربوا أبْشارَكُم ولِيأخُذوا أموالَكم، مَن فُعِل به ذلك فليَرْفَعْه إليّ أَقُصُّه مِنْه)[٢٢]، فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: (لو أن رجلًا أدّب بعض رَعِيَّته أتقتص منه؟ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (والذي نفسي بيده ألا أَقُصُّهُ، وقد رأيت رسولَ الله ﷺ أَقَصّ مِن نَفْسِه!!)؛ ولكنٍ بالرغم من هذه التشريعات الواضحة، فإن الظلم والعذاب دائماً مسلط على منْ يُعرَفون بسجناء الرّأي، وأغلب هؤلاء في البلاد الإسلامية من أهل التّدَيُّن من العلماء والدعاة والعاملين في طريق الله، إنهم أكثر مَن يقع الظلمُ عليهم بغير ذنب، إلا أن يقولوا رَبُّنا الله!

شهادة حق:

في عهد السادات، سمحت السلطات لمن عُذِّبوا أيام جمال عبد الناصر، برفع قضايا تثبت ذلك، فرفع أحدهم قضيته، وطلب

(٢٢) أبو داوود: (٢٤٣٧) في "الديات، باب القَوَد من الضَّربة، وقَصّ الأمير من نفسه"، وفيه مجهول.

شهادة الحاج مصطفى مشهور ; فذهب للمحكمة، وقال المستشار: قل والله العظيم أقول الحق.

الحاج مصطفى مشهور: "والله العظيم أقول الحق، ولكن لن أستطيع أن أقول الحق".

تعجب المستشار رئيس المحكمة وسأل كيف ذلك تقول الحق، وفي ذات الوقت لن تستطيع أن تقول الحق؟!

الحاج مصطفى مشهور: "نعم سوف أقول الحق: إن رافع القضية ضُرب بالسياط وحدث معه كذا وكذا.. فهذا حق من حيث الكَلمات.. ولكن أين الحقيقة؟ هل هذه الكلمات تنقل الإحساس بآلام يشعر بها المظلوم، ودماء تسيل من جسده، وعدم قدرة على الحركة، وليال طويلة لا ينامها، وأخذ يعدد ما يشعر به المظلوم..

فهذه شهادتي كلمات ولكن أين الإحساس والآلام؟".

وأقول للجميع:

أيها الظالم: ألَا تخشى من عذاب الله ﷻ ونقمته، وسُخطه عليك؟! فمهما فعلت فعذابك منتهٍ بنهاية الدنيا، ولكن عذاب الآخرة لا يعلم نهايته إلا الله ﷻ، ها قد ذهب عنك زُخرُف الحياة الدنيا وظهرت حقيقتها، أين جنودك؟ أين الجاه؟ أين المال؟ أين الغرور والكِبْر؟ لقد ذهب كل هذا في أول لحظة في القبر،

ولكن اليوم يوم حساب، والنار أمام العيون، والشمس فوق الرؤوس... ماذا تفعل؟!

وأقول لجنود فرعون وهامان، وكل من أيّد الباطل ونصره ولو بكلمة، بل كل من كان قادرًا على إظهار الحق، ولكنه فضَّل الدنيا على الآخرة، أين الذين أطَعتموهم بالأمس؟ قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ *وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[البقرة ١٦٦، ١٦٧]، والآيات في ذلك كثيرة، وقولَ النبي ﷺ: (لَو أنَّ أهل السَّماءِ وأَهلَ الأرض اشترَكوا في دمِ مؤمنٍ لأكبَّهمُ اللَّهُ في النّارِ)[٢٣].

وأقول للإعلاميين: يا سَحَرة فرعون، إن السّحرة قد تابوا أفلا تتوبون؟! يامن تبيعون آخرتَكم بدُنيا غيرِكم، المال ذاهب ولن يغني عنكم شيئًا.

وأقول لمن يلبسون ثِياب العلماء ويُضلُّون النّاس، ويُزيِّنون لأهل الباطل باطلَهم، ويخدعون الناس، ويهيِّئون للظالم ما يرتكب من جرائم، هل ماتت ضمائركم، هل تشترون بآيات الله تعالى ثمنًا قليلًا؟!

---

(٢٣) الترمذي برقم: (١٣٩٨) "الديات، باب الحكم في الدماء"، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وأقول للمظلوم: لك كامل الحق في الدُّعاء على من ظلمك، وسهام الليل لا تخطئ، والله يمهل ولا يهمل، ولكل ظالم نهاية بحسب إرادة الله، واحمد الله أن عافاك من أن تكون من الظالمين، وفرُجُ الله قريب.

ما يستفاد من الحديث

١- تحريم الظلم.

٢- تحريم الإيذاء.

٣- أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- الإسلام دين الرحمة.

الحديث الثامن

باب: صنفان من أمتي من أهل النار منهم من معهم سياط يضربون الناس

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (صِنْفان مِن أهل النّارِ لَمْ أرَهُما، قَوْمٌ معهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بها النّاسَ، ونِساءٌ كاسِياتٌ عارياتٌ مُمِيلاتٌ مائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ كَذا وكَذا).

تخريج الحديث

أخرجه الإمام مسلم في: "كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات" برقم: (٥٤٥٠)، مجلد: (٧) ص: (٢٢٨).

كما أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يوشك إن طالت بك مُدّةٌ، أن ترى قومًا في أيديهم مثل أذناب البقر، يَغْدون في غضب الله عز وجل، ويروحون في سُخط الله) كما ورد: (إن طالت بك مدة أوْشَكْت أن ترى قومًا يغدون في سخط الله عز وجل، ويروحون في لعنة الله عز وجل. في أيديهم مثل أذناب البقر) "كتاب الجنة وصِفَة نعيمِها وأهلها، باب النار يدخلها الجبّارون، والجنة يدخلها الضعفاء" برقم: (٧٠٧٨، ٧٠٧٩).

معاني المفردات

أذناب البقر: ذَيْلُها، ومعنى ذلك أنه شديد الإيذاء، والعبرة في الوصف: أي وسيلة إيذاء لقوله ﷺ: (معهم سياط).

كاسيات عاريات: قيل: يسترن جزءً من الجسد ويكشفن الآخر، وقيل: ثياب رقيقة كاشفة لما أسفل منها، وقد يكون غير محكم فيظهر منه أجزاء من الجسد.

مُميلات مائلات: إما في طريقة السير وهو تعبير عن الفساد، أو معنويا مائلات عن شرع الله ﷻ، مميلات بدعوة غيرهن إلى ذلك أو بتعليم غيرهن ذلك.

الريح: الرائحة.

غضب الله ﷻ: بمعني سخط الله ﷻ.

سخط الله ﷻ: الغضب الشديد المفضي إلى العقوبة.

لعنة الله ﷻ: الإبعاد عن رحمة الله ﷻ.

المعنى الإجمالي

أي قلوب هذه التي تؤذي الناس ضربًا وركلًا بالأيدي والسِّياط والحديد، وأسلاك الكهرباء، والمظلوم يصرخ، وهم يزدادون إيذاءً له؟ وكأن صرخات المظلوم نغم محبب إلى نفوسهم، ثم يتركون هذا المظلوم ينزف منه الدم، ويصرخ، وهم يذهبون إلى الطعام والشراب، والضحك والمرح، وإلى البيت

وينام أحدهم مطمئنًا في ظل أنظمة بعيدة كل البعد عن العدل والرحمة!!

أي قلوب هذه التي يجلس بعضها مع بعض، وكلٌ يفتخر بما فعل بالمظلومين، وما أنزل بهم من العذاب؟!

أي قلوب هذه التي تدخل المنازل بعد منتصف الليل، ويقومون بترويع أهل البيت، ويقومون بتكسير كل شيء أمامهم، وماذا في البيت من إثبات للتهمة؟ كتاب تفسير، أو كتاب حديث، أو فقه، أو ما شابه ذلك، ولو تكلمت الأم كبيرة السن وجّهوا لها السِّباب، وينتزعون الرجل من بين أولاده، والصغيرة تبكي ولا رحمة عندهم!!

أي قلب عند من يسمّى وكيلا للنيابة، الذي لا يجد أمامه من أدلة إلا محضرًا للخصم، ثم يقرر الحبس، ويكرر تجديده عشرات المرّات، ولا يبالي بزوجة وأولاد حرموا من الأب؟!

وعمومًا كان هذا قديمًا، أما الآن فيسجن الأب والأم، ويترك الأولاد؛ بل يسجن الأطفال الصغار، بتهمة أنهم يسعون لقلب نظام الحكم!!

من المضحك المبكي أن شيخًا ضريرًا (غير مبصر) ظل مسجونًا لمدة تقترب من العامين؛ لأنه (قنّاص) وأنه قتل أحد رجال الشرطة! ضرير وهو في الوقت نفسه (قنّاص) أين محرر المحضر؟! وأين وكيل النيابة الذي يجدد الحبس عدة مرات؟! وأين القاضي

الظالم الذي أمر بالحبس؟! سؤال واحد: هل هؤلاء من الآدميين؟! هل عندهم بقيّة ضمير؟!

لذا كان الجزاء لا يشمُّون رائحة الجنّة، مع أنها تُشم من مسافات بعيدة، وحل عليهم: ﴿سخط الله﴾، ﴿وغضب الله﴾، ﴿ولعنة الله﴾، ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[هود:١٨]، ﴿وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾[النساء:٥٢]، ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[الفتح:٦].

إن هذه القلوب القاسية لا تنفعها المواعظ. قال الشاعر:

إِذَا قَسَا الْقَلْبُ لَمْ تَنْفَعْهُ مَوْعِظَةٌ

كَالأَرْضِ إِنْ سَبَخَتْ لَمْ يُحْيِهَا الْمَطَرُ

وقاسي القلب أكثر قابلية للاستحمار وسماع الكذب، وأكل الحرام والمسارعة إلى كل أنواع الضّلال، وتزييف الحقائق، وقبول الباطل، لأن ذلك يُحقق له أمراضه النفسية[٢٤].

وقاسي القلب يمارس سلوكًا وحشيًّا قاسيًا ضد الناس والأطفال والحيوانات، وهو يعاني من أُمِّيّة المشاعر والتبلُّد.

وقاسي القلب لا ينكر نَزَغات الشيطان، والسبب الأساسي لقسوة القلب البعد عن كتاب الله، وعدم الانتفاع بهدايته ونوره، وطول الأمد بما عليه أهل الباطل حتى يظنوا أنهم على

(٢٤) الكثير في هذه الفقرة مستمد من كتاب تربية القلب للدكتور عثمان عبد المعز رسلان، أما الشِّعر فمن كتاب نفحات للدكتور القرضاوي.

الحق ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]، ولقد جاء الإسلام ليربط الإنسان رباطًا حقيقيًّا بالدار الآخرة دار الجزاء، حتى لا يتعلق بالدنيا إلا بما أحلَّ الله له.

ولذلك فالحديث عند الترمذي أن خير الناس: من طال عمره وحسن عمله، وشرهم من طال عمره وساء عمله.

وهؤلاء الذين يعذبون النّاس من أصحاب القلوب القاسِية والطباع الحميرية، هؤلاء الذين قال عنهم العلّامة القرضاوي:

مُتَبَلِّدون عقولُهم بأكفِّـــــهم وأكُفُّهم للشّر ذات حنين
لا فرق بينهمو وبين سِياطِهم كُلٌّ أداةٌ في يَدَيّ مَأفون!
يَتَلَفَّفون القادمين كأنّـــــهم عَثَروا على كَنْز لَدَيْكَ ثمين
بالرِّجْل بالكُرْباج باليَد بالعَـصا بِكُلِّ أُسلوبٍ خَسيسٍ دُونً

أليس لهؤلاء عبرة بمن سبقهم من الظالمين؟ أليسوا الآن في التراب؟ الرئيس، والوالي، والعسكري، والمدني، سواء كان آمرًا أو مأمورًا أو عَوْنًا، الجميع تحت التراب، والموعد واللقاء عند مالك الملك، رب السماوات والأرض في يوم لا يُظلم فيه أحد.

ما يستفاد من الحديث

١- الحديث علم من أعلام النبوة، ففيه إخبار بغيب أَعلَمَ الله به نبيه ﷺ.
٢- تحريم الظلم.
٣- تحريم الإيذاء.

٤- تحريم إظهار مفاتن المرأة.

٥- أن من اتصف بصفة من هاتين لا يدخل الجنة.

٦- إن كان مؤمنًا بالله ﷻ يقينًا، فهو لا يدخل الجنة مع الفائزين الأُوَل.

٧- وأنه قد يدخلها، ولكن بعد ما يكون له من العذاب؛ إلا إذا عفا الله ﷻ، وعفا عنه المظلوم.

٨- أنه يُحرم من رائحة الجنة، وهذا دليل على صفة الطرد له.

٩- أنه يحل عليهم غضب الله ﷻ.

١٠-يحل عليهم سخط الله ﷻ.

١١-يحل عليهم لعنة الله ﷻ.

الحديث التاسع

باب: المفلس

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: أتدرون مَن المُفلِسُ؟ قالوا: المُفلِسُ فينا يا رسولَ اللهِ مَن لا درهمَ له ولا متاعَ له، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (المُفلِسُ مِن أمَّتي مَن يأتي يومَ القيامةِ بصلاتِه وصيامِه وزكاتِه وقد شتَم هذا، وأكَل مالَ هذا، وسفَك دمَ هذا، وضرَب هذا فيقعُدُ فيُعطى هذا مِن حسناتِه وهذا مِن حسناتِه، فإنْ فنِيَتْ حسناتُه قبْلَ أنْ يُعطيَ ما عليه، أُخِذ مِن خطاياهم فطُرِحت عليه ثمَّ طُرِح في النّارِ).

تخريج الحديث

أخرجه الإمام مسلم في: "كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم" برقم: (٦٤٦٢).

المعنى الإجمالي

الشكل التوضيحي بالصفحة التالية ثلاثة أشكال

إننا أمام ثلاث حالات لميزان الإنسان يوم القيامة.

الشكل الأول:

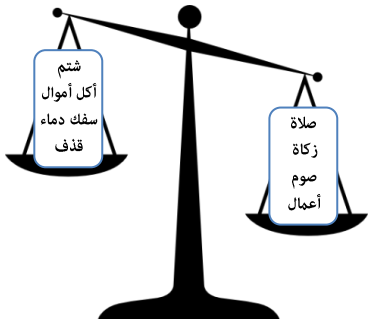

الشكل الثاني:

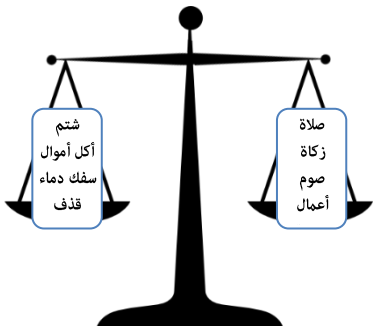

الشكل الثالث:

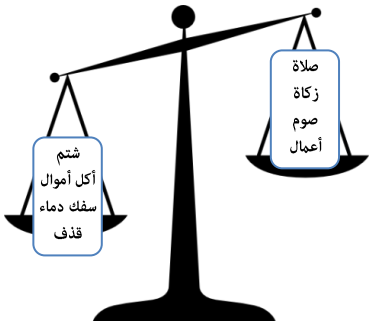

المعنى الإجمالي

في هذا الحديث استخدم الرسول ﷺ الوسائل التعليمية المتاحة، ومن ذلك أنه سألهم عما هو معلوم عندهم فأجابوا بما يعرفون، فيلفت انتباههم إلى معنى غريب لطيف، لم ينتبهوا إليه من قبل، لكن بين المعنيين رابط مشترك.

لقد سأل الرسول ﷺ عن المُفلس؟ فكانت الإجابة المعهودة عندهم من لا درهم له ولا متاع، هذا هو المعلوم في هذه الحياة الدنيا، ولكن الرسول ﷺ، أخبرهم بالمُفلس الحقيقي، الذي يكون مُفلسا يوم القيامة.

هذا المُفلس:

١- أتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة. إذن لم يكن بعيدًا عن عبادة الله ﷻ، ولا مُهمِلًا لها، أو مضيعًا، وحين يقول النبي ﷺ إنه أتى بهذه العبادات، فهو قد أداها في الدنيا صحيحة؛ بل ربما مقبولة! لأنها تحولت إلى حسنات، وإلا لم يكن لها اعتبار، ومما لا شك فيه أن بجوارها أعمالًا صالحة؛ لكنه أتى معها بانتهاكات لحقوق العِباد من شتم، وقذف، وأكل مال، وسفك دم، وضرب..، وليس ذكر ذلك للحصر، إنما هي أمثلة لحقوق العِباد.

مراحل القصاص

١- كما هو واضح في الشكل الأول، أُخِذ من حسناته لأصحاب الحقوق، ولكن بقي له حسنات كثيرة.

٢- وفي الشكل الثاني، تساوت الحسنات مع الحقوق التي عليه.

٣- أما الشكل الثالث فقد سُلِبَت حسناته لهم، ولكنها لم تسدد ما عليه، فأُخذ من سيئاتهم إلى سيئاته ثم طرح في النار!

وقد ورد في حديث ابن مسعود: (تُرفع للرجل صحيفة يوم القيامة، حتى يرى أنه ناج، فما تزال مظالم بني آدم تتبعه حتى ما تبقى له حسنة، ويزاد عليه من سيئاتهم)[٢٥].

وفي حديث الباب وحديث ابن مسعود ملاحظتان:

الأولى: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المفلس من أمتي، إذن هو من أمة الهداية، والذي يؤكد ذلك أنه أتى بصلاة وصيام وزكاة.

الثانية: في حديث ابن مسعود: (فما تزال مظالم ابن آدم، لم يحدد دِينًا أو قبيلةً أو لونًا، ويؤكد ذلك ما ورد في حديث الباب: شتم هذا، ضرب هذا...)

---

(٢٥) رواه الحاكم: (٢/ ٤٥)، برقم: (٢٢٦٨)، وذكره ابن حجر في المطالب العالية، برقم: (٤٦٥٤)، وذكره صاحب مختصر إتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة، برقم: (٨٠٢٣) ومروي عن ابن مسعود وسعد وسلمان وعن أبي عثمان النهدي، وخرجه الألباني في: صحيح الترغيب والترهيب، برقم: (٢٢٢٤).

وفي الحديث عن عبد الله بن أنيس قال: سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: (يَحشُرُ اللهُ العبادَ يومَ القيامةِ– أو قال النّاسَ يومَ القيامةِ– حُفاةً عُراةً غُرْلًا بُهْمًا قال: قُلْنا وما بُهْمًا؟ قال: ليس معهم شيءٌ. ثُمَّ يُنادِيهم بصوتٍ يسمَعُه مَن بَعُد كما يسمَعُه مَن قَرُب: أنا الدَّيّانُ. أنا المَلِكُ. لا ينبَغي لأحدٍ من أهلِ النّارِ أن يدخُلَ النّارَ وله عند أحدٍ من أهل الجَنَّةِ حقٌّ، حتّى أُقصَّه منه، ولا ينبَغي لأحدٍ من أهلِ الجَنَّةِ أن يدخُلَ الجَنَّةَ ولأحدٍ من أهل النّار عنده حقٌّ، حتّى أُقصَّه منه، حتّى اللَّطمةَ قال: قُلْنا: كيف؟ وإنَّمَا نأتي عُراةً غُرْلا بُهْمًا؟ قال: الحسناتُ والسَّيِّئاتُ)[٢٦].

وقد أورد الحديث أهم أنواع الظلم:

باللسان: في شخص الإنسان (الشتم).

فيما يمس العرض (القذف).

المال: أكل مال هذا.

الدماء: سفك دم هذا.

الجسد: ضرب هذا، حتى اللَّطمة.

قال تعالي: ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [غافر:١٧].

---

(٢٦) مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٤٨، ٣٤٩ وقال: رواه أحمد ورجاله وُثِّقوا، ووافقه المحدث في الموسوعة الحديثية، ورواه الطبراني في الأوسط بنحوه.

ما يستفاد من الحديث

١- استخدام الرسول لأساليب تربوية وتعليمية، ومنها السؤال للتنبيه.
٢- طرح الرسول لمفاهيم جديدة لمصطلحات يعرفونها.
٣- إجابة الصحابة بما يعرفون.
٤- يوم القيامة لا درهم ولا دينار؛ إنما الحسنات والسيئات.
٥- أسلوب الشرح المُيسّر.
٦- شمول الإسلام.
٧- العبادات قد يضيع أجرها بسبب ظلم صاحبها لغيره.
٨- الأفعال السيئة قد تغلب الأفعال الحسنة.
٩- الدين عبادة ومعاملة.
١٠- سيحاسب المسلم على كل شيء حتى اللَّطمة.
١١- خطورة السيئات في أكل أموال الناس.
١٢- خطورة السيئات في الدماء.
١٣- خطورة السيئات في القذف.
١٤- خطورة السيئات في الضرب.
١٥- خطورة السيئات في الشتم.
١٦- شدة البُغض التي يعيشها الظالم.
١٧- يغفل الظالم عن أفعاله، وهي عند الله مُسجّلَة.

الحديث العاشر

باب: مَطل الغني ظُلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ، فإذا أُتْبِعَ أحَدُكُمْ على مَلِي فَلْيَتْبَعْ).

تخريج الحديث

أخرجه البخاري في: "كتاب الحوالة، باب الحوالة وهل يرجع في الحوالة؟" فتح الباري: ٥/٥٤٢ برقم: (٢٢٨٧)، وبرقم: (٢٢٨٨) "باب إذا أحال على مليء فليس له رد"، وفي: "باب الاستقراض" برقم: (٢٤٠٠).

وأخرجه مسلم في: "كتاب المساقاة، باب تحريم مَطْل الغني" برقم: (٣٨٦٧).

معاني المفردات

المَطْل: هو المد والإطالة والتأخير، والمقصود تأخير المَدِين سَداد الدّين.

أُتْبِعَ: هو تحويل الدّيْن.

مَلِيء: قادر على السداد، وعنده سَعَة.

فَلْيَتْبَعْ: قبول حَوالة الدّيْن.

المعنى الإجمالي

هذا نوع من الظلم يَرِد في المعاملات التجارية والمالية، من ديون وقروض وغير ذلكَ، ويكثر في هذه الأيام، إنه الشخص القادر على سداد الدين، يملك المال، ولكنه يتأخر في سداد الدين، وقد حل أجل السداد، وهنا ترد استفسارات:

– ما هو دافع القادر على السداد في المماطلة، وعدم السداد في الموعد المحدد.

– هل هو نسيان ولو تذكر لسارع بالسداد مع الاعتذار، لو كان كذلك ما سُمِّيَ ظالمًا.

– أم هو مَدِين يملك المال؛ ولكن صاحب الدين أغنى منه، فهو يقول: ماذا لو تأخرت عليه؟ فلن يقع عليه ضرر، فهو يملك الكثير! وهذا من تزيين الشيطان، فصاحب الحق أحق بماله، وهذا السلوك عاقبته وخيمة، فقد يؤدي بهذا المعنى إلى عدم مواساة ومساعدة من يحتاج مستقبلًا، ثم هل هو يقبل من غيره مثل ذلك؟

–هل هذا الغَني حدث له عارضٌ مثل عدم وجود سيولة نقدية أو جائحة حلت به؟ ولو كان كذلك لما سُمِّي ظالمًا.

إذن نحن أمام مُتمكِّن من المال، يمتنع عن سداد الدّين الذي عليه، سواء لمثله أو أغني منه أو أقل منه، وهو يملك المال وقادر على السداد، ولكنه يتأخر متعمدًا، ودون أن يستأذن صاحب الدَّين في التأخير، وهذا هو الظلم كما وُصِف في هذا الحديث.

ولكن هل يسمى بذلك ل من مرة واحدة أم إذا تكرر منه ذلك؟ والراجح أنه مع التكرار فيصير صِفةً له، وهل هذا موجب لفِسقِه؟

الراجح أنه مع التكرار يَفْسُق.

إن هذا الفعل عبارة عن قسوة في القلب، وطمع في الاستفادة بمال الغير، وماذا عن الربح الذي يترتب على ذلك؟ من المتاجرة والعمل في مال الغير هل هذا حلال؟

وهل هناك عقوبة لهذا الغَني الذي يماطِلٍ في سداد دَيْنه؟ نجد هذا في الحديث الذي رواه البخاري مُعلّقًا في قول النبي ﷺ: (لَيُّ الواجِد يُحِلُّ عقوبته وعِرْضَه؟) (٢٧).

قال سفيان في بيان ذلك: "(يحل عِرضه) يقول: ماطلتني"؛ أي إن الدائن يُشهِّر به، أما قوله: عقوبته: فيقول سفيان: "حبسه"؛ أي للقاضي حبس هذا القادر على السداد. وقد أورد البخاري تحت هذا العنوان، حديثَ أبي هريرة رضي الله عنه: (أتي النبيّ ﷺ رجلٌ يتقاضاه فأغلَظ له، فَهَمّ به أصحابه، فقال: دَعُوه. فإن لصاحب الحق مقالًا (٢٨)؛ أي إن صاحب المال، أغلَظَ في الكلام لِمَن عليه الدّين، فأراد أصحاب النبي ﷺ منعَه، فقال لهم الرسول ﷺ

(٢٧) البخاري مُعلّقًا: (٥/ ٤٦) في "الاستقراض، باب لصاحب الحق مقال"، قال الحافظ في الفتح: وصَله أحمد وإسحاق في مسنديهما، وخرجه أبو داوود: (٣٦٢٨) في: "الأقضية، باب في الحبس في الدين وغيره".

(٢٨) رواه البخاري: (٢٦٠٦)، ومسلم: (١٦٠١).

اتركوه. فهو صاحب حق فيما فعل، ولكن بشرط عدم المعصية في القول؛ أما إذا كان المدين غيرَ قادر لعجز أو لأمر حَلّ به، فليس ممن هو موصوف بهذا الحديث.

واشتمل الحديث أيضا على حَوالة الدَّيْن، فقد تقف عوائق عن السداد لعدم وجود سيولة نقدية، أو لتعذر الانتقال، أو لسبب من الأسباب، فإذا أحال المدين الدينَ الذي عليه علَى آخر قادر على السداد، فعلى الدائن قبول ذلك، والجمهور على أن القبول على النّدب، ويرى الحنابلة أنه على الوجوب.

وقد وردت أحاديث كثيرة في الترهيب من الدَّين.

ولننظر إلى هذه القصة التي رواها البخاري في صحيحه، والتي تبين حِرص المدين على سداد دَيْنِه لنتعلم منها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُول اللَّهِ ﷺ: أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَار، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَار وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى البَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلاَنًا أَلْفَ دِينَار، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ

شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ، فَأَخَذَهَا لأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا"[٢٩].

ومع أن الدَّين عند الحاجة مباح؛ إلا أن الإسلام حَذَّر من الدّين[٣٠] وما يترتب عليه فالشهيد يُغفر له كل ذنب إلا الدَّين.[٣١]

وكان النبي ﷺ يستعيذ بالله من الدّين ويقول: اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمَغْرَم. فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ يا رسول الله من المَغْرَم! فقال ﷺ: (إن الرجل إذا غَرِمَ حدّث فكذب ووعد فأخلف)[٣٢]. وقال ﷺ: (نَفْسُ المؤمن مُعلّقة بدَيْنه حتى

(٢٩) أخرجه البخاري: "كتاب الحوالات، باب الكفالة في القرض والديون": (٢١٩٧).

(٣٠) راجع هذا كله كتاب "الاستدانة" للمؤلف.

(٣١) أخرجه الإمام مسلم: "باب الإمارة": (٧/ ٢٢) برقم: (٤٧٥٣).

(٣٢) أخرجه البخاري: "كتاب الاستقراض": (٥/ ٧٤) برقم: (٢٣٩٧).

يُقضى عنه)[٣٣]. بل كان النبي ﷺ يقول: (أعوذ بالله من الكُفر والدَّين. فقال رجل: يا رسول الله أتعدل الكفر بالدّين! قال نعم"[٣٤]. ولعل المقصود كُفران النِّعمة، فالذي يستدين كثيرًا ينتهي به الأمر إلى السُّخط وعدم الرضا بما رزقه الله، كذلك شجع الإسلام على التيسير على المُعسر وإنظاره والوَضْع عنه، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، وعن أبي مسعود البدري قال: قال رسول الله ﷺ: (حُوسِب رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيءٌ، إلاَّ أَنَّهُ كَان يُخَالِطُ النَّاس، وَكَانَ مُوسِرًا، وَكَانَ يأْمُرُ غِلْمَانَه أنْ يَتَجَاوَزُوا عَن المُعْسِر. قال: قَالَ اللَّه عزَّ وجَلَّ: "نَحْنُ أحقُّ بِذَلكَ مِنْهُ، تَجاوَزُوا عَنْهُ")[٣٥]. وعن رسول الله ﷺ: (من سَرّهُ أن يُنَجّيَه الله من كَرْبِ يوم القيامة، فَلْيُنَفّسْ عن مُعْسِر أو يَضَعْ عنه)[٣٦].

وهذا حَدِيثِ جَابِرِ الطَّوِيلِ وَقِصَّةِ أَبِي الْيَسَرِ. عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الأَنْصَارِ، قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا

---

(٣٣) أخرجه الإمام أحمد، انظر الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تأليف: الشيخ: أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي ;: (١٥/ ٩١)، وهو حديث حسن، رواه الترمذي.

(٣٤) أخرجه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي: (١/ ٥٣٢، ورواه الإمام أحمد، راجع الفتح الرباني: (١٥/ ٨٧).

(٣٥) أخرجه الإمام مسلم في كتاب: "المساقاة، باب فضل إنذار المعسر": (٥/ ٣١٠)، وما بعدها: (٣٨٦٢، ٣٨٦٦).

(٣٦) أخرجه الإمام مسلم: "كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر".

أَبَا الْيَسَرِ، صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَهُ غُلامٌ لَهُ، مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ، وَعَلَى أَبِي الْيَسَرِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيَّ، وَعَلَى غُلامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيَّ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا عَمِّ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ سَفْعَةً مِنْ غَضَبٍ، قَالَ: أَجَلْ، كَانَ لِي عَلَى فُلانِ ابْنِ فُلانٍ الْحَرَامِيِّ مَالٌ، فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ، فَسَلَّمْتُ، فَقُلْتُ: ثَمَّ هُوَ؟ قَالُوا: لا، فَخَرَجَ عليَّ ابْنٌ لَهُ جَفْرٌ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ: سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي، فَقُلْتُ: اخْرُجْ إِلَيَّ، فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ، فَخَرَجَ، فَقُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنِ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟ قَالَ: أَنَا، وَاللَّهِ أُحَدِّثُكَ، ثُمَّ لا أَكْذِبُكَ، خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ أُحَدِّثَكَ فَأَكْذِبَكَ، وَأَنْ أَعِدَكَ فَأُخْلِفَكَ، وَكُنْتَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكُنْتُ وَاللَّهِ مُعْسِرًا قَالَ: قُلْتُ: آللَّهِ قَالَ: اللَّهِ قُلْتُ: آللَّهِ قَالَ: اللَّهِ قُلْتُ: آللَّهِ قَالَ: اللَّهِ قَالَ: فَأَتَى بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاهَا بِيَدِهِ، فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتَ قَضَاءً فَاقْضِنِي، وَإِلا، أَنْتَ فِي حِلٍّ، فَأَشْهَدُ بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ– وَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ– وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا– وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ– رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ)[٣٧].

ما يستفاد من الحديث

١- التأخر في سداد الدين من القادر ظُلم.
٢- أن ذلك يُحِل ذِكره بالسوء.

---

(٣٧) حديث رقم: (٣٠٠٦) من كتاب صحيح مسلم: "كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، باب حديث جابر الطويل وقصة أبو اليسر".

٣- وكذلك يُحل حبسه وعقوبته.
٤- أن المدين إذا أحال الدّين على قادر على السداد، فعلى الدائن قبول ذلك ندبًا أو وجوبًا، على خلاف في ذلك.
٥- سَعْيُ الإسلام لإيجاد مناخ اقتصادي سليم طاهر.
٦- حديث أبي اليَسَر يفيد التسامح عن الدَّين لغير القادر.
٧- الدَّين أدى بالرجل أن يختبئ في بيته.
٨- جواز القسم والتأكيد.

الحديث الحادي عشر

باب: عدم العدل بين الأولاد ظلم

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن أباه أتي رسولَ اللهِ ﷺ بابنِه النُّعمان يَحملُه، فقال: يا رسولَ اللهِ إني نَحلتُ ابني غلامًا، وأنا أحبُّ أَنْ تشهدَ. فقال: (لك ابنٌ غيرُه؟ قال: نعم. فقال: كلُّهم نَحلتَ مثلَ الذي نَحلْتَه؟ قال: لا. قال: إني لا أشهدُ على جَورٍ).

وفي رواية: (أفعلت هذا بولَدِكَ كُلِّهم؟ قال: لا، قال: اتقوا الله واعْدِلوا في أولادكم)، فرجع أبِي فَرَدّ تلك الصَّدقة.

وفي رواية: (يا بشير ألَك ولَدٌ سِوَى هذا؟ قال: نعم، قال: أَكُلَّهُمْ وَهَبتَ له هذا؟) قال: لا، قال: (فلا تُشهِدْنِي إذنْ، فإنِّي لا أَشهَد على جُور).

وفي رواية، قال: (لا تُشْهِدْنِي على جُور).

وفي رواية، قال: فَرُدّه، وفي رواية: فَارْجِع.

وفي رواية، قال: (اتقوا الله واعدلوا في أولادكم).

وفي رواية، قال: (فليس يصلح هذا. فإني لا أشهد إلَّا على حق).

تخريج الحديث

(الفتح: ٥/ ٣٠٦، برقم: (٢٦٥٠)، البخاري: "كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور"، ٥/ ٤٦، برقم: (٤٠٤٢)، وأخرجه مسلم: "كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد"، برقم: (١٦٢٣) باختلاف يسير.

معاني المفردات

الجُور: الظلم يقال جار في حكمه؛ أي ظلم، وجار على أبناء قومه ظلمهم.

نَحَلْتُ: أعطيت بدون غرض.

أَشْهِدْ غَيْرِي: تَبَرّأَ، وهو تهديد وليس إباحَة.

المعنى الإجمالي

نعيش الآن مع واقعة قد تحدث كثيرًا في حياتنا، وهو مِيلُ قلب الأبِ لأحد أولادِه ذَكَرًا كان أم أُنثى، وقد يكون له سببٌ ظاهريٌّ، مثل: تفوق أحدهم في الدراسة، أو له مكانة مرموقة، وقد يكون عطفًا عليه، وإذا كان الرجل قد تزوج من أكثر من امرأة، فقد يكون السبب الميل لأم الولد، والخضوع لها مع التزيين الذي تُزيِّنُه النّفْس، وقد تكون هناك أسباب غير ذلك، فما ذكرت إنما لضرب المَثَل وليس للحصر، وكما يحدث هذا من الرجل يحدث أيضًا من الأمهات، وفي هذه الحالة يغفل الأب كما تغفل الأم، أنّ العلاقة مع الأولاد هي بسبب البنوة؛ لا بسبب تفوق علمي أو مركز وظيفي أو قدرة مالية، وإنما السبب

نطفة كانت من الرجل ورحم المرأة تَرَبّى فيه الجنين، هذا الأمر تساوى فيه كل الأبناء، ولذلك قال الله تعالي في آيات المواريث ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، ما قال الذّكي أو القوي أو الغني أو غير ذلك، وإنما جعل العلاقة أُبوّة وأُمومة من جهة، وبُنُوّة من جهة أخرى، حتى لو كان هذا الابن أو البنت عاقًّا لوالديه، فلا يؤثر ذلك في نصيبه في الميراث.

إن قصة هذا الحديث أن عَمْرَةَ بنت رَوَاحَة سألت زوجها البشير أن يمنح ولدها عَطِيّة، فلما رغب في ذلك، قالت له عمرة وكانت فقيهة: لا أرضى أن تعطي ابني هذا دون إخوانه حتى تشهد رسول الله ﷺ فذهب البشير إلى النبي ﷺ يشهده فكان هذا الحديث، سأله النبي ﷺ: هل لك أولاد؟ فأجاب البشير: نعم، فسأله النبي ﷺ: هل أعطيت كل أولادك كذلك؟ فقال البشير: لا، فما كان جواب النبي ﷺ؟

اتقوا الله واعدلوا في أولادكم.

لا تشهدني إذنْ، فإني لا أشهد على جور.

لا تشهدني على جور.

اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم، (ثلاثًا).

أليس يسرك أن يكونوا لك في البر سواء.

أشهد غيري.

فأشهد على هذا غيري.

إجابات كلها تحمل الرفض القاطع للشهادة على هذا الظلم (الجور)، وتطلب العدل بين الأولاد، وبيان أمر هام، وهو: ألا تحبون أن يكونوا لكم في البر سواء؟ أما قول النبي ﷺ: (أشهدْ غيري) فهي من رواية ابن ماجه، فكيف بها تقف أمام رواية الصحيحين؟ فإنها على سبيل التهديد وليس للإباحة، ومَن مِن الصحابة يرضى أن يشهد على شيء امتنع رسول الله ﷺ من الشهادة عليه!

إن العدل بين الأبناء مطلوب، حتى في البَسْمة والسُّرور وفي المأكل والمشرب وكل الأمور.

وهناك أمور لا يمكن العدل فيها؛ لأنها خارجة عن الإرادة، تفرضها وقائع الحياة، كأن يكون أحد الأبناء مريضًا يستلزم العلاج، فلا يقال: أعط الآخرين مثل قيمة العلاج، أو هذا دراسته تتطلب نفقات أكثر من الآخر، فهذه وقائع حياتية لا شأن لها بالعدل، وإنما العدل في القلب وما يهوَى، وما نعيشه من ماديات وغيرها.

وقد ورد عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا كان عند النبيِّ ﷺ، فجاء ابنٌ له فقبَّله وأجلسه على فخِذِه وجاءته بنتٌ له فأجلسها بينَ يدَيه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: (ألَا سوَّيتَ بينهم؟).(٣٨)

(ألا سَوّيْت بينهما، وفي رواية: فهلَّا عدلت بينهما).

إلي هذه الدرجة مطلوب العدل، مع أنه قد يقال: هذه ابنة والحياء يمنع جلوسها على فخذه وما شابه ذلك.

ولذا فإن الشيطان يَسلُك طرقًا كثيرة للتمييز بين الأولاد، فهذا يساعدني في العمل، وهذه زوجه تقوم على خدمتي في كبر سني، وهذه ابنتي التي ترعاني، ويسعى الآباء للتمييز في ذلك، نعم لك أن تُعَوِّضَهم عَمّا يشترون لك، أو تعطيهم هدايا مقبولة، واعلم أن ما ينتظرهم عند الله خير وأبقي.

وهذا موضوع مشاكله كثيرة، يصعب حصرها من جهة الآباء أو الأمهات، وكذلك من جهة الأولاد، والدافع له الهوى، وعدم تسليم الرقاب إلى دين الله.

واعلم أن شعور الأبناء بتفضيل أحدهم عليهم، قد يؤدي إلى التهلكة قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ

(٣٨) مجمع الزوائد: (١٥٩/٨)، رواه البَزّار، فقال: حدثنا بعض أصحابنا، ولم يُسَمِّه وبقية رجاله ثقات.

اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف ٩: ٨].

ما يستفاد من الحديث

١- وجوب العدل بين الأبناء.

٢- تمييز أحد الأولاد أو بعضهم بدون سبب واضح هو ظلم (جور).

٣- المسلم يجب عليه ألا يشهد على الظلم والجور.

٤- إذا استشكل أمر على المسلم عليه مراجعة أهل العلم.

٥- أن العدل مطلوب بين الأولاد، حتى في الابتسامة والجلسة والمُداعبة والمُلاطفة وغير ذلك.

٦- أن الفعل الباطل يؤدي إلى نتيجة غير طيبة، فقد قال النبي ﷺ: (ألا تحبون أن يكونوا لكم في البر سواء؟!).

٧- نزغات الهوى والنفس والشيطان في هذا الباب كثيرة.

٨- السعي لإشهاد أهل التقوى على الأعمال.

٩- سبل الشيطان كثيرة فلا بد من الحذر.

١٠- النفس تبرر لصاحبها العمل الباطل.

١١- فضل المرأة الصالحة.

١٢- قبول الرجل لمشورة زوجه فيما فيه صلاح.

الحديث الثاني عشر

باب: يُرفَع الإيمان من قلب مَن أخذ ما لا يستحق وأمور أخرى

عن عدي بن ثابت قال: سمعت عبد الله بن يزيد الأنصاري، وهو جده أبو أمه قال: (نَهَى النبي ﷺ عَنِ النُّهْبَةِ والمُثْلَةِ).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إليه فيها أبْصارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُها وهو مُؤْمِنٌ)، وعَنْ سَعِيدٍ، وأَبِي سَلَمَةَ، عن أبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النبيِّ ﷺ مِثْلَهُ إلا النُّهْبَةَ.

تخريج الحديث

أخرجه الإمام البخاري في "كتاب المظالم، باب النُّهبى بغير إذن صاحبه"، وقال عبادة بايعنا النبي ﷺ أَلَّا نَنْتَهِبَ، فتح الباري: (١٤٢/٥)، برقم: (٢٤٧٤)، ورواه برقم: (٥٥٧٨).

وبرقم: (٦٧٧٢)، "كتاب الحدود، باب الزنى وشرب الخمر".

ورقم: (٦٨١٠) "كتاب الحدود، باب إثم الزُّناة"، وليس فيه النهبة.

وأخرجه الإمام مسلم في: "كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي

كماله"، وفيه بعد أن ذكر الزاني والسارق وشارب الخمر، وكان أبو هريرة يُلحِق معهن: (ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن).

وعند مسلم أيضًا في رواية همام: (يرفع إليه المؤمنون أعينهم فيها، وهو حين ينتهبها مؤمن)، وزاد (ولا يَغُل أحدكم حين يَغُل وهو مؤمن، فإيَّاكم إيّاكم).

وفي رواية: (والتوبة معروضة بعد).

الأحاديث: (ج١/ ص١٧٣)، وما بعدها، برقم: (٥٢ إلى ٥٩).

وروايات البخاري، وروايتان عند مسلم، تُثبت أن النُّهبَة في أصل الحديث، وليست من زيادات أبي هريرة رضي الله عنه.

معاني المفردات

النُّهبة: المال المأخوذ من صاحبه جَهرًا وقَهْرًا، وهو غير السّرقة، فالسرقة أخذ المال سِرًّا وخُفية؛ أما النُّهبة فهي أشد من السرقة لزيادة الجرأة فيها وعدم المبالاة، وفيها كَسْرٌ لقلب مَن انْتُهِبَ مالُه.

المعنى الإجمالي

هذا الحديث يكشف عن أمور عظيمة يرتكبها الناس، منها: الزنى وشرب الخمر والسّرقة والنُّهبة، وفاعل ذلك يُنزع الإيمان من قلبه، في حال هذا الفعل المُحَرّم.

ولقد عشت ورأيت كيف يتم ذلك عن طريق التأميم، الذي يسلب الإنسان من كل ما يملك دونَما سبب، وفرق بين التأميم الذي هو مصادرة الأملاك المشروعة من أصحابها قَهْرًا بغير حق، وبين محاسبة الإنسان، إذا كان ما يملكه مُحرّمًا، أو حصل عليه بطريق حرام.

وكذلك مصادرة أموال الجمعيات الخيرية، وغيرها وتسليمها لمن يسيء استخدامها، وأنواع أخرى كثيرة من الظلم.

وورد في الحديث (يَرْفَعُ النَّاسُ إليه فيها أبْصارَهُمْ) وهذا دليل على عظم هذه النّهبة، فكم من أراضٍ وعمائر ومصانع تم أخذُها عُنوةً وظلمًا.

إن أخذ الأموال والاستيلاء عليها، مثلِ النهبة التي يرفع الناس أبصارهم إليها، وهذا يمثل أضراراً كثيرة على الجانب الاقتصادي، حيث يؤدي إلى انكماش اقتصادي، وهروب رءوس الأموال، ويسيطر على السوق الاقتصادي الظلمة والمنافقون، فالناس في هذا الوقت لا تأمن على أموالها، مما قد يؤدي إلى كساد اقتصادي وهروب الكفاءات المتميزة من دولة الظلم.

ويزداد الإثم والذنب حين يكون الحاكم هو الفاعل لذلك، فهو يستغل الحكم والقوة والسطوة للبطش بالناس في كل مناحي الحياة، في وقت مطلوب منه العدل، وقد قال رسول الله

ﷺ: (لا يَحِلُّ لمسلمٍ أنْ يَأخُذَ عَصا أخيه بغَيرِ طِيبِ نَفْسٍ)[٣٩] وذلك لشِدَّةِ ما حَرَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ مِن مالِ المُسلِمِ على المُسلِمِ.

والنُّهبة جريمة ومعصية وظلم، يجعل المظلوم متألمًا مقهورًا لما يحدث له، فيرفع يديه إلى السماء طالبًا حقَّه، سواء أخذه في الدنيا أو في الآخرة، يوم لا درهم ولا دينار. قال عبادة رضي الله عنه: (إنِّي مِنَ النُّقَبَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، بَايَعْنَاهُ علَى ألا نُشْرِكَ باللَّهِ شيئًا، ولا نَسْرِقَ، ولا نَزْنِيَ، ولا نَقْتُلَ النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ، ولا نَنْتَهِبَ، ولا نَعْصِيَ، بالجَنَّةِ إنْ فَعَلْنَا ذلكَ، فإنْ غَشِينَا مِن ذلكَ شيئًا، كانَ قَضَاءُ ذلكَ إلى اللَّهِ)[٤٠].

ونشير هنا إلى هذا الحاكم الظالم، الذي يُصدِر من القوانين ما يستحل به أموال الناس، ويظن بذلك أنه يطبق القانون، نعم هو قانون ظالم لا يحل حرامًا ولا يحرم حلالًا.

وما معنى: (وهو مؤمن) هل يرفع الإيمان نهائيا من القلب؟ أم يرفع مؤقتًا حال ارتكاب الجريمة؟ هذا الأخير الذي عليه أهل السنة؛ ولكن إذا استمر الإنسان في هذه الأفعال فمتى يعود الإيمان إلى القلب؟

---

(٣٩) مجمع الزوائد: ٤/ ١٧٤، وقال: رواه أحمد والبزار، ورجال الجميع رجال الصحيح.

(٤٠) البخاري: "كتاب مناقب الأنصار، باب وِفود الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وبيعة العقبة": (٧/ ٢٦٠) برقم: (٣٨٩٣)، ووَرَدَ في بعض الروايات: (ولا نقضي) بدلا من (نعصي).

والإنسان لا يعرف متى يأتيه الأجل، فربما حل به حال ارتكابه لإحدى هذه الجرائم- وما أكثرها- والإيمان قد رُفع من قلبه، فكيف يكون الحال حينئذ؟! وقد ورد في أحاديث أخرى: (ولا يَغُلُّ أحَدُكُمْ حِينَ يَغُلُّ وهو مُؤْمِنٌ، فإيَّاكُمْ إيَّاكُمْ)(٤١).

وورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (وَلا يَقْتُلُ وَهو مُؤْمِنٌ)(٤٢).

ومن المهم أن نذكر، أن الحديث اشتمل على جرائم هي غاية في القبح، وهي الزنى والسرقة وشرب الخمر، التي ورد بها نصوص قاطعة في الكتاب والسنة، وكأن النهبة قرينة لذلك.

ونشير كذلك إلى أن باب التوبة مفتوح، ومن شروطها: رد المظالم إلى أهلها عينًا إذا كانت موجودة أو عِوضًا، مع طلب العفو من المظلوم، والعزم على عدم العودة لذلك.

ولقد اهتم الإسلام بحرمة المال؛ لأن استقرار الجانب الاقتصادي هام جدا؛ ولذا نجد النبي ﷺ يقول: (من قُتل دون ماله فهو شهيد)(٤٣).

---

(٤١) مسلم: (١/ ١٧٦) برقم، (٥٧)، "كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي".

(٤٢) البخاري: "كتاب الحدود، باب إثم الزناة: (١٢/ ١١٦) برقم، (٦٨٠٩).

(٤٣) أخرجه البخاري في "كتاب المظالم، باب من قتل دون ماله": الفتح (٥/ ١٤٧)، برقم: (٢٤٨٠). وخرجه الإمام مسلم في صحيحه: "كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق، كان القاصد مُهدر الدم في حقه، وإن قُتل كان في النار، وأن من قُتل دون ماله فهو شهيد" (١/ ٢٥٣)، برقم: (٢١٨)، والحديث السابق له عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخْذ مالي؟ قال: (فلا تعطه مالك).

ما يستفاد من الحديث

١- التحريم الشديد للجرائم: السرقة والزنى وشرب الخمر.
٢- تَساوي النُّهبة مع هذه الجرائم في التَّحريم الشَّديد.
٣- أن النُّهبة نوع من الظلم.
٤- أن انتشار ذلك يؤدي إلى فساد اقتصادي في الدولة.
٥- أن الفشل والانحلال يلحقان بهذه الجرائم.
٦- أن الإيمان يُنزع من فاعلي هذه الجرائم حين الوقوع فيها.
٧- خطورة التّمادي في ذلك.
٨- أن باب التوبة مفتوح، ومن شروطها رد الحقوق إلى أهلها.

قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: (قاتله). قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: (فأنت شهيد). قال: أرأيت إن قتَلته؟ قال: (هو في النار) (١/ ٢٥٣) برقم: (٢١٧). وإيراد هذا الحديث واضح جَلِي، فإن أخذه بدون حق ظلم واضح، لكن ليس لصاحب المال حق تعمد قتله، وورد (من قتل دون ماله مظلوماً فهو شهيد) أورده في الفتح عند الشرح.

الحديث الثالث عشر

باب: مَنْ كانت عليه مظلمة فليسارع بالتحلل منها

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (مَن كَانَتْ له مَظْلَمَةٌ لأخِيهِ مِن عِرْضِهِ أَوْ شيءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليَومَ، قَبْلَ أَلا يَكونَ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ، إنْ كانَ له عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ منه بقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وإنْ لَمْ تَكُنْ له حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِن سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عليه).

تخريج الحديث

أخرج الإمام البخاري الحديث في "كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته"؟ الفتح (١٢١/٥)، برقم: (٢٤٤٩).

وأورده في "كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة" برقم: (٦٥٣٤).

المعنى الإجمالي

هذا الحديث فيه دعوة لكل من عليه مظلمة لأحد، أن يسارع إلى طلب العفو ممن أخطأ في حقِّهم، وقوله في هذه الرواية: (مَن كَانَتْ له مَظْلَمَةٌ لأخِيهِ) فكلمة (له) هنا بمعني (عليه)، وقد وردت صريحة في رواية "كتاب الرقاق، باب من كانت عنده مظلمة لأخيه"، وقوله: (مِن عِرْضِهِ أَوْ شيءٍ) هو من باب العام بعد الخاص، فكلمة شيء للعموم.

ويحث النبي ﷺ الظالم أن يتحلّل من ظُلم أخيه، في المال أو الغيبة أو النميمة أو غير ذلك، وأكثر الشروح لكلمة من عِرضِه أي الغِيبة؛ ولكن هناك أمور قد تَمَسُّ العِرض أكبر من هذا بكثير، ولا يمكن الإفصاح عنها، ولكن ماذا لو كان الإفصاح حتى في مثل الغيبة، قد يترتب عليه ضرر شديد، أو قطيعة رحم؟ هنا عليه أن يَذكره بالخير في المواطن التي اغتابه فيها، وأن يُكثِر من ذكره بالحسنى، وكذلك بالدعاء له والاستغفار عنه.

إن الإسلام حريص على أداء الحقوق، ويهدف إلى إيجاد مجتمع تسوده صفات التراحم والمَودَّة والأُلفَة، وينتشر فيه الخير بكل ما فيه من الرحمة والمودة والمحبة، والإسلام يرمي إلى عدم رمي الناس بالباطل وعدم الاعتداء، وأداء صلة الأرحام وبر الوالدين وحق الجيران.

كما يدعونا هذا الدين القيّم، إلى عدم الخِداع والمماطلة في أداء الحقوق لأهلها، وطلب التّحلُّل منها وطلب العفو والصفح ممن أخطأنا في حقِّهم، ويَذْكُر لنا بأن الدَّار الآخرة لا درهم فيها ولا دينار؛ إنّما هيَ الحسنات والسيئات، فإن كان عند المحسن حسناتٌ أخذ منه لمن أساء في حقهم، وإن لم يكن عنده حسنات أُخِذ من سيئاتِهم فَضُمّت إلى سيئاته.

ولكن يدور بخاطري أمور:

فلقد سَطَّر الشاعر هاشم الرفاعي هذه الأبيات:

أبتاه ماذا قد يخـــــطُّ بَناني والحبلُ والجلادُ ينتظران
هذا الكتابُ إليكَ مِنْ زَنْزانَةٍ مَقْرورَةٍ صَخْرِيّةِ الجُدْران
لَمْ تَبْقَ إلاّ ليـــــلةٌ أحْيا بِها وأُحِسُّ أنّ ظلامَها أكفانيَ
سَتَمُرُّ يا أبتاهُ لستُ أشكُّ في هذا وتَحمِلُ بعدَها جُثماني
الليلُ مِنْ حَولي هُدوءٌ قاتِلٌ والذكرياتُ تَمورُ في وِجْداني
وَيَهُدُّني أَلمي فأنْشُدُ راحَتي في بِضْعِ آياتٍ مِنَ القُرآن

إلى أن يقول:

وَإذا سَمعْتَ نَشيجَ أُمِّيَ في الدُّجى تَبْكي شَبابًا ضاعَ في الرّيْعان
وتُكَتِّمُ الحَسراتِ في أَعْماقِها أَلَمًا تُواريهِ عَنِ الجِيرانَ
فَاطْلُبْ إليها الصّفْحَ عَنّي إنّني لا أَبْتَغي مِنَها سِوى الغُفْرانَ

ويقول العلامة يوسف القرضاوي:

فترى العساكر والكلاب معدة للنّهْشِ طَوْعَ القائد المَفتون
هذه تعض بأنيابها وزميلها يَعْدو عَليك بسَوطِه المَسْنون

إلى أن يقول:

أسمعت بالإنسان يُنفَخ بطنُه حتى يُرى في هيئة البالون؟
أسمعت بالإنسان يُضغط رأسُه بالطَّوْق حتى ينتهي لجنون؟
أسمعت بالإنسان يُشعَل جسمُه نارًا وقد صَبَغوه بالفَزْلين؟
أسمعت ما يَلقى البَريء ويَصْطَلي حتى يقول:

أنا المسيء خذوني؟
أسمعت بالآهات تخترق الدُّجَى رَبّاه عَدْلَك.. إنهم قَتَلُوني؟
إن كنت لم تسمع فَسَلْ عَمّا جرى مثلي ولا ينبيك مثل سجين

لقد نشرت الصحف أن مستشارًا بمحافظة المنيا، أصدر حكمًا بالإعدام على أكثر من خمسمائة سجين في ثلاثة أيام فقط.

وأما السؤال: كيف يَتَحَلَّلُ مثل هؤلاء من كل هذه الظُّلامات؟ كم من قضية نُفِّذ فيها حكم الإعدام في شباب، ثم تبينت براءتهم؛ بل في أبرياء أعدموا رغم ثبوت براءتهم من بداية المحاكمة، وربما.. بلا محاكمة!!

ما يستفاد من الحديث

١- خُطورة المَظالِم.

٢- المظالم كثيرة وورود لفظ: (شيء) للعموم.

٣- خطورة مظلمة العِرض؛ لذا جاء تَخصيصُها بعد العُموم.

٤- يوم القيامة لا يوجد درهم ولا دينار.

٥- قصاص يوم القيامة حسناتٌ وسيئاتٌ.

٦- إذا نفدت حسنات الظالم، تحمل من ذنوب من ظَلمهم.

٧- رحمة النبي ﷺ بالأمة؛ لذا يدعوهم إلى سرعة تَحلُّل النّاس من مَظالِمِهِم.

الحديث الرابع عشر

باب: من حقِّ الطّريق إعانةُ المظلوم

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: (إيَّاكم والجُلوسَ في الطُّرُقاتِ)، قالوا: يا رسولَ اللهِ، ما لنا من مجالِسِنا بُدٌّ، نتحَدَّثُ فيها، قال: (فأمَّا إذْ أَبَيْتم إلا المَجلِسَ، فأَعْطوا الطريقَ حقَّه)، قالوا: يا رسولَ اللهِ، فما حقُّ الطريق؟ قال: (غَضُّ البَصَرِ، وكفُّ الأَذَى، ورَدُّ السلامِ، والأَمرُ بالمعرُوفِ، والنَّهْيُ عنِ المُنكَرِ).

تخريج الحديث

أخرجه الإمام البخاري في: "كتاب المظالم، باب أفنية الدور والجلوس على الصعدات"، الفتح: (٥/ ١٣٤)، برقم: (٢٤٦٥)، كما أورده في كتاب الاستئذان، برقم: (٦٢٢٩) "باب قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الحجرات: ٢٧].

معاني المفردات

الحَقُّ: ما وَجَبَ ولَزِمَ وثَبَتَ، وهو أمر يُقِرُّه الشّرع من أجل تحقيق مصلحة مُعيَّنة.

الطريق: هو السبيل، وهو المَمَرُّ الواسع، ومنه ما هو خاص وعام، وفي الاصطلاح: المكان المُخصّص لسَيْر الناس، أو المَواشي أو المَراكِب أو السُّفن أو الطائرات، في الأرض أو الجو أو البحر.

المعنى الإجمالي

هذا حديث عظيم الشأن جَليل القَدْر، ليس فقط في خصوص الظُّلم؛ بل إنه يضع قاعدةً جَليلة مع أحاديث أخرى بشأن الطُّرُق وحُقوقِها، فإن من علامات تَقدُّم الأُمَم ورُقِيِّها، الاهتمام بالطُّرق العامّة الرئيسية منها والفرعية، التي يَسلكُها الناس في حياتهم لقضاء مصالحهم، وفي بعض الدُّوَل أصبح للطرق وزارات خاصة بها، ما يدل على أهمِيّتِها.

وقد بين الإسلام حقوق الطُّرق، وهي مجموعة القَواعِد والمَطالِب والأوامر الشرعية، التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، لتنظيم علاقات الناس بالطريق ومرافقه وسالِكِيه، على وجه الوُجوب والإلزام أو الاستحباب.

وقد جَمع ابن حجر العسقلاني ذلك في نَظْمٍ:

جَمَعْتُ آدَابَ مَنْ رَامَ الْجُلُوسَ عَلَى ... الطَّـــرِيقِ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْخَلْقِ إِنْسَانَا

أَفْشِ السَّلامَ وَأَحْسِنْ فِي الْكَـــلامِ ... وَشَمِّـــتْ عَاطِسًا وَسَلامًا رُدَّ إِحْسَانَا

فِي الْحَمْلِ عَاوِنْ وَمَظْلُومًا أَعِـــنْ ... وَأَغِثْ لَهْفَانَ وَاهْدِ سَبِيلا وَاهْدِ حَيْرَانَا

بِالْعُرْفِ مُرْ وَانْهَ عَنْ مُنْكرٍ وَكُفَّ أَذًى وَغُضَّ طَرْفًا
وَأَكْثِرْ ذِكْرَ مَوْلانَا(٤٤)

ومما ورد في الحديث:

غَضُّ البَصر: وهو مَنع الظُّلم الذي يُدْرَك بالعين.

كَفُّ الأذى: بأي سبيل من السُّبل، بالكلام أو غيره.

رَدُّ السّلام: حتى تنتشر المَحَبّة.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد ورد في حديث البراء: (مَرَّ رسولُ اللهِ ﷺ على مَجلسٍ مِن الأنْصار، فقال: إنْ أبَيتُم إلا أنْ تَجلِسوا، فاهْدوا السَّبيلَ، ورُدُّوا السَّلاَمَ، وأعِينوا المَظلومَ)(٤٥).

ولو نظرنا في صُوَر الأذى، التي هي في نفس الوقت ظُلم، نجد صورًا مُتَعدِّدَة منها:

– التسابق بالسيارات وما يسمى في الدول العربية (بالتّفْحِيط).

---

(٤٤) الفتح: (١١/ ١٣).

(٤٥) رواه الترمذي: "كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في الجالس على الطريق" برقم: (٢٧٢٧) عن أبي إسحاق السبيعي عن البراء، قال: ولم يسمع منه في الاستئذان، "باب ما جاء في المجالس على الطريق" وإسناده منقطع؛ لكن للحديث شَواهِد بمعناه فهو بها حسن.

– إلقاء فَوارِغ المُعَلّبات، والنِّفايات وأكياس القمامة في غير أماكنها.

– رَفْع الصّوْت وآلات التنبيه والأجهزة الصوتية.

– تَجاوُز إشارات المرور.

– تَرْكُ الحُفَر والبلاعات في الطُّرُقات.

– اصطحاب الكلاب الشّرسة التي تؤذي الناس.

– اتِّخاذ الشّوارع مَلاعِب.

وغير ذلك كثير، مما يترتب عليه ضَرَرٌ بالآخرين.

ولقد أورد الإمام البخاري أحاديث أخرى في: "كتاب المظالم" متعلقة بالطُّرق.

قَالَ هَمَّامٌ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (يُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ)(٤٦).

وتأتي هذه الأحاديث، لتبين بعض الأمور المُهِمّة المتعلقة بالطُّرق.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (دَخَلَ النبيُّ ﷺ المَسْجِدَ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ، وعَقَلْتُ الجَمَلَ في نَاحِيَةِ البَلاطِ، فَقُلتُ: هذا

(٤٦) صحيح البخاري: "بَابِ إِمَاطَةِ الْأَذَى" وَقَالَ هَمَّامٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: (يُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ).

جَمَلُكَ، فَخَرَجَ، فَجَعَلَ يُطِيفُ بالجَمَلِ، قالَ: الثَّمَنُ والجَمَلُ لَكَ)[٤٧].

ولعل هذا الحديث يبين إطلاق الحق في الطُّرُقات العامّة، في الوقوف فيها بوسائل المواصلات، وكيف أن وضع أشياء أمام بعض المتاجر لمنع الناس من المرور، يعتبر أمْرًا سيِّئًا يَمنَعُهم حَقَّهم، وللجِهات الإدارية وضْع ضوابط وقواعد لتنظيم ذلك.

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ خِرِّيتٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: (قَضَى النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَشَاجَرُوا فِي الطَّرِيقِ بِسَبْعَةِ أَذْرُعٍ)[٤٨].

هذا الحديث مَرْوِيٌّ لرفع النِّزاع، وبيان ذلك قوله: (إِذَا تَشَاجَرُوا) وهذه عادة تؤدي إلى درجات مختلفة من الظلم، فحكم النبي ﷺ لرفع ذلك، وليس المقصود أن الطُّرق تكون هكذا، فهذا أمْرٌ يَرجع إلى العادة والحاجة، وللدولة تقدير ذلك، وفيه اهتمام الإسلام برفع جميع صُور النِّزاع، والاهتمام بالجانب

---

(٤٧) أخرجه الإمام البخاري: "كتاب المظالم، باب من عقل بعيره على البلاط أو باب المسجد" (٥/ ١٤٠)، برقم: (٢٤٧٠)، وأخرجه الإمام مسلم الحديث: قصة بيع جابر لبعيره للنبي ﷺ في "كتاب المساقاة، باب بيع البعير واستثناء رُكوبِه": (٦/ ٢١)، برقم: (٣٩٦٣) وما بعده؛ ولكن موضع الشاهد ليس في رواية مسلم.

(٤٨) أخرجه الإمام البخاري: "كتاب المظالم والغَصْب، باب إذا اختلفوا في الطريق المَيْتاء- وهي الرحبة تكون بين الطريق ثم يريد أهلها البنيان، فترك منها للطريق سبعة أذرع"، الفتح: (٥/ ١٤١)، برقم: (٢٤٧٣). ورواه مسلم في صحيحه "كتاب المساقاة، باب قَدْر الطريق إذا اختلفوا فيه": (٦/ ٣٥)، برقم: (٤٠٠٤).

الحَضاري؛ ولكن هذا من الأمور التي تختلف من زمان ومكان إلى زمان ومكان آخر.

إن الطُّرق وسائل هامة، حتى إنه في الدولة الأُمَويّة كان هناك طرق للجهاد، وأخرى للبريد، وثالثة للتجارة، ورابعة للحج، وكانت هذه الطرق تتمتع بالأمن والأمان والحراسة، مما جعل الأنشطة المختلفة تنهض، والتجارة تأخذ حقها وحَظَّها في النُّمو.

إن منع جميع صور الظلم عن الطريق، من أهم عوامل أمان المجتمع، وهذا الأمان المُحَقِّق لأهداف المجتمع.

ومما لا شك فيه أن الاهتمام بالطرق مهم جدًّا، وهو مسئولية الفرد والمجتمع والدولة، والأحاديث فيها كثيرة جدًّا.

ما يستفاد من الحديث

١- سعي الإسلام لمجتمع طاهر القلب والجوارح.
٢- للطريق حقوق هامة.
٣- فرض غض البصر.
٤- أهمية كَفِّ الأذى.
٥- إعانة المظلوم.
٦- رَدُّ السلام.
٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٨- لكل شيء حق، ولا ينتفع المرء بالشيء إلا بأداء حقِّه.
٩- التقدم الحضاري الذي احتوته التشريعات الإسلامية للطرق.

١٠- أهمية إماطَة الأذى عن الطريق.
١١- إماطة الأذى من الصدقات.
١٢- حقُّ الوقوف في الطرق العامة مكفول للجميع.
١٣- تنظيم الدول في ذلك مُلزِم.
١٤- إذا اختلف في اتساع الطَريق فيكون سبعة أذرع.
١٥- للجهات الإدارية تنظيم الطرق بما فيه صالح المجتمع.
١٦- كمال الشريعة وشُمولُها.

الحديث الخامس عشر

باب: درجات الظلم

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذلكَ علَى المُسْلِمِينَ، فقالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟! قالَ: ليسَ ذلكَ، إنَّما هو الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا ما قالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وهو يَعِظُهُ ﴿**يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣]؟).

تخريج الحديث

أخرجه الإمام البخاري: "كتاب الإيمان، باب ظُلْمٌ دون ظُلْمٍ"، برقم: (٣٢)، فأنزل الله تعالى: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣].

الشرح الإجمالي

هذا الحديث بيان لنَوعَيْن من الظلم؛ لذا قال البخاري: باب ظلم دون ظلم؛ فالظلم الأكبر هو الشرك بالله ﷻ.

ومن أنواع الظلم ظلم الإنسان لنفسه، لقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾ [فاطر: ٣٢]، وهناك ظلم الإنسان لأخيه الإنسان قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [الشورى: ٤٢]، وقد يُطلَق الظلم ويراد به المعصية، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن**

﴿كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، وحتى في الظلم الأكبر فإن الإنسان في حقيقته ظالم لنفسه؛ لأنه بذلك أوْرَدَها التّهلُكَة.

والحديث يتكلم عن الشرك وهو أكبر الظلم، وعُلِم من ترجمة البخاري له وجود أنواع أدنى في الظلم؛ لذا ناسب أن نُبَيّن ذلك كلّه فيما يلي:

١- تكسير النبي ﷺ للأصنام التي كانت حول الكعبة، فهي مُضادة للتوحيد.

عن عبد اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: دخَلَ النبيُ ﷺ مكةَ، وحولَ الكعبةِ ثلاثمائةٍ وستون نُصبًا، فجَعَلَ يطعنُها بعُودٍ في يدِهِ، وجَعَلَ يقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ...﴾ الآية[٤٩].

ومن أعظم الظلم أن تبقى هذه الأصنام، حول الكعبة المُشرّفة، علامة على الكفر والإلحاد، إن كسر هذه الأصنام حق لا شبهة فيه، فهي ضِد التوحيد الذي قامت عليه السماوات والأرض؛ ولكن للأسف فقد ورد: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَضْطَرِبَ أَلْيَاتُ نِساءِ دَوْسٍ علَى ذِي الخَلَصَةِ)[٥٠] صَنَم كان يُعبَد في الجاهلية!

والذي نود الإشارة إليه أنه في آخر الزمان تكثر الفتن، ويزداد الجهل، ويقل العلم، ولكن تبقى فئة من أهل الإيمان، يقل

---

(٤٩) أخرجه الإمام البخاري في: "كتاب المظالم، باب هل تُكسَر الدِّنانُ التي فيها خمر أو تخرق الرقائق"؟ (٥/ ١٤٥) رقم: (٢٤٧٨).

(٥٠) أخرجه الإمام البخاري: (كتاب الفتن، باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان" رقم: (٧١١٧).

عددهم فيكونوا غرباء في الأرض (بدأ الدين غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء)[٥١] أما انحسار الدين تمامًا من الأرض، فذاك عند اقتراب الساعة، تقوم على قوم ليس فيهم من يقول الله!

كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (قال الله ﷻ: "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة، وليخلقوا حبة، وليخلقوا شعيرة")[٥٢].

ولمنع هذا الأمر بأي وسيلة، أوْرَدَ البخاري حديث عائشة رضي الله عنها، في "كتاب المظالم: (أنها كانت اتخذت على سَهْوَةٍ سِترًا فيه تماثيل، فَهَتَكَهُ النبي ﷺ فاتخذت منه نُمْرُقَتَيْن، فكانتا في البيت يجلس عليهما): (٥/ ١٤٥)، رقم: (٢٤٧٩).

ولذا حَذّر النبي ﷺ فقال: (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا)[٥٣].

ولو مضينا في كتاب المظالم في صحيح البخاري، لوجدنا أمورًا كثيرة، قد لا نتخيل أنها تُعَدُّ من المظالم، أو من الغَصْب نَعرضُ لبعضها، حتى تتضح لنا خطورة أمور كثيرة تحدث منا، ويحذَرنا منها المعصوم ﷺ:

---

(٥١) صحيح مسلم: "كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً": (١/ ٢٦١) برقم: (٢٢٩).
(٥٢) مسلم: "كتاب اللباس والزينة: (٧/ ٢١٧)، برقم: (٥٤١١).
(٥٣) الفتح، برقم: (٣٣٨٠)، ومسلم برقم: (٢٩١٠).

عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بشَرَابٍ فَشَرِبَ منه، وعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ، وعَنْ يَسَارِهِ الأشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلامِ: (أتَأْذَنُ لي أنْ أُعْطِيَ هَؤُلاءِ؟ فَقَالَ الغُلَامُ: واللَّهِ يا رَسولَ اللَّهِ، لا أُوثِرُ بنَصِيبِي مِنْكَ أحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في يَدِهِ)(٥٤).

هذا حديث مهم جدًّا، والذي كان علي يمين النبي ﷺ عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والذي على يساره قيل: خالد بن الوليد، وقيل: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه تربية الأبناء وعدم تجاوز حقِّهم، والأيمن فالأيمن، وأن الحُقوق يمكن التّنازل عنها؛ إلا حق الله في الحُدود، وفيه مدى حب الجميع لحضرة النبي ﷺ.

وإيراد الإمام البخاري هذا الحديث في كتاب المظالم، فيه لطيفة رقيقة، وهي عدم الاستهانة بحقوق الآخرين، ولو كان غلامًا وفي أمرٍ يسير!

إن هذا الرقي في احترام الحقوق، ومن شخص النبي ﷺ، حينها يعلم كل وليّ أمرٍ أنه فردٌ من الرّعيّة، مُلزَم بكل القوانين والتعليمات والأخلاقيات الشرعية.

---

(٥٤) أخرجه الإمام البخاري في: "كتاب المظالم، باب إذا أذن له أو أحَلَّه ولم يبين كم هو"، الفتح: (٥/ ١٢٣)، برقم: (٢٤٥١)، وفي "كتاب الأشربة، باب هل يستأذن الرجلُ من عن يمينه في الشرب ليعْطي الأكبر؟ الفتح: ١٠/ ٨٩، برقم: (٥٦٢٠).

وأخرجه الإمام مسلم في: "كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المُبتَدي": (٨/ ١٣٦)، برقم: (٥١٦٤).

ونجد أمورًا تخص آداب الطعام؛ ولكن البخاري أوردها في كتاب المظالم والغصب.

كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يمر بنا فيقول: إن رسول الله ﷺ (نهى عن الإقران إلا أن يستأذن الرجل منكم أخاه)(٥٥).

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أبو شُعَيْب: وَكَانَ لَهُ غُلاَمٌ لَحَّامٌ فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَرَفَ فِي وَجْهِهِ الْجُوعَ فَقَالَ لِغُلاَمِهِ: وَيْحَكَ اصْنَعْ لَنَا طَعَامًا لِخَمْسَةِ نَفرٍ فإني أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوَ النَّبِيَ ﷺ خَامِسَ خَمْسَةٍ. قَالَ: فَصَنَعَ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَ ﷺ فَدَعَاهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ وَاتَّبَعَهُمْ رَجُلٌ فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ قَالَ النَّبِيُ ﷺ : (إِنَّ هَذَا اتَّبَعَنَا فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ). قَالَ نعم(٥٦).

وهذا يكشف عن مدى حساسية الإمام البخاري، أمام أي درجة من الظلم، أو الغصب، حتى إنه عَدّ من ذلك أن تأخذ تمرتين ومعك من يأكل، فبذلك تضيق عليهم في المأكل إلا أن يأذنوا، وكذلك إذا كنت ضيفا فلا تصحب معك أحداً إلا بإذن

(٥٥) البخاري في "الأطعمة، باب القران في التمر"، برقم: (٢٤٩٠)، ومُخرّج في الذي بعده.
(٥٦) النهي عن الإقران إلا بإذن، خرجه البخاري: من "كتاب المظالم": (٥/ ١٢٧)، رقم: (٢٤٥٥)، كما خرجه في "كتاب الشركة، باب القران في التّمر بين الشركاء"، الفتح ٥/ ١٥٦، رقم: (٢٤٨٩)، (٢٤٩٠)، وفي: "كتاب الأطعمة، باب القران في التمر"، الفتح: ٩/ ٤٨٢، برقم: (٥٤٤٦). وخرجه مسلم: "كتاب الأشربة، باب نهي الأكل مع جماعة عندكم تمرتين ونحوهما": (٧/ ١٥٢)، برقم: (٥٢٠٥) و(٥٢٠٧)، وحديث: (الرجل يدعى إلى طعام فيقول: وهذا معي) أورده البخاري في: "كتاب المظالم" في نفس المكان، وفي: "كتاب الأطعمة"، الفتح: (٥/ ٤٩٧)، رقم: (٥٤٦١).

صاحب البيت؛ لأن هذا مرهق لهم إلا أن يأذنوا، وانظروا من الذي يطلب الإذن إنه رسول الله ﷺ!

وإنني أرى أن هذا السلوك الرفيع، والهدي النبوي السّديد، هو من الأدب والسلوك الذي يرتقي بالمجتمع، ويجعله ذا أخلاق عالية، ويجعل فيه من الوضوح ما يرفع عن الصدور الحَرَجَ، إن هذه الأخلاق وأمثالها حين تسود المجتمع، وحين تتم باعتبارها أمورًا تشريعية، سنجد مجتمعًا سليم الخُلق طاهر القلب.

وسنقف مع مشاهد من كتاب المظالم عند البخاري.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: جَاءَتْ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ بن رَبِيعَةَ، فَقالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ، واللَّهِ، ما كانَ علَى ظَهْرِ الأرْضِ أهل خِبَاءٍ أحَبَّ إلَيَّ أنْ يَذِلُّوا مِن أهلِ خِبَائِكَ، وما أصْبَحَ اليومَ علَى ظَهْرِ الأرض أهل خِبَاءٍ أحَبَّ إلَيَّ أنْ يَعِزُّوا مِن أهل خِبَائِكَ، ثُمَّ قالَتْ: إنَّ أبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مِسِّيكٌ، فَهلْ عَلَيَّ مِن حَرَجٍ أنْ أُطْعِمَ مِنَ الذي له عِيَالَنَا؟ قالَ لَهَا: (لا حَرَجَ عَلَيْكِ أنْ تُطْعِمِيهِمْ مِن مَعروفٍ).

عن عقبة بن عامر قال قُلْنَا للنبيِّ ﷺ: إنَّكَ تَبْعَثُنَا، فَنَنْزِلُ بقَوْمٍ لا يَقْرُونَا، فَما تَرَى فِيهِ؟ فَقالَ لَنَا: (إنْ نَزَلْتُمْ بقَوْمٍ، فَأُمِرَ لَكُمْ

بما يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فإنْ لَمْ يَفْعَلُوا، فَخُذُوا منهمْ حَقَّ الضَّيْفِ)[٥٧].

هذان الحديثان من الأحاديث التي يَصعُب فَهْمُ إلْحاقهما بباب المظالم والغَصْب، ولعلّ السبب أن الإمام البخاري أراد أن يبين، أن أخذ المرأة قُوتَ أولادِها وحاجَتهم من يد الزّوج المُمْسِك لا يُعدُّ ظلما ولا غَصْبًا، ولعل هذا- أعني ضيافة العُمّال- كان قديما بسبب عدم وجود المطاعم والفنادق، ولأن الدُّوَل الآن تعطي لموظفيها عِوَضًا عن تكاليف سَفَرهم ومعيشتهم.

ولعمق الفهم عند البخاري، أورد هذه الأحاديث في كتاب المظالم والغصب.

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أبي وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَوْ قَالَ: (لَقَدْ أَتَى النَّبِيُّ ﷺ سُبَاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا)[٥٨].

---

(٥٧) الحديثان أخرجهما الإمام البخاري في: "كتاب المظالم، باب قصاص المظلوم إذا وجد مال مظلمته"، وقال ابن سيرين: يُقاصّه، وقرأ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ [النحل: ١٥٦]، الفتح: (٥/ ١٢٨)، برقم: (٢٤٦٠)، (٢٤٦١)، وأخرج حديث هند الإمام مسلم في: "كتاب الأقضية، باب قضية هند": (٦/ ١٦٠)، برقم: (٤٣٤٢).

أما الحديث الثاني، فقد أخرجه البخاري أيضا في: "كتاب الأدب، باب حق الضيف"، الفتح (١٠/ ٥٤٨)، برقم: (٦١٣٧).

وخرجه مسلم في: "كتاب اللُّقَطة، باب الضيافة ونحوها"، (٦/ ١٧٦)، برقم: (٤٣٨١).

(٥٨) هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في: "كتاب المظالم، باب الوقوف والبول عند سباطة قوم"، الفتح: (٥/ ١٤٠)، برقم: (٢٤٧١)، في: "كتاب الوضوء، باب البول قائمًا وقاعدًا"، الفتح: (١/ ٣٩١)، برقم: (٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦).

وأخرجه الإمام مسلم: "كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين": (٢/ ١١٠)، برقم: (٤٧٩).

وإيراد هذا الحديث في "كتاب الوُضوء والطهارة" واضح وجَلِيّ، لِتَعَلُّق ذلك بهذين، ولكن إيراده في "كتاب المظالم والغصب" قد يكون فيه لَبْسٌ، والذي يظهر لِي بيان جواز ذلك؛ لأن السُّباطة ما يلقى فيه النفايات، فليس هناك ضرر بالتبول فيها، على ألا يؤذي ذلك الجُدْران، وهذا من عمق فهم الإمام البخاري، وأن هذا الفعل لا يحتاج إلى إذن، وهنا لا أتعرض للأحكام الفقهية لهذا الحديث؛ إنما أعرض لسبب إتيان الإمام البخاري به في كتاب المظالم:

عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (حين تَوَفَّى اللهُ نبيّه ﷺ، إن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة فقلت لأبي بكر: انطلق بنا فجئناهم في سقيفة بني ساعدة)[٥٩].

والذي يظهر لي من إيراد هذا الحديث في كتاب المظالم عن الأماكن العامة، فإن الجلوس فيها الأصل أنه حق للجميع، إلا إذا كانت هناك قيود تضعها جهة الإدارة.

عن أبي هريرةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: (لا يمنعْ جارٌ جارَه أن يَغْرزَ خشبةً في جِداره)، ثم يقول أبو هريرة: ما لي أراكم عنها مُعْرِضين؟! والله لأَرْمِيَنّ بها بين أكتافكم[٦٠].

---

(٥٩) وقد أخرِجه الإمام البخاري في: "كتاب المظالم، باب ما جاء في السقائف وجلس النبي ﷺ وأصحابه في سقيفة بني ساعدة"، الفتح: (٥/ ١٣٠)، رقم: (٢٤٦٢).

(٦٠) هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في: "كتاب المظالم والغصب، باب لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره"، الفتح: (٥/ ١٣١)، برقم: (٢٤٦٣).

وقد اختُلِف في حكم هذا الحديث، هل هو على النّدب أم الوجوب؟ وفيه قولان للشافعي وأصحاب مالك رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، **أصحُّهما** في المذهبين النّدْب، وبه قال أبو حنيفة والكوفيون رَحِمَهُمُٱللَّهُ.

والثاني: الإيجاب، وبه قال أحمد وأبو ثور وأصحاب الحديث رَحِمَهُمُٱللَّهُ، وهو ظاهر الحديث، ومن قال بالندب قال: ظاهر الحديث أنهم تَوَقَّفوا عن العمل، فلهذا قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهم: "مالي أراكم عنها معرضين؟" وهذا يدل على أنهم فَهِموا منه النّدب لا الإيجاب. (النووي على مُسلم)، ولكن ابن حجر أجاب عن ذلك. وما أدري من أين له أن المعارضين كانوا أصحابه! وأنهم عدَدٌ لا يَجهَلُ مِثلُهم الحُكْمَ".

وهذا الحديث في سد حاجة المحتاج، بدون إضرار واقع على صاحب الجدار، ولعل الإمام البخاري بإيراده الحديث في "كتاب الظلم" يميل إلى الوجوب.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: (كُنْتُ سَاقِيَ القَوْمِ في مَنْزِلِ أبِي طَلْحَةَ، فَنَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ، فأمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى، فَقالَ أبو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَانْظُرْ ما هَذا الصَّوْتُ، قالَ: فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ: هذا مُنَادٍ يُنَادِي:

وفي: "كتاب الأشربة، باب الشُّرب من فَمِ السِّقاء"، الفتح: (١٠/ ٩٢)، برقم: (٥٦٢٧).

عن عكرمة: (ألا أخبركم بأشياء قِصارٍ حَدَّثَنِيها أبو هريرة؟ نهى النبي ﷺ عن الشُّرب من فم القربَة أو السِّقاء، وأن يمنع جارَهُ أن يَغرِزَ خشبة في جِداره).

وأخرجه الإمام مسلم في: "كتاب المساقاة، باب غَرْز الخشب في جدار الجار": (٦/ ٣٢)، برقم: (٣٩٩٥).

ألا إنَّ الخَمْرَ قدْ حُرِّمَتْ، فَقالَ لِي: اذْهَبْ فأهْرِقْهَا، قالَ: فَجَرَتْ في سِكَكِ المَدِينَةِ، قالَ: وكَانَتْ خَمْرُهُمْ يَومَئِذٍ الفَضِيخَ، فَقالَ بَعْضُ القَوْمِ: قُتِلَ قَوْمٌ وهْيَ في بُطُونِهِمْ، قالَ: فأنْزَلَ اللَّهُ: ﴿**ليسَ علَى الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا**﴾ [المائدة: ٩٣] (٦١).

وفي هذا الحديث بيان لأمر مهم، هو إرساء قاعدة قانونية: "لا عقوبة إلا بنَص"، لذا حين نزل تحريم الخمر قال بعض الصحابة: (إن قوما ماتوا أو قتلوا وهي في بُطونهم، فنزلت الآية المذكورة في الحديث مُبَيِّنَةً أنه لا حساب عليهم؛ لأنه لم يكن هناك نَص بالتحريم، وكذلك حين حُوِّلَت القِبلة إلى المسجد الحرام، وكان قد مات من مات ولم يُصَلِّ إليها، فتحيّر بعض الصحابة، فنزل قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**﴾ [البقرة: ١٤٣].

إن هذا الأمر، (لا عقوبة إلا بنَص) هو أساس العَدل وعكسه ظلم، ولعل هذا المفهوم كان في إحساس وقلب الإمام البخاري، حين أورد هذا الحديث في كتاب المظالم بالإضافة لما سبق والله أعلم.

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى نِيرَانًا تُوقَدُ يَوْمَ خَيْبَرَ قَالَ: (عَلَى مَا تُوقَدُ هَذِهِ النِّيرَانُ)؟ قَالُوا: عَلَى الْحُمُرِ

(٦١) أخرج الحديث الإمام البخاري في: "كتاب المظالم، باب صب الخمر في الطريق" (الفتح: (٥/ ١٣٣)، رقم: (٢٤٦٤).

وأخرجه الإمام مسلم في: "كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر": (٧/ ١٠٠)، برقم: (٥٠٠٢).

الإِنْسِيَّةِ. قَالَ: (اكْسِرُوهَا وَأَهْرِقُوهَا). قَالُوا: أَلاَ نُهْرِيقُهَا وَنَغْسِلُهَا؟ قَالَ: اغْسِلُوا". قَالَ أَبُو عَبْدُ اللهِ: كَانَ ابنُ أبي أُوَيسٍ يَقُولُ "الحمرِ الأَنَسيةِ" بنصبِ الألف والنون(٦٢).

ونشير إلى أن الإمام البخاري أورد الحديث، الذي بَيّن أن كل مُحَرّم تجب إزالته، ولكن النبي ﷺ أمر بكسر الأواني التي طُهي بها الحمر الأهلية، فراجعه الصحابة ألا نهريقها؟ (أي ما يُطهى بها) ونغسلها (أي الأواني) لنستفيد بها فأذن لهم بذلك.

وفي تحريم الحمر الأهلية خلاف كبير، فمن يرى أنها غير محرمة للآية ﴿**قُل لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وأنها جاءت بصيغة الحصر والقصر، ولا يجوز معها إضافة أخرى، فعَلّلوا هذا الحديث بأنه واقعة حال، والمقصود ألّا نُهلِك ظُهور الدّواب التي يُحملون عليها أو يَحملون عليها الغنائم، وكان ذلك يوم خيبر.

وهناك من تمسك بظاهر الحديث وأحاديث أخرى فقال بالتحريم للحمر الأهلية (الإنسية وهذا اسم آخر لها) تمييزا لها عن الحمار الوحشي الذي يعيش في البَرِّيّة.

---

(٦٢) هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في: "كتاب المظالم، باب هل يَكسر الدِّنان التي بها خمر؟" (٥/ ١٤٥)، برقم: (٣٤٧٧).

ما يستفاد من الأحاديث

١- أهمية الموعظة.
٢- للموعظة آداب.
٣- حسن أسلوب الموعظة.
٤- الأصل في الإيمان والتربية تعميق الإيمان بالله.
٥- الأمن الحقيقي لمن آمن بوحدانية الله.
٦- الشرك مناف للإيمان.
٧- الظلم درجات.
٨- أهمية السؤال.
٩- الاحترام والإجلال للعالِم لا يَمنع من السؤال.
١٠- الأصنام وكل ما يعبد من دون الله، ضد العقيدة الصحيحة.
١١- يجب عدم صنع كل ما يعبد من دون الله، أو المساعدة في صنعه.
١٢- يجب إزالة كل ما يُعبد من دون الله، مع مراعاة القدرة والمآلات.
١٣- كل ما هو كالمخلوق محرم صنعه.
١٤- الله خالق كل شيء.
١٥- كراهة السُّتُر التي عليها تماثيل.
١٦- السُّتُر التي بها تماثيل إذا هُتِكت لا مانع من استخدامها.
١٧- الأوْلَى بالشُّرب مَنْ على اليمين.
١٨- الاهتمام بتربية الأولاد.
١٩- لَا يُمنع الرجل من حقِّه.

٢٠- وجوب الاستئذان إذا لزم الأمر.
٢١- النّهي عن القِران في التّمر وغيره حال الاشتراك مع آخر.
٢٢- جواز القِران مع الإذن.
٢٣- مراعاة آداب الطعام.
٢٤- الأصل عدم اصطحاب الضيف لأحد معه.
٢٥- إذا اصطحب أحدًا معه عليه الاستئذان.
٢٦- إذا لم يوافق صاحب الدار عليه الرجوع.
٢٧- لا يتكبر أحد من الاستئذان مهما كانت مكانته.
٢٨- مراعاة حقوق الزوجة والأولاد في مال الزوج بالمعروف.
٢٩- للضّيف حقُّه.
٣٠- أمور العادات تختلف من زمان لزمان.
٣١- لا مانع إذا احتاج الإنسان إلى التبول في الأماكن العامة أن يفعل ذلك مع مراعاة ستر العورة، وعدم الإيذاء.
٣٢- الجلوس في الأماكن العامة جائز.
٣٣- للجار حق وضع ما يحتاجه في جدار جاره، ما لم يكن فيه ضرر.
٣٤- جواز صب الماء وغيره في الطرق العامة حال الحاجة.
٣٥- جواز استخدام الأواني التي كان بها مُحرّم بعد طهارتها.
٣٦- وجود خلاف في حِلِّ أو تحريم الحُمُرِ الإنسية.
٣٧- دقة فهم الإمام البخاري ;.

الحديث السادس عشر

باب: من أبغض أنواع الظالم

أخرج الإمام البخاري في: "كتاب الظلم، باب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾":

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: (إنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إلى اللَّهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ).

تخريج الحديث

البخاري: "كتاب المظالم، باب قوله تعالى: ﴿وهُو ألَدُّ الخِصام﴾"، الفتح: ٥/ ١٢٧، برقم: (٤٥٧).

البخاري: "كتاب التفسير، باب ﴿وهو ألد الخصام﴾"، الفتح: ٨/ ٣٦، برقم: (٤٥٢٣).

البخاري: "كتاب الأحكام، باب الألدُّ الخَصِم، وهو الدائم في الخصومة"، الفتح: ١٣/ ١٩٢، برقم: (٧١٨٨).

مسلم: "كتاب العلم، بابٌ في الأَلَدِّ الخَصِم: ٨/ ٢٩٨، برقم: (٦٦٦٤).

معاني المفردات

الأَلَدُّ: شديد الخصومة، وقيل: شديد الخصومة مع الميل عن الحق، وهو الأعْوَجُ في المناظرة الذي يَرُوغُ عن الحق.

الخَصِمُ: الذي يُحْكِمُ الخُصومة، وهو من اشتدت خصومته، وهو المذموم في الخُصومة بالباطل.

المعنى الإجمالي

وقد ورد قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

هذا صنف من الناس يستخدم اللِّسان للخديعة، ولإنشاء العداوة، ثم بيَّن القرآن فيهم صفةً أشدَّ سوءً مما سبق، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، أي إذا دُعي إلى خير من تقوَى الله ﷻ، واجتناب هذا الأسلوب السّيِّئ في الخصام، بترك الظلم للآخرين، والاستعلاء والتّكبُّر والغرور الذي يعيش فيه، أخذته العِزّة بالإثم فاستكبر، وحَمَلَتْهُ أَنَفَتُهُ على المزيد من ارتكاب السيئات.

وقول النبي ﷺ: (إنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إلى اللَّهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ). لماذا هذه الصفة؟ ذلك لأن هذه الصفة الذميمة تؤدي إلى:

١- التحاسد والتباغض.
٢- التقاطع والتدابر.
٣- الكِبْر والعُجْب.
٤- الإفساد في الأرض.
٥- العداوة.
٦- الكذب.
٧- إنكار الحق.
٨- ضعف الإيمان.
٩- الضلال.

١٠- التّشَفّي.

وهذه من الصفات المذمومة ومثلها، إن انتشرت في المجتمع، لم يستقر المجتمع على خير، ولم يسكن على طمأنينة، بل تعيش فيه الشحناء والبغضاء، ومن العَجب أنك تجد مثل هؤلاء، يُبرِّرون لأنفسهم ما يَبُثُّون من الشحناء والبغضاء، بمبرّرات تزيِّنُها لهم النفس الأمارة بالسوء والشيطان، بأنهم إنما يُظهرون الحق، وأنهم ربما يرون أنفسهم مجاهدين، في وقت رَكَنَ الناس فيه عن قول الحق، وإني أستشعر أن هؤلاء، ممن وُصِفوا في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

إن الفُجور في الخصومة، والخروج فيها عن الطريق المستقيم، والشدة والعنف في الخصومة، إنما تكشف عن قلبٍ سيِّئ لا يحمل خيرًا، والأشدُّ أنه لا يُراجع نفسَه بل يتمادى، وقد غرّته نَفسُه فساقته إلى مزيد من المعاصي.

وإيرادُ الإمام البخاري هذا الحديث في كتاب المظالم، مُبَيِّن لحقيقة هذا الفعل، ويكفي قول النبي ﷺ: (إنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إلى اللَّهِ..).

(وأبغض) دليلٌ على أن اللهَ شديدُ البغض لصاحب هذه الصفات، إن اللّبيب يراجع نفسه، ولا يسلم الأمر للهوى، بل يُراجع نفسه، ولا يشتد في الخصومة والاتهام وسوء الكلمات،

والمشكلة الأشد أن مثل هؤلاء يُعْجَبون بمن يمدحهم، ويتغافلون عن الناصحين لهم؛ بل يزيدون في وصف الناصحين لهم بالجبن، وعدم الشجاعة في قول الحق.

وقد بَيّن النبي ﷺ صِنفًا قريب الشّبَهِ بهؤلاء، إنه إنسان يُعْرِضُ الناس عنه، أو يُلينون له الكلام بالرغم من عدم استحقاقه؛ وذلك بسبب فُحْشِه.

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: إنَّ رَجُلا اسْتَأْذَنَ على النبيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُ قالَ: (بِئْسَ أخُو العَشِيرَةِ، وبِئْسَ ابنُ العَشِيرَةِ). فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النبيُّ ﷺ في وجْهِهِ وانْبَسَطَ إلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قالَتْ له عَائِشَةُ: يا رَسولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ له كَذَا وكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ في وجْهِهِ وانْبَسَطْتَ إلَيْهِ؟ فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: (يا عَائِشَةُ، مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا، إنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَومَ القِيَامَةِ مَن تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ)(٦٣).

قال الشاعر:

وإخوانٌ حَسِبْتُهم دُروعًا ... فكانوها ولكنْ للأعادي!!
وخِلْتُهم سِهامًا صائباتٍ ... فكانوها ولكنْ في فُؤادي!!
وقالوا قد صَفَتْ منّا قلوبٌ ... لقد صدَقوا ولكنْ مِن وِدادي!!
وقالوا قد سَعَيْنا كُلّ سعيٍ ... لقد صدقوا ولكنْ في فسادي

---

(٦٣) صحيح البخاري، الفتح: ١٠/ ٤٦٦، برقم: (٦٠٣)، "كتاب الأدب، باب لم يكن النبي فاحشًا". ومسلم، "كتاب البر والصلة والأدب، باب مداراة من يُتّقَى فُحْشُه": ٨/ ٢٤٦، برقم: (٦٤٧٩).

ومما ورد في هذا الشأن في كتاب المظالم.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)(٦٤).

والمقصود من هذا الحديث أن الخصومة غالبًا ما تؤدي إلى الظُّلم، فمنعها منع السبب للمسبب، وغالبًا هذا هو النِّفاق العَمَلي، لذا كان عنوان البخاري في: "كتاب الإيمان، باب علامات المنافق"، فهي علامة، والمقصود أيضا مَن اتّصَف بما ورد في الحديث، وليس مَن حدث منه ذلك مَرّة أو مَرّات قليلة، والله أعلم.

ما يستفاد من الحديث

١- ذَمُّ الأَلَدِّ الخَصِم.

٢- التحذير من رَدِّ الناصحين.

٣- الأَنَفَةُ تؤدي بصاحبها إلى مَزيدٍ من المعاصي.

---

(٦٤) أورده البخاري في: "كتاب المظالم والغَصْب، باب إذا خاصم فجر"، الفتح: ٥/ ١٢٨، برقم: (٢٤٥٩).

وقد أورد هذا الحديث في: "كتاب الإيمان، باب علامة المنافق"، الفتح: ١/ ١١١، برقم: (٣٤)، كما أورده في: "كتاب الجِزْية والمُوادَعة، باب إثم من عاهد ثم غدر" الفتح: ٦/ ٣٢٢، برقم: (٣١٧٨).

وأَوْرَده مسلم في: "كتاب الإيمان، باب بيان خِصال المنافق" ١/ ١٦٧، بأرقام: (٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٤)، وفيها زيادة: (وإنْ صَام وصَلّى، وزَعَم أنّه مُسْلِم).

٤- الله ﷻ وحده هو الذي يعلم القلوب.

٥- انتشار الجِدال علامة الضَّلال.

٦- الخصومة من آفات اللسان.

٧- الخُصُومة الشديدة والفجور فيها، تؤدي إلى أفعال سيِّئة كثيرة.

نسأل الله ﷻ العَفْو والعافية، وأن يحفظنا من الفُجور في الخُصومة، ومِن رَدِّ نصيحة الناصحين، وألا نُزَكِّي أنفسنا، اللهم أمين.

الحديث السابع عشر

باب: أخذ الحق ولو كان من أحبِّ الناس إليك

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ: (كانَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فأرْسَلَتْ إحْدَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ مع خَادِمٍ بقَصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ بيَدِهَا، فَكَسَرَتِ القَصْعَةَ، فَضَمَّهَا وجَعَلَ فِيهَا الطَّعَامَ، وقالَ: كُلُوا، وحَبَسَ الرَّسُولَ- الخادم- والقَصْعَةَ حتَّى فَرَغُوا، فَدَفَعَ القَصْعَةَ الصَّحِيحَةَ، وحَبَسَ المَكْسُورَةَ).

تخريج الحديث

أخرجه الإمام البخاري في: "كتاب المظالم، باب إذا كَسَرَ قَصْعَةً أو شيئًا لِغَيْرِه"، الفتح برقم: (٢٤٨١).

وفي: "كتاب النِّكاح، باب الغَيْرَة"، الفتح: ٩/ ٢٣٠، برقم: (٥٢٢٥).

المعنى الإجمالي

قصة الحديث أن السيدة زينب بنت جحش أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أرسلت بقَصْعَة- طَبَق مِن فَخّار- فيها طعام، للنبي ﷺ، وهو في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مع خادِم للسيدة زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فلما رأت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذلك، ضَرَبَت بيديها القصعة فكسرتها، فجمع النبي ﷺ الطعام وأكلوا، ولَكِنّه رَدّ قصعةً صحيحة، وحَبَسَ المكسورة في بيت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي رواية قال النبي ﷺ: (غارَتْ أُمُّكُم) وفي رواية قال ﷺ: (إناء بإناء).

والغَيْرَة: تَغَيُّرٌ يَحدُث في القلب، وذلك بسبب الإحساس بمشاركة الغَيْر فيما يراه حقًّا له، وهو أشدُّ في النساء، وليس المطلوب نفي الغَيْرَةِ؛ بل الاعتدال فيها بما لا يؤدي إلى الإضرار بالغير في أمر مادِّي أو معنوي، وأم المؤمنين السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت شديدة الغَيْرَة.

وقد وضعت لهذا الحديث عُنوانًا (الأخذ بالحق ولو كان من أحب الناس) فقد كانت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ.

ونلاحظ هنا، أن هذا الحب لم يمنع من العدل، برد قصعة صحيحة بدلًا عن المكسورة.

ويجب أن يكون علاج الخلافات الزوجية وَفْقًا للضّوابط الشرعية، فإن الإسلام اهتم اهتماما خاصًّا بضوابط العلاقة الزوجية، بحيث تكون دون إفراط أو تفريط؛ فللوالدين حقوق، وللزوجة حقوق، وللأولاد حقوق، والرجل يجب أن يكون في موقف العدل بين الجميع.

إن الإسلام أقام العلاقة الزوجية على المودَّة والرّحمة، وجعل الزَّوجة سَكَنًا، فيه يشعر الإنسان بالرّاحة؛ لذا لابد أن يكون هذا هو الأصل، ولكن نَزَغات النفس والشيطان، وتدخل

الأهالي في هذه العلاقة تُحدث أمورًا سلبيةً كثيرة. أعجبني تشبيه جميل، قالته إحدى السيدات لِوَلَدِها يوم زفافِه، قالت: الزوجان مثل مادتين وُضِعَتا في إناء واحد وأُحكِمَ إغلاقُه، وكل مادة لها تَمَدُّدُها فلو تَمَدّدا معاً انفجر الإناء، فيجب إذا تَمَدّد أحَدُكُما أن يستوعبَه الآخر.

إن أي فساد للعلاقة الزوجية في حقيقته مُهلك للمجتمع.

ويحذِّرُنا القرآن من بعض الإفساد في العلاقات الزوجية، قال الله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (التغابن: ١٤- ١٦)، هذه الآيات تحمل تحذيرات كثيرة، فالزوجة والأولاد بحكم قربهم من الإنسان لهم تأثير عاطِفِيٌّ كبير، وللمرأة سلاح الدموع، وقد تبعد الرجل عن أهلِه، وتَشْغَلُه بالبيت والأولاد، وأيضًا يجب ألا نظلم المرأة، فقد ورد في الحديث عن أم المؤمنين السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن الرسول ﷺ قال: (خيرُكم خيرُكم لأهلِه، وأنا خيرُكم لأهلي)[٦٥]

(٦٥) خرجه الترمذي مُسنَدًا ومُرسَلًا عن عروة في: "المناقب، باب في فضل أزواج النبي ﷺ"، وقال: هذا حسن صحيح، وخرجه الألباني في صحيح الترمذي: (٣٨٩٥).

ما يستفاد من الحديث

١- أهمية العدل.
٢- أن العدل مطلوب، ولو على النفس أو أحب الناس.
٣- إذا تجاوزنا العدل كان الطريق إلى الظلم.
٤- الرفق في معاملة الزوجة.
٥- الغَيْرة الشديدة من النساء.
٦- حب الرجل للمرأة يجب ألَّا يسبب ضَرَرًا لغيرها.
٧- حب النبي ﷺ للعدل وإقامته له.
٨- يجب التّوازُن في كل العلاقات الأُسَريّة.

الحديث الثامن عشر

باب: انصر أخاك ظالما أو مظلومًا

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (انْصُرْ أخاكَ ظالِمًا أوْ مَظْلُومًا فقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللَّهِ، أنْصُرُهُ إذا كانَ مَظْلُومًا، أفَرَأَيْتَ إذا كانَ ظالِمًا كيفَ أنْصُرُهُ؟ قالَ: تَحْجُزُهُ، أوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فإنَّ ذلكَ نَصْرُهُ).

تخريج الحديث

أخرجه الإمام البخاري في: "كتاب المظالم، باب أعِنْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا"، الفتح: ٥/ ١١٧، برقم: (٢٤٤٣، ٢٤٤٤).

المعنى الإجمالي

إنَّ هذا الحديث مهم جدًا في واقع الناس وحياتهم، والأمر أن العصبية كما كانت في الجاهلية قبل الإسلام، ما زالت تعيش في القلوب، فتؤدي بصاحبها إلى نصرة من يحب ظالمًا كان أو مظلومًا، فحَمَلَ هذا الحديث مفهومًا جديدًا، وهو نصرة الظالم؛ لذا حين قال رسول الله ﷺ: (انْصُرْ أخاكَ ظالِمًا أوْ مَظْلُومًا) ماذا حدث؟ حدث تَعَجُّبٌ من أصحابه فقالوا: هذا ننصره مظلومًا (أي نعرف ذلك، وكيف ولماذا؟) لكن كيف ننصره ظالمًا؟ فكان جواب النبي ﷺ: (تأخذ فوق يدِه).

هذا المعنى جديد وهو نصرة الظَّالم:

- بمنعه عن الظلم.
- تأخذ فوق يده.

– تنصره على نفسه الأمارة بالسوء.
– تنصره على شيطانه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [هود:١١٣]، والركون هو المُجامَلَة والمُداهنة والميل إليهم بالمودة والمحبة.

وورد أن الإمام على بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن قتله بن ملجم جمع ولديه الحسن والحسين رضي الله عنهما، وقال لهما فيما قال: (كونا للظَّالِم خَصْمًا وللمَظلوم عَوْنًا) آل البيت رضوان الله عليهم أجمعين.

وورد في ذلك أحاديث منها، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ فِي الْغِيبَةِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ)(٦٦).

وورد عن رسول الله أنه قال: (من ذَبّ عن عِرض أخيه رَدّ اللهُ النّارَ عن وجْهِهِ يومَ القِيَامَةِ)(٦٧).

ومنها (ما من امرئ يخذلُ امرأً مسلمًا في موطنٍ يُنتَقَصُ فيهِ مِنْ عرضِهِ، ويُنتهكُ فيهِ مِنْ حُرمَتِهِ، إلا خَذَلَهُ اللهُ تعالَى في موطنٍ يُحبُّ فيهِ نُصرتَهُ، ومَا منْ أحدٍ ينصرُ مسلمًا في موطنٍ يُنتَقَصُ

(٦٦) رواه أحمد، حديث رقم: (٢٦٩٩٨) بسند صحيح.
(٦٧) الترمذي: (١٩٣٢) في: "البِر، باب رقم: (٢٠)"، وقال: هذا حديث حسن.

فيهِ منْ عرضِهِ، ويُنتَهكُ فيهِ منْ حُرمَتِهِ، إلا نصرَهُ اللهُ في مَوْطِنٍ يُحبُّ فيهِ نُصرَتَهُ)(٦٨).

ولعل الأذهان تذهب إلى الظالم من الحُكَّام وأصحاب الجاه والمال الذين يَكْثُرُ ظلمهم، ولا يجدون مَن يقول الحق أمامهم؛ بل يجدون مناصرين لهم، وبلا شك أن هذه الفئات، وأعوانَهم من أعوان الظلمة، يدخلون في قوله تعالى: ﴿**أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [هود: ١٨].

ولكن هناك ظَلَمَة، ومع ذلك لا نمنعهم، ومن ذلك:

ظلم أم الزوج لزوجة ابنها، بلا شك لا نطلب فسادًا في البيوت ولا إساءة للأم، لكن لا ننساق وراء كل ما يقال، ولا نقبل كلامًا بلا بيّنَة، وعلي الزوج أن يخفف عن زوجته ما يحدث، دون إساءة إلى أمِّه؛ بل يعالج، وكذلك العكس، أعني إساءة الزوجة إلى أم زوجها.

ومن هذا الظلم أن يظلم أحد الأبناء إخوته، ويُمكّن له والده، خاصة إن كان من أم لها مكانتها عند الأب، فإذا به ينصر هذا الابن الظالم لأخيه أو إخوته، ولا يمنعه من الظلم والتَّمادي فيه.

---

(٦٨) رواه أبو داوود في: "الأدب باب من رد عن مسلم غيبة"، برقم: (٤٨٨٤)، وفي سنده مجهولان، وذكره السيوطي في الجامع الصغير، ونسبة إلى الضياء في: المختارة قال محقق جامع الأصول: ٦/ ٥٧٠: وهو حديث حسن بشواهده، ورواه أحمد.

ومن هذا أيضا تفضيل الذُّكور على الإناث من الأبناء، إن أمر الأسرة مهم جدًّا، والظلم فيه له تأثير سلبي على الأجيال.

ومن ذلك أيضًا أصحاب الأعمال، الذين يستغلون حاجة العاملين عندهم، فيمنعونهم حقهم، أو يُحمِّلونهم فوق المتفق عليه أو غير ذلك، وإذا بمن معهم يجاملونهم ولا يمنعونهم.

ونجد في الحديث الذي رواه الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: (لقد شَهِدْتُ مع عمومَتي حِلفًا في دار عبدِ اللَّهِ بن جُدعانَ، ما أُحبُّ أن لي بهِ حُمْرَ النَّعَمِ، ولَو دُعيتُ بهِ في الإسلَام لأجَبْتُ)[٦٩].

وهو حِلْفُ الفُضول، الذي تعاهدوا فيه أن يكونوا يدًا واحدة مع المظلوم، وسُمِّيَ حِلْفُ الفُضول؛ لأن من دعا إليه الفَضْلُ بن الحارث، والفَضْلُ بن وَداعة، والفَضْلُ بن فُضالة.

ويُروى في سيرة بن هشام أن رجلًا من أراسن، قدِم مكة ومعه إبلٌ فاشتراها منه أبو جهل، ومَنَعَهُ الحَقَّ، فقدم الرجل إلى قريش يطالبها بنُصرتِه، فأشاروا إلى الرسول ﷺ ساخرين! لما يعلمون من العداوة بين الرسول ﷺ وأبي جهل، فقام معه رسول الله ﷺ، وطَرَقَ باب أبي جهل فخرج بعد أن عرف مَنْ بالباب، وليس في وجهه حياة، ثم دفع المالَ لصاحب الإبل. إنها نصرة المظلوم،

---

(٦٩) الألباني في: فقه السيرة، برقم: (٧٢)، وقال المحدث في الموسوعة الحديثية: سند صحيح لولا أنه مرسل. ولكن له شواهد تُقويه، وأخرجه الإمام أحمد مرفوعًا دون قوله: لو دُعيت به في الإسلام لأجبت، وسنده صحيح.

وقد روى ابن كثير الرواية في البداية والنهاية؛ ولكن سندها غير معلوم.

لقد أبطل الإسلام عَصَبِيّةَ الجاهِلية في نصرة القوم، ظالمين أو مظلومين، فجاء الإسلام فوضع مفهومًا جديدًا لنصرة الظالم، وهذا المفهوم هو منعه عن الظلم؛ لإنقاذ نفسِه من الحساب في الدنيا ويوم القيامة.

ويضرب لنا الرسول ﷺ مثالًا مُهمًّا في ضرورة الأخذ على يد الظالم، وأن الأمة بذلك تحمي نفسها، سواء كان هذا الظالم فردًا أو جماعة، وسواء كان له حقٌ مادي أو غير ذلك، فنجاة الأمة في منع الظالم أن يَظْلِم.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (مَثَلُ القائمِ على حُدودِ اللهِ، والواقعِ فيها، كمَثَلِ قومٍ رَكِبوا سَفينةً، فأصابَ بعضُهم أسْفَلَها، وأوْعَرَها، وشَرَّها، وأصابَ بعضُهم أعلاها، فكان الذين في أسفلِها إذا استَقَوا الماءَ، مَرُّوا على مَن فوقَهم، فآذَوْهم، فقالوا: لو خَرَقْنا في نَصيبِنا خَرقًا، فاستقَيْنا منه، ولم نُؤذِ مَن فوقَنا، فإنْ تَرَكوهم وأمْرَهم، هَلَكوا جَميعًا، وإنْ أخَذوا على أيْديهم، نَجَوْا جَميعًا)(٧٠).

هذا حديث عظيم في بيان حقيقة الظَّالم الذي يدّعي بالباطل حقًّا له، مثل الحرية والإبداع، فيخوضون في كتاب الله والأنبياء،

(٧٠) البخاري في: "الشَّركة، باب هل يُقْرَعُ في القِسْمَة": ٥/ ١٥٧، برقم: (٢٤٩٣)، وفي: "الشهادات، باب القُرعة في المُشْكلات".

أو يدعون حقوقًا شخصية مُحَرّمة، ويقولون: نحن لا نَضُرُّ أحدًا، مثل هذه الأكاذيب من الواجب الأخذ على أيدي من يَبُثُّهَا قبل هلاك الأُمَّة جميعًا، وحديث السفينة هذا له شروح كثيرة أُفْرِدَت له.

ما يستفاد من الحديث

١- أسلوب الرسول ﷺ في طرح الأسئلة والموضوعات، التي تجذب الانتباه.

٢- الإسلام يُقِرُّ أفعال الجاهلية التي تقوم على نصرة المظلوم.

٣- يُشدِّدُ الإسلام على ضرورة الأخذ على يد الظالم.

٤- صلاح الأمة في مَنْع الظُّلم.

٥- الحقُّ أحَقُّ أن يُتّبع.

الحديث التاسع عشر

باب: أمر النبي ﷺ بنصر المظلوم

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أَمَرَنا النبيُّ ﷺ (بسَبْعٍ، ونَهانا عن سَبْعٍ، فَذَكَرَ: عِيادَةَ المَريضِ، واتِّباعَ الجَنائِزِ، وتَشْمِيتَ العاطِسِ، ورَدَّ السَّلامِ، ونَصْرَ المَظْلُومِ، وإجابَةَ الدَّاعِي، وإبْرارَ المُقْسِمِ).

صحيح البخاري: (٢٤٤٥) واللفظ له، ومسلم: (٢٠٦٦) مع اختلاف يسير عنده.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كالْبُنْيان يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بيْنَ أَصابِعِهِ). صحيح البخاري: (٢٤٤٦) واللفظ له، ومسلم: (٢٥٨٥).

تخريج الحديث

الحديث الأول: حديث البراء رضي الله عنه رواه البخاري في: "كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز"، الفتح: ٣/ ١٣٥، برقم: (١٢٣٩)، وله مرويات كثيرة في: "كتاب المَظَالِم، باب نصر المظلوم"، برقم: (٢٤٤٥)، وفي: "كتاب النكاح، باب حق إجابة الوليمة والدعوة"، برقم: (٥١٧٥)، وفي: "كتاب الأشْرِبَة، باب آنية الفضة"، برقم: (٥٦٣٥)، وفي: "كتاب المَرْضَى، باب وجوب عيادة المريض"، برقم: (٥٦٥٠)، وفي: "كتاب اللباس، لبس القَسِّيِّ"، برقم: (٥٨٣٨)، و"باب المُتَفَرِّقَةِ

الحمراء"، برقم: (٥٨٤٩)، و"باب خواتم الذهب"، برقم: (٥٨٦٣)، و"كتاب الآداب، باب تشميت العاطِس إذا حَمِدَ اللهَ"، برقم: (٦٢٢٢)، وفي: "كتاب الأيْمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾"، برقم: (٦٦٥٤).

وخَرّجه الإمام مسلم في: "كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء": ج٧ ص١٧٥، برقم: (٥٢٥٩).

أما الحديث الثاني: فقد خرجه الإمام البخاري في: "كتاب الآداب، باب تعاون المؤمنين بعضهم مع بعض"، الفتح: ١٠/ ٤٦٤، برقم: (٦٠٢٦).

وخرجه الإمام مسلم في: "كتاب البِرّ والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم": ٨/ ٢٤٣، برقم: (٦٤٦٨).

المعنى الإجمالي

هذا حديث جليل القدر، اشتمل على أمور عِدّة من مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، كيف لا؟ والرسول ﷺ يقول: (إنَّما بُعِثْتُ لأُتمِمَ مكارمَ الأخلاق)[٧١].

وهو الموصوف بقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤].

---

(٧١) مجمع الزوائد: ٩/ ١٨، وقال صالح: "الأخلاق" رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزّار؛ إلا أنه قال: (لأتمم مكارم الأخلاق)، ورجاله كذلك، غير محمد بن رزق الله، وهو ثقة.

وهذا الحديث مروي عند البخاري في خمسة أبواب في: "الجنائز" و"المظالم" و"اللباس" و"النكاح" و"الآداب".

ومروي عند مسلم في: "كتاب اللباس والزينة"، كما سبق التخريج والبيان.

والحديث يحوي مع مكارم الأخلاق، حقوق الخَلْق بعضهم على بعض، والحديث في أتم رواياته **كالتالي:**

الأوامر:

عيادة المريض: بزيارته دون حدوث مشقة على المريض.

اتباع الجنائز: حتى يَفرُغ من دفنها ويرجع بقيراطَيْن: القيراط مثل جبل أحد.

تشميت العاطس: إذا حمد الله ﷻ.

إبرار القسم: تخليصًا له من تبعاته.

نصر المظلوم: وهو موضع الشاهد، وقول الصحابي البراء بن عازب رضي الله عنه هنا: (أمَرَنا) الأمر يفيد الإلزام، وذلك بمنع الظالم عن ظُلمه وجوبًا، متى كان قادرًا على ذلك، وهو من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إجابة الداعي: وقد يكون واجبًا أو مندوبًا.

إفشاء السلام: إشاعته. وهو مما سمعه عبد الله بن سلام رضي الله عنه من النبي ﷺ أول ما نزل بقُباء.

النواهي:

(خواتم أو تختم بالذهب): هذا حرام على الرجال، ومباح للنساء دون إسراف زائد مثل خلخال في القدم[٧٢].

– الشرب في آنية الفضة والذهب من باب أولى.

المياثر: وهي المَراكب الفخمة المُكَوّنَة من الحرير السّميك، وكل هذا من علامات الإسراف.

القسي: اسم لموضع في مصر، كان يتم فيه صناعة الحرير.

[لبس الحرير– والإستبرق– والديباج]:

وهي أسماء للغليظ من الحرير، الكاشف عن إسراف ومَخِيلة.

وورد في روايةٍ (إنشاد الضّالة) في الأوامر بدلًا من إبرار القسم.

إن هذه الأوامر تعين على إيجاد مجتمع مسلم مترابط، تنتشر فيه المحبة والصّلاح، وهذه النواهي تمنع الإفساد والاستهلاك المسرف، المُضيع للقوة الاقتصادية للمجتمع، ومنع الخيلاء والإسراف والتبذير.

وحقيقة الأمر أن رقم (سبعة) لا يفيد الحصر، فكم من أوامِر ونواهٍ كثيرة حواها القرآن العظيم، والسُّنّة النبوية المطهرة كلها تؤدي إلى السعي؛ ليكون المجتمع المسلم مجتمعًا يحمل الطهارة

(٧٢) النواهي وردت في حديث الإمام مسلم السابق تخريجه: ٧/ ١٧٥، ١٧٦، برقم: (٥٢٥٩).

القلبية والمعنوية إلى جوار الحِسِّية، يسعى ليعيش أهله في صلاح وإصلاح، وهذا الهدف أساس للإسلام.

كيف سيكون حال مجتمع تنتشر فيه هذه الخيرات، وتبتعد عنه هذه المَنْهيّات؟ كيف سيكون مُتراحِمًا بعيدًا عن الإسراف والخُيَلاء؟

ثم إن إيراد الإمام البخاري لحديث أبي موسي الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كالْبُنْيان يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بيْنَ أَصابِعِهِ) لَهُوَ مِن فِقْه الإمام؛ لإظهار حقيقة ما ينشده الإسلام للمجتمع المسلم، الذي يتعاون على البر والتقوى، ولا يتعاون على الإثم والعدوان.

وقد أورد الإمام مسلم: ٨/٢٤٤، الحديث: (٦٤٦٩): (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمّى) يقول الإمام النووي في شرحه: "هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه".

(أقول) لو تحقق ذلك في المجتمع، فلن يجد الظالم سبيلًا إليه، فالمجتمع سيكون سبيل هداية وحماية له: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] فالحق ليس فيه ظلم ولا ظلمات.

وإيراد الحديث هنا واضح في الأمر بنصرة المظلوم.

ما يستفاد من الحديث

١- حرص النبي ﷺ على تعليم الأمة.

٢- الإسلام دين شامل لكل أمور الحياة.

٣- حرص الإسلام على إيجاد مجتمع طاهر نقي.

٤- رقم سبعة في الحديث ليس مقصودًا بذاته.

٥- كم من أوامر ونواهٍ لم ترد في هذا الحديث.

٦- عيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونَصْر المظلوم، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام، من الأمور الممدوحة، التي تنشر الخير وتؤلف بين القلوب.

٧- استخدام الذهب والفضة والثياب الحريرية، أو التي فيها زينة زائدة تضيع طاقة المجتمع، وتَكْسِر القلوب المحتاجة، وتؤدي إلى الخُيَلاء والفساد الاقتصادي غير الناهض بالأمة، فقد نهى النبي ﷺ عنها أو حرّمها.

الحديث العشرون

باب: النَّهي عن ادعاء الظُّالم بلا بَيِّنَة

الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ عمرَ رضي الله عنه، على الصدقةِ، فقيل: مَنَعَ ابنُ جميل، وخالدُ بنُ الوليدِ، والعباسُ عمُّ رسول اللهِ ﷺ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: (ما يَنقِمُ ابنُ جميل إلا أنَّه كان فَقيرًا فأغناهُ اللهُ، وأمَّا خالدٌ فإنَّكم تظلمون خالدًا، قد احتبسَ أعْتُدَهُ وأدرُعَهُ في سبيلِ اللهِ، وأمَّا العباسُ فهي عليَّ ومثلُها معَها، ثم قال: يا عمرُ! أمَا عَلِمتَ أن عَمَّ الرجلِ صِنْوُ أبيهِ؟!).

تخريج الحديث

أخرجه الإمام البخاري في: "كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله﴾" فتح الباري: ٣/ ٣٨٨، برقم: (١٤٦٨).

معاني المفردات

ما يَنْقِمُ: أي يُنكر أو يَكره، وهذا أشد في العتاب.
احْتَبَسَ: حَبَس أصْلَها فجعلها وَقْفًا.
صِنْوُ أبيه: مثله، ونظيره، وفي مقامه.

المعنى الإجمالي

موضع الشاهد هنا قول النبي ﷺ :(**فإنكم تظلمون خالدًا**)، وذلك أنهم ذهبوا إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه يطلبون منه الزكاة، وقد وجدوا عنده آلات الحرب فظنوا أنّها للتِّجارة، فبَيّن لهم

النبي ﷺ أن خالدًا حَبَسَها ووقَفَها لله، وفي سبيل الله ﷻ، وبالتالي لا زكاة فيها؛ لأنها أصبحت وَقْفًا لله ﷻ، وقوله ﷺ: (إنكم تَظلمون خالدًا)؛ أي حين ظننتم أنه يمتنع عن أداء الزكاة المفروضة.

وعلى هذا لابد لإثبات الظُّلم من دليل.

ما يستفاد من الحديث

١. أن المسلم عليه أن يَتَحرّى الحقّ قبل اتهام الغَيْر.
٢. الاستفسار يُزيل اللَّبس، فلو أنهم سألوا خالدًا لأجاب.
٣. إنصاف النبي ﷺ، ولو كان الأمر متعلِّقا بعمِّه.
٤. عم الرجل صِنْوُ أبيه، وفي هذا بيان لمكانة العَمِّ.
٥. أن الوقف لا زكاة فيه.
٦. إرسال الرجل الفاضل لجمع الزكاة، فقد أرسل النبيُّ ﷺ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه لذلك.
٧. جواز تقديم الزكاة عامَيْن، فقد ورد أن امتناع العباس رضي الله عنه؛ لأنه كان قد قَدّم زكاة عامين.

الحديث الحادي والعشرون

باب: من الظالم السباب

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ، أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالا فَعَلَى الْبَادِئِ، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ).

تخريج الحديث

أخرجه الإمام مسلم: "كتاب البر والصلة والأدب، باب النّهي عن السباب": ٨/ ٢٤٤، برقم: (٦٤٧٤).

المفردات

المُسْتَبّان: من يَسُبُّ كل منهما الآخر.
ما قالا: أي إثم ما قالا.
البادِئ: الذي بدأ بالسّب.
يعتدي المظلوم: يتجاوَزُ الحَدّ.

الشرح الإجمالي

المعنى كما يقول الإمام النووي: "إثم السِّباب الواقع من اثنين مختص بالبادئ منهما، على ألّا يتجاوزَ الثاني حَدّ الانتصار، فيقول للبادئ أكثر مما قال له".

وفي هذا جواز الانتصار، ولا خلاف في جوازه، وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة على ذلك. قال تعالى: ﴿**وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ**﴾ [الشورى: ٤١]، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ**﴾ [الشورى: ٣٩]، ومع ذلك فالصبر والعفو أفضل، قال تعالى: ﴿**وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ**

﴿لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، ثم ذكر أدلة على طَلَبِ العفو، وهي ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد اللهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عِزًّا، وما تواضع أحدٌ للهِ إلَّا رَفَعَهُ"(٧٣).

أقول: لعل هذا في الحقوق الشخصية لا في حقوق الله تعالى، فليس للإنسان أن يعفو في حق الله، وقد ورد في الحديث: (سِباب المسلم فُسوقٌ، وقتالُه كُفر)(٧٤).

وموضع الشاهد هنا، أن النبي ﷺ يعتبر أن من سَبَ أولًا ظالمٌ، والذي سُبّ مظلوم؛ وذلك قوله: (ما لم يعتدِ المظلوم)؛ أي ما لم يَرُدُّ المظلوم بأكثر مما قيل فيه.

اللسان له خطورته قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]. وقال رسول الله ﷺ: (وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ- أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)؟!"(٧٥) وقد ورد عن عمر بن عبد العزيز :: "لو عَدّ الإنسانَ كلامَه مِن عملِه لقلّ كلامُه"، والناس يستهينون بالكلام مع خطورته!

وآفات اللسان كثيرة منها:

---

(٧٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في: "البِرّ والصِّلَة والأدب"، من حديث أبي هريرة، برقم: (٢٥٨٨).

(٧٤) أخرجه الإمام البخاري: "كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يُحبَط عمله وهو لا يشعر"، رقم: (٤٨)، ومسلم: "كتاب الإيمان ،باب قول النبي ﷺ: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"، برقم: (٦٠٤٤، ٧٠٧٦، ٤٨)، وأخرجه مسلم، برقم: (٦٤).

(٧٥) أخرجه الإمام الترمذي في: "الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة": (٢٦١٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

١- الكلام فيما لا يَعْنِيه للحديث: (مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ، تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ)(٧٦).
٢- اللَّعن وتحدثنا عنه.
٣- الخوض في الباطل.
٤- الغِيبَة والنّميمة.
٥- المِراء والجِدال.
٦- السُّخرية والاستهزاء.
٧- القذف.
٨- شهادة الزُّور.
٩- الكذب.
١٠- إفشاء السِّر.

اللسان نعمة عظيمة فهو تَرْجُمان القلب، وبيان الأفكار، من استعمله في الخير فاز، ومن استعمله في الشر هلك، مع أن اللسان له فائدة عظيمة، ويكفي قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقول النبي ﷺ (لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله)(٧٧).

وقد أخرج الإمام البخاري في: "كتاب المَظالم، باب الانتصار من الظَّالم"، لقوله تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إلا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩]، قال إبراهيم: "كانوا يَكرهون أن يُسْتَذَلُّوا فإذا قَدَرُوا عَفوا، كما أورد "باب عفو المظلوم": ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩] ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انتَصَرَ

(٧٦) رواه الترمذي: (٢٣١٨، ٢٣١٩) في: "الزُّهْد، باب رقم: ١١" من حديث أبي هريرة، وهو حديث غريب. قال الزُّرقاني في شرح المُوَطَّأ: حديث حسن؛ بل صحيح.
(٧٧) وهو حديث معاذ، وبدايته: (إن شرائع الإسلام قد كَثُرَتْ عَلَيَّ)، الترمذي في: "الدعوات، باب فضل الذكر": (٣٣٧٢)، وإسناده صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذَّهبي.

بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٠- ٤٤].

وأورد الإمام ابن حجر في الفَتح: ٥/ ١٢٠، حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه: (ما مِن عَبْدٍ ظُلِمَ مَظْلِمَة فعَفا عَنْهَا إلّا أعَزَّ اللهُ بِها نَصْرَهُ)(٧٨). فكيف يكون حال أُمّة نرى فيها هذا الخُلُقَ السّيّئ: سباب، وكذب، وفجور؟! كل هذا لأجل لُعاعة الحياة الدنيا، أو إرضاء النفس الشّريرة، ولا يكون ذلك إلا بالغفلة عن علم الله، ويوم الحساب.

ما يستفاد من الحديث

١- النّهي عن السِّباب والشَّتم.
٢- أنَّ مَن سُبَّ له الحق أن يَرُد، بشرط ألا يتجاوز ما قيل في حقِّه.
٣- أنَّ المظلوم إذا تجاوز صار ظالما.
٤- السّبُّ مِفتاح الشّر، وباب الفُحْشِ من القول.
٥- الشديد هو من يملك نفسه عند الغضب.
٦- التواضع أفضل من رَدِّ السِّباب. قال تعالى:﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٨].
٧- مَدْحُ اللهِ الكاظمين الغَيْظَ.

---

(٧٨) أخرجه أحمد في مسنده برقم: (٩٦٢٤)، وأبو داود في سُنَنِه برقم: (٤٨٧٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه به.

الحديث الثاني والعشرون

باب: المسلم أخو المسلم لا يظلمه

عن ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أخيه كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ).

تخريج الحديث

أخرجه الإمام البخاري في: "كتاب المظالم، باب لا يَظلم المُسلمُ المُسلمَ ولا يُسْلِمُهُ": ٥/ ١١٦، برقم: (٢٤٤٢)، و"كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحِبه أنه أخوه": ١٢/ ٣٣٨، برقم: (٦٩٥١).

ومسلم في: "كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم": ٨/ ٢٤٠، برقم: (٦٤٦١).

المعنى الإجمالي

هذا من الأحاديث المُهمة التي تتكلم حول لُحمَة المجتمع، والأخوةُ أساسٌ مُهمٌ في حياة المسلمين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وقد جَمع هذا الحديثُ مجموعةً من الأعمال المُحَقِّقَة لَمعنى الأُخُوّة، وهي:

١- عدم الظلم.

٢- لا يُسْلِمُهُ؛ أي لا يتركه مع ذنوبه أو ما يؤذيه أو يتخلى عنه عند حاجته إلى نصرته أو عونه.

٣- تفريج الكُرَبِ: الكُرْبَة هي الغَمُّ الذي يأخذ بالنفس.

٤- السِّتْرُ: أي إذا رآه على شيء لم يذكره للناس، وليس فيه معنى عدم الإنكار، وللإمام مسلم رواية زاد فيها النقاط التالية:

٥- (ولا يَحقِرُه، بِحَسْبِ امرئٍ من الشّرّ أن يَحْقِرَ أخاه المُسلِمَ).

٦- (والله في عَوْنِ العَبْدِ ما كان العَبدُ في عَوْنِ أخيه).

وزاد الطبراني.. (وَلَا يُسْلِمُهُ مِن مُصِيبَةٍ نَزَلَت بِه).

هذه الأفعال لو انتشرت في المجتمع، كانت دليلًا على وجود الرّحمة والأُلفة والمَحبَّة بين أفراده، وكانت سببا في رفع الشّحْناء والبَغْضاء والحِقْد من بين أفرادِه، ولكن يَرِد سؤال: لماذا بدأ الحديث بقول النبي ﷺ: (لا يظلمه)، والجواب حَسْبَمَا أرَى: أن تحريم ظلم الأخ لأخيه المسلم هو الأصل، وكل ما جاء بعد ذلك تفريع عليه.

فإنه إذا أسلمه للمعاصي أو الذنوب أو ما يؤذيه كان ظُلمًا وحِجابًا لمعنى الأخوّة، وإذا تركه والغَمُّ يأخذ بنفسه، وهو قادر على أن يَرْفَعُه أو يُعِينُه كان أيضًا مانعًا من تحقيق معنى الأخوة، وهذا من الظلم، والتحقير واضح، وكذلك طلب العون له، فالإنسان ضعيف في حقيقته.

إن هذا الهَدْيَ النّبوي الذي يرشد الأمة إلى مكارم الأخلاق، وهذه الأخلاق أحد الأجزاء الأربعة المكونة للإسلام: (العقائد،

والأخلاق، والعبادات، والمعاملات)، والأخلاق مع العقائد لم تتغير بين الشرائع كلها.

ومن الكتب العظيمة في هذا الشأن "خلق المسلم" للشيخ محمد الغزالي ;، وكتاب "دستور الأخلاق في القرآن" للأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز ;، فمن أراد المزيد عليه أن يرجع إليها، ولقد احتوى القرآن على آياتٍ جامِعَةً للأخلاق في بعض سوره منها(٧٩):

صفات عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا

(٧٩) من كتاب: المنهاج القرآني في التشريع، للأستاذ الدكتور العلامة عبد الستار فتح الله سعيد ;، ص: (٤٠٨) وما بعدها، حيث بيّن أن القرآن بين الأخلاق في (المثل الأعلى) نظريًا وعمليًا في شخص رسول الله ﷺ، الذي وصفه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [ن: ٤].

وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ **اسورة الفرقان: ٦٣- ٧٤].**

آيات تربية الجماعة المسلمة: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ **الشورى الآيات: ٣٦- ٤٣].**

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا * وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلا مَّيْسُورًا * وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ

الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاق نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا * وَلا تَقْرَبُواْ الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا * وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا * وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاَ * وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا * وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٢٣- ٣٨].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ٩٠- ٩٢].

و[من الآيات: ١٥١- ١٥٣ سورة الأنعام]، و[في سورة المعارج من الآيات: ١٩- ٣٤] وغيرها في القرآن كثير.

ما يستفاد من الحديث

١- التشديد على تحريم الظلم.
٢- الظلم رأس كثير من الأعمال المحرمة أو المنهي عنها.
٣- علي المسلم العمل على تفريج كُرَبَ المسلمين.
٤- السِّتر نعمة عظيمة.
٥- المسلم مطالب بالسِّتر على أخيه.
٦- من فرج كربة عن أخيه، فرج الله عنه كُرْبة من كُرَب يوم القيامة.
٧- من سَتَر على أخيه سَتَره الله يوم القيامة.
٨- كم هي فوارق الفعل بين الدنيا والآخرة.
٩- سِتر المسلم عَلى أخيه لا يمنع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليمه أمور الشرع.
١٠- النهي عن احتقار الآخرين ولو كانوا عصاة.
١١- الاحتقار يؤدي إلى العُجب والخُيَلاء.
١٢- حض الإسلام على التعاون بين المسلمين.
١٣- سعي الإسلام على إيجاد مجتمع طاهر نقي.
١٤- صلاح المجتمع يعين على صلاح الأفراد.
١٥- إذا انتشر الفساد في المجتمع جعل حياة الصالحين شاقَّة عليهم.
١٦- اهتمام الإسلام بتحقيق معنى الأخوة.
١٧- الإسلام يدعو إلى الإيجابية.
١٨- نهى الإسلام عن السلبية.

١٩- من أطاع الله أعطاه الله المزيد.

الحديث الثالث والعشرون

باب: عُقُوبَةُ مَنْ غَشَّ الرَّعِيَّةَ

عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إلا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية: (ما مِن أمير يلي شيئًا من أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم ولا ينصح إلا لم يدخل معهم الجنة).

تخريج الحديث

أخرجه البخاري، "كتاب الأحكام، باب من استُرْعِيَ رَعِيَّةً فلم يَنْصَحْ"، الفتح: ١٣/ ١٣٥، برقم: (٧١٥٠)، (٧١٥١)، وأخرجه مسلم، "كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر": ٦/ ٢٩٢، برقم: (٤٥٩٩)، (٤٦٠١).

المعنى الإجمالي

الحديث يعرض لعبد من عبيد الله، استرعاه الله على بعض خَلقِه، فإذا به يَغُشُّهُم ويُفْسِد فيهم، وقد يُشيع فيهم غير الحقيقة، ليُبَرْهِنَ لهم أن الأمر لِصالِحِهم، وقد يستخدم أبواق الإعلام يُلبّسوا على الناس الحقائق، وقد يستخدم أدواتِ الظُّلم المختلفة، حتى يمنع الناس من المطالبة بحقوقهم، كل هذه الوسائل وغيرها تخفى على الناس؛ لكنها لن تَخفى على عالِمِ الغَيْبِ والشّهادة.

وهنا الغش يأخذ صورًا كثيرةً منها:

١- تزوير الانتخابات لنفسه أو لأنصاره، ومَن هُم من شيعته وأنصاره ويأتي بالجاهلين من الناس، الذين لا همَّ لهم إلَّا الشّهوات حتى يقضوا له ما يريد.

٢- تعيين غير المُؤهَّلين في الوظائف الرّسمية، من أعلى الهَرم إلى أقل من ذلك.

٣- استخدام أبواق الإعلام والإعلان، لتزيين باطِله أمام الناس.

٤- استخدام القسوة والسجن والإيذاء مع أشراف القوم وعلمائهم، على دَرْب فِرْعون ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ [غافر: ٢٩]، فكل من يقف أمامه ليس له إلا الإيذَاء.

٥- إسناد المشروعات لِلُّصوص والمُرتَشين والمُخرِّبين، بما يضيع أموال الدولة.

٦- التوقيع على اتفاقيات تضر بأمن الدولة واقتصادها، إرضاء لأعدائها أو تحقيقًا لمصالح شخصية.

٧- فقدان العدل بتعيين ظَلَمَة مثله على كراسي القضاء؛ لتحقيق القَهر للمجتمع، ولكن بأسلوب رسمي.

لمثل هذا جاء هذا الوعيد الشديد: (إلا حَرّم الله عليه الجنة) أو (لم يدخل الجنة معهم) فحتى لو كان مسلمًا فأمامه حَقٌّ العِباد، في كل هذا الظُّلم الذي قام به، وهذا القهر والاستبداد الذي ساد المجتمع.

ولقد استنبط العلماء من هذا الحديث وغيره قاعدة فقهية؛ وهي: □التصرف على الرعية منوط بالمصلحة□ وواضح أن

المقصود بالمصلحة مصلحة الأمّة لا مصلحة هذا الحاكم أو الوالي، أو فئة أو طائفة من المجتمع، فضلًا عن الأعداء.

وقال الإمام القرطبي المُحَدِّثُ: "إن (ما من عبد يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رعِيّةً) لفظ عام في كل مَن كُلِّف حِفظَ غيْرِه، سواء كانت ولايته عامة أم خاصة، وقد ورد في الحديث (كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رعيتِهِ؛ فالأميرُ الذي على الناسِ راعٍ عليهم وهو مسئولٌ عنهم، والرجلُ راعٍ على أهلِ بيتِهِ، وهو مسئولٌ عنهم، والمرأةُ راعيةٌ على بيتِ بعلها وولدِهِ، وهي مسئولةٌ عنهم، وعبدُ الرجلِ راعٍ على بيتِ سيدِهِ، وهو مسئولٌ عنهُ، ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رعيتِهِ)[٨٠].

وفي صحيح الإمام مسلم (إنّ شَرّ الرِّعاء الحُطَمَة) [٨١]، وعند أحمد: (ما من أمير عشيرة، إلا يُؤتَى بِهِ يومَ القيامةِ، مَغلولةٌ يداهُ إلى عنُقِهِ، أطلقَهُ الحَقُّ أو أَوْبَقَهُ)[٨٢].

وعند الإمام مسلم: (أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمّتِي الأَئِمّةَ الْمُضِلّونَ)[٨٣].

---

(٨٠) البخاري: "كتاب الأحكام، باب قوله تعالي: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ مجلد: ١٣/ ١١٩، برقم: (٧١٣٨)، وأخرجه الإمام مسلم: "كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل": ٦/ ٢٩٢، برقم: (٤٥٩٤).

(٨١) مسلم في: "الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل": ٦/ ٢٩٣، برقم: (٤٦٠٣).

(٨٢) أخرجه أحمد: (٩٥٧٣)، والدارمي: (٢٥١٥)، والبزار: (٨٤٩٢)، والوادعي في الصحيح المسند: (١٤٠٩)، والألباني في صحيح الترغيب: (٢٢٠٠).

(٨٣) رواه الترمذي، برقم: (٢٢٢٩)، وأبو داوود، برقم: (٤٢٥٢)، وقد ورد في صحيح مسلم إشارة إليه.

كل هذه الأحاديث وغيرها كثير، تبين لنا هذه المسئولية الجسيمة لمن ولي أمر المسلمين، والذنب الكبير لمن بات غاشًّا لهم إلى موته، حين يلقى الجزاء عند الله، والله لا يظلم أحدًا.

وإن من أكبر أنواع الغش الذي تعيشه أمتنا، الغش السياسي، والنفاق السياسي، والتبعية السياسية لأعداء الأمة، مما ترتب عليه إبعاد الحكم بالإسلام عن ساحة المسلمين، وتبرير إسالة الدماء، وإظهار الإسلام بصورة قبيحة، وهو دين الحق والحرية والعدل، وعدم الغضب من الحكام على الإساءة للإسلام، أو لنبي الإسلام، وعدم نُصرته، ولو مُسّ واحد منهم ولو بطَرْفٍ خفي، لسَلَّط عليه أتباعه، يفعلون به الأفاعيل إن لم يتمكن من النيل منه.

إن هذا النوع من الظُّلم، هو في حقيقته ظلم للإسلام وللمجتمع وللإنسان.

لقد انتشر في بلاد المسلمين تولي غير الصالحين زِمام البلاد فتم بذلك:

* عدم تحكيم الشريعة الإسلامية، والسعي لإبعادها عن الحياة العامَّة والخاصّة.

* جانب الأحوال الشخصية الذي ظل لفترة قريبة قائمًا على هذه الشريعة الإسلامية بدأت معاول هدمها.

* فقدان العدل، سواء في توزيع الثروات، حيث يتم نهبها من أهل السلطة وأعوانهم، وفرض الضرائب المُرهقة على عامة الشعب، حتى يعيش باحثًا عن لقمة جافة يسدُّ بها رَمَقَهُ.

* البذخ والترف في حياة الحكام ومن حولهم، والمشقَّة والشقاء للرَّعايَا.
* إفساد التعليم وإدخال الغش فيه لصالح أولادِهم.
* إفساد المنظومة الصحية؛ فالفقراء لا دواء ولا علاج لهم، ولو وُجِدَت مستشفيات في أحسن حالها تزيد المرض ولا تعالجه، ولا يجد الفقير فيها الدواء الذي يحتاج إليه.
* إعانة الظالم، والضّرب على يد المظلوم، طالما أن الظَّالِم من أهل السُّلطة، وقد صدر في إحدى الدُّوَل قانون يعفي أصحاب السلطة من الشرطة والجيش، من المساءلة عما يحدث منهم. كأن القانون يقول: اظلموا واقتلوا، وافعلوا ما يحلو لكم، فلن تُحاسبوا.

هذا معقل بن يسار، الصحابي الجليل في مرضه الأخير، يعوده أصحابه، ومنهم الحسن البصري، ثم دخل عليهم عبد الله بن زِياد يَعودُه، وسأله الدعاء فيقول له معقل: "سأحدثك حديثًا ما حَدثتك به من قبل، ولولا أني في عداد الموتى ما حدثتك به: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من وال يَلِي رَعِيَّة من المسلمين، فيموت وهو غاشٌّ لهم، إلا حرم الله عَلَيه الجنة)[٨٤]، قال عبد الله بن زياد مُوبِّخًا ومهددًا لمَ لَمْ تُحدِّثني بهذا قبل اليوم؟ قال له: لم أكن لأفعل، ولو علمت أن حياتي ستمتد بعد مَرَضِي

(٨٤) أخرجه الإمام مسلم: "كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل": ٦/ ٢٩٢، برقم: (٤٥٩٩).

هذا، ما حدثتك به"، فخرج عبد الله يضحك ساخرًا من معقل غير عابئ بما حَدّث به، وبلّغ معقل، ولقي ربّه راضيًا مرضيًّا.

ما يستفاد من الحديث

١- تحريم غش الرعية.
٢- غش الرعية من الكبائر.
٣- عظم مسئولية الولاية.
٤- الوعيد الشديد لوُلاة الجور والظلم.
٥- حرص الصحابة على تبليغ العلم.
٦- اللفظ العام ليس للولاة العامِّين فقط؛ بل لكل من ولِيَ من أمر الأُمّة شيئًا.
٧- على الولاة النصيحة.
٨- هذا الحديث من جوامِع الكَلِم.
٩- فعل الصحابي هذا، وتأخُّرُه في البلاغ، لأنه يعلم أن الموعظة لا تنفعه أو لأنه خافَه.
١٠- تحريم الجَنّة على المُسْتَحِلِّ للظلم.
١١- غير المستحل لا يدخلها مَع الفائزين الأُوَل من المؤمنين.
١٢- غِشُّ الرعية بأي أنواع الظلم: دماء، أموال، حبس الحقوق، أو غيرها.
١٣- كراهة الحرص على الإمارة، لما فيها من مسئولية على الولايات العامّة، مثل القضاء وغيره.

الحديث الرابع والعشرون

باب: أخذ الله الظالم بعد إمهاله

عن أبي موسى رضي الله عنه وأرضاه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: إن اللَّه لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أخذ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ أن أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢] مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

تخريج الحديث

أخرجه الإمام البخاري في: "كتاب التفسير، باب وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى"، الفتح: ٨/ ٢٠٥، رقم: (٤٦٨٦). وأخرجه الإمام مسلم: "كتاب البِرِّ والصِّلة، باب تحريم الظلم": ٨/ ٢٤٢، برقم: (٦٤٦٤).

معاني المفردات

يملي: يمهل ويؤخر ويطيل له في المدة.

لم يفلته: أي لن يفلت الظالم من بأس الله.

المعنى الإجمالي

هذا الحديث فيه إجابة واضحة وشافية عن حكمة الله وقدرته، فإن المظلومين خاصة ممن يبتلون في سبيل الله يقع عليهم العذاب ظلمًا، وهم يدعون الله على الظالم، أن يَرُدّه للحق، أو يزيل المظلمة عنهم، أو يزيل الظَّالم، ويبدل الأمة خيرًا منه. وهكذا الشأن بين كل المظلومين والظالمين، ومع اليقين أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، وأنها تُرفع إلى الله كما هو ثابت.

ولكن قد يتأخر انتقام الله، ويترتب على ذلك زيادة غرور الظالم، حاكم أو غير حاكم، بل إنه يزداد في الظلم ويزداد، حتى إن زبانية عبد الناصر عام ١٩٦٥م وما بعده، كانوا يقولون للإخوان: لو أن ربكم جاء لجعلناه معكم في الزنازين! – خسئوا وتعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرا– ولو قلتم يا عبد الناصر لكان فرجًا لكم. قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦].

ويغفل الكثير أن لله حكمة في كل شيء، منها التمحيص لأهل الحق، وتمييز الخبيث من الطيب، فلو كان طريق الحق سهلًا لتقدم فيه المنافقون: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ هذه هي الطبيعة البشرية، فالله يعطي فرصة للظالم للتوبة، وهي أيضا رفعة لدرجات المظلوم ومن مات منهم فهو شهيد.

إن الاغترار مرض عضال في الإنسان، نقول، أيها السياسي، أمَا لك مثلٌ في فرعون؟! ويا صاحب الجند أما لك مثل في هامان؟! أيها الجند يا من لسان حالكم يقول دائمًا: (أنا عبد المأمور)، أما لكم مَثَلٌ في جنود هامان؟! وبدلًا من أن تكون عبدًا للمأمور، لماذا لا تكون عبدًا للآمر، الذي يأمرك بعدم الظلم

وعدم إعانة الظالمين؟ بل يأمرك أن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقول الحق.

يتذكر الجميع قول الله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١]. والليل مهما طال لابد بعده من نهار.

عند الإمام أحمد (ذَنبان مُعَجَّلان، لا يُؤَخَّران: البَغْيُ، وقَطيعةُ الرَّحِمِ)[٨٥] وفي الحديث (ما مِن ذنَبٍ أجدرُ أنَ يُعجِّلَ اللَّهُ تعالى لصاحبِهِ العُقوبةَ في الدُّنيا معَ ما يدَّخِرُ لَه في الآخرةِ مِثلُ البغيِ وقطيعةِ الرَّحِمِ)[٨٦]، والبغي هو الظلم.

جلس عمر بن عبد العزيز يسأل رجاء بن حيوة عن حال الرعية، فقال له: رأيت الظالم مقهورًا والمظلوم منصورًا، والفقير مبرورًا" فقال عمر بن عبد العزيز: الحمد لله الذي جعل لي من العدل ما تطمئن به قلوب رعيتي.

فيأيها الظالم لا تغتر.
ويأيها المظلوم لا تيأس.
أيها الظالم يوم الحساب لا ينفع الندم.
أيها المظلوم يوم الحساب لن يضيع حقك.

---

(٨٥) أخرجه الإمام أحمد: (٢٠٣٨٠)، عن أبي بكرة النفيع بن الحارث، وله شاهد عند الترمذي: (٢٥١١)، وأبي داوود، والحديث صحيح.

(٨٦) أخرجه أبو داود: (٤٩٠٢) في: "الأدب، باب النهي عن البغي"، والترمذي: (٢٥١٣) "صفة القيامة، باب: (٥٨)"، وقال الترمذي: حسن صحيح.

فأين من دَوّخوا الدنيا بِسَطْوَتِهِم وذِكْرُهُم في الوَرَى ظُلم وطغيان
أين الجبابرة الطاغون وَيْحَهُـمُو وأين من غرّه لهو وسلطان
هل خلَّد الموتُ ذا عزٍّ لعِـزَّتِه أو هل نجا منه بالسلطان إنسان
لا والذي خَلَقَ الأكوان من عَدَمٍ الكل يفنى فلا إنس ولا جـان

يقول ابن القيم :: "سبحان الله! كم بكت في تنعم ظالم عينُ أرملة، واحترقت كبد يتيم، وجرت دمعة مسكين".

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "ولو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغي منهما دكًّا".

وفي الشعر:

قضى الله أن البَغْيَ يَصْرَع أهلَه وأن على الباغي تدور الدوائر

وقال الشاعر:

إذا جارَ الوزير وكاتِـباه وقاضي الأرض أجْحَفَ في القضاء
فوَيْلٌ ثم وَيْلٌ ثـم وَيْلٌ لقاضي الأرض من قاضي السماء

يقول وهب بن منبه:

"إذا هَمّ الوالي بالجُور، أو عمِل به، أدخل الله النَّقص في أهل مملكته في الأسواق والزروع والضُّروع وكل شيء، وإذا هَمّ الوالي بالخير والعدل، أو عمِل به، أدخل الله البركة في أهل مملكته".

وقيل: "عدل السلطان أنفع من خصب الزمان".

وقيل: "يوم المظلوم على الظَّالم أشد من يوم الظالم على المظلوم".

والإسلام يحرم الظلم، ويحرم إعانة الظالم ومساعدته؛ بل السكوت على ظلمه محرم أيضًا، نحن في حاجة إلى مواجهة الظلم وفضح الظالمين.

أد الأمانة والخيانة فاجتـــــنب
واعدل ولا تظلم يطيب المكسب

واحذر من المظلوم سهمًا صائبًا
واعلم بأن دعاءه لا يُحجَب

ولعلنا عشنا ورأينا "حمزة البسيوني" وكان مديرًا للسجن في عام ١٩٦٥م، وأذاق الإخوان أصنافًا من ألوان العذاب، وبينما هو ذاهب إلى الإسكندرية دخلت سيارته في سيارة تحمل أسياخ الحديد فدخل الحديد في عنقه وجسده وكانت ميتته عبرة شديدة! هذا بخلاف ما ينتظره من حقوق الخلق يوم القيامة.

ولقد استمعت إلى بعض الجنود المصريين، الذين ذهبوا إلى حرب اليمن، وقتلوا الآمنين، رأيتهم وحالتهم النفسية غيرَ مستقرة.

ولنتساءل أين من يذكر جمال عبد الناصر وبم يذكر؟ ومن يذكر الشهيد سيد قطب وبم يذكر؟!

هذا في الدنيا وماذا عند الله؟ لا يعلم ذلك إلا الله، ومما سمع في سجن "أبو زعبل" كيف كانت ملاعب السجن تجمهر؛ لأن "شعراوي جمعة" وزير الداخلية سيحضر، وما هي إلا أيام وكان شعراوي جمعة في السجن في أيام السادات!

حِكمة: الله يمهل ولا يهمل.

يمهل الظالم لعلّه يتوب، يؤخر لعله يُقلِع، فإذا تمادى وأصر، حتى إذا أخذه كان أخذه أليمًا شديدًا، ويَحكي "ابن الجوزي"، في صيد الخاطر عن أناس من أصحاب المظالم كانوا يرتكبون المنكرات، والإمام ابن الجوزي يفكر متى يقام على هؤلاء الحد، بل من سيقيمه، يقول: "ثم رأيناهم في أسوأ حال، وحل بهم انتقام الله"!

ما يستفاد من الحديث

١- لله في كل شيء حكمة.
٢- الله يمهل للظالم لعله يتوب.
٣- إذا ازداد ظلم الظالم انتقم الله منه.
٤- للمظلوم الدعاء على الظالم.
٥- ليس للمظلوم اليأس من تأخر انتقام الله من الظالم.
٦- إمهال الله للظالم قد يزيده غرورا.
٧- إمهال الله للظالم فيه تمحيص المظلومين.
٨- صبر المظلومين يزيد الأجر لهم.
٩- انتقام الله شديد.
١٠- عند وقوع الانتقام لا ينفع الندم.

الحديث الخامس والعشرون

باب: ألا لعنة الله على الظالمين

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا أنا أَمْشِي، مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آخذ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أي رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أنه هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: "**هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**"، [هود: ١٨].

تخريج الحديث

البخاري: "كتاب المظالم، باب قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾"، الفتح: ٥/ ١١٦، برقم: (٢٤٤١).

معاني المفردات

النجوى: المناجاة.

يدني: أي يقربه إليه.

كنفه وستره: الكنف هو الستر عن الخلق.

قرره بذنوبه: أي اعترف العبد بذنوبه.

هلك: أي تَيَقَّنَ من هلاكه وأنه إلى النار.

سترتها عليك: من فضل الله.

أغفرها لك: هذه نعمة عظيمة من الله أن يمحو الذنوب.
لعنة الله: الطرد من رحمة الله.

شرح الحديث

لعنة الله هي إبعاد من وقعت عليه من رحمته سبحانه وتعالى، ويورد الإمام البخاري حديثًا أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سأل عن النّجْوى فأخبَر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: أن الله ﷻ يدني المؤمن ويَستُره، ويُقَرّرُهُ بما فعل من الذنوب، حتى إذا رأى هذا المؤمن أنه هالِكٌ لاَ محالة، سمع من رحمة الله الشيء العظيم! يقول له الله ﷻ: (سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطَى كتاب حسناته).

ما أجمل هذه البشرى، ولذا يروى عن أحد الصحابة أنه قال: "ما كان الله ليستر على عبد في الدنيا ثم يفضحه يوم القيامة"، الله رحيم بعباده غفور عفو كريم يحب العفو، هذا من رحمة الله تعالى.

أما غير هؤلاء من الكفار والمنافقين، فقد قال الله فيهم: ﴿وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق:٧- ١٥]، ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ *

فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ * وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ * وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [سورة الذاريات: ٣٥- ٤٠].

قال رسول الله ﷺ: (كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إلا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ)(٨٧).

وقال ﷺ: (من نوقش الحساب عذب)(٨٨).

في أول كتاب المظالم أخرج الإمام البخاري ; قول الله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣]، رافعي رءوسهم، المقنع والمقمح واحد..

ثم بعد ذلك أورد "باب الانتصار من الظالم" لقوله جَل ذكره: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إلا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩].

---

(٨٧) أخرجه البخاري: ١٠/ ٥٠١، في: "الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه" برقم: (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠) في: "الزهد، باب النهي عن هتك الإنسان ستْر نفْسه".

(٨٨) أخرجه البخاري: "كتاب الرقاق: ١١/ ٤٠٧، باب من نوقش الحساب عُذِّب" برقم: (٦٥٣٦)، ومسلم في: "الجنة، باب إثبات الحساب" برقم: (٢٨٧٦).

لعنة الله: لا يملكها إلا الله وحده، وهي الإبعاد والطرد من الخير، ولهذا يجب على المسلمين ألا يلعنوا إلا من لعنه الله، أو لعنه رسول الله ﷺ، وذلك بالوصف، فتقول: لعنة الله على الظالمين، لعن الله الواصلة والمستوصلة... وهكذا.

أو لعن الله الراشي والمرتشي، حتى الدوابَّ لا يجوز لعنها.

وإذا لعن اللهُ أو لعن رسولُ الله ﷺ أمرًا، دَلّ ذلك أنه من الكبائر، وخطورة اللّعن ما أخبر به النبي ﷺ أنه من لعن شيئًا ليس له بأهل، رجعت اللّعنة عليه.

ومما ورد في السُّنّة الشريفة مما لعنه رسولُ الله ﷺ:

- من لَعَن والديه.
- الذابح لغير الله.
- المُحلِّل والمُحلَّل له.
- الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن.
- من سبّ الصّحابة.

ولكن هل يجوز لعن المُعيَّن الحي؟ الراجح في هذا الأمر عدم ذلك، فقد يتوب، فباب التوبة مفتوح إلا لمن مات على الشرك.

وأورد بعده "باب عفو المظلوم"؛ لقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ إِنّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠- ٤١].

ولسائل أن يسأل إن صحيح الإمام البخاري كتاب حديث، فَلِمَ يورد بابًا يحتوي على آية قرآنية، ثم لا يورد حديثا مبيِّنًا لما ورد فيها، وهذا الأمر قبل الإجابة عليه، لابد من توضيح أن الإمام البخاري مُحَدِّثٌ فقيه، كتابه لم يحتوِ على سرد الأحاديث فقط، بل حَمَلَ فِقْهًا يحمل المعنى، وهذا ما جعل كتابه يحتوي على كثير من المُعَلّقات.

وفي أول "كتاب العلم، باب فضل العلم وقول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، وقوله ﷻ: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾" [طه: ١١٤]، ولم يورد حديثا تحت هذا الباب.

والجواب نقلا عن الإمام ابن حجر: "إما أن يكون اكتفى بالآيتين الكريمتين، وإما بيض له ليلحق به ما يناسبه فلم يتيسر". وأورد فيه حديث ابن عمر الآتي، بعد "باب رفع العِلم"، ويكون وصفه هناك من تصرف بعض الرُّواة، وفيه نظر على ما سنبينه هناك، بإذن الله تعالي. ونقل الكرماني عن بعض أهل الشام أن البخاري بَوّب الأبواب وترجم التراجم وكتب الأحاديث، وربما بَيّض بعضها ليُلْحِقَه، وعن بعض أهل العراق أنه تعمد بعد الترجمة عدم إيراد الحديث إشارة إلى أنه لم يثبت فيه شيء على شرطه. قلت –الإمام ابن حجر–: "والذي يظهر لي أن هذا كله محله حين لا يورد فيه آية أو أَثرًا، أما إذا أورد آية أو أثرًا فهو إشارة منه إلى ما ورد في تفسير تلك الآية، وأنه لم يثبت فيه شيء على شرطه، وما دلت عليه الآية كافٍ في الباب.

والذي قاله ابن حجر هو الراجح، وهو عدم وجود حديث على شرطه يؤدي هذا المعنى، أقول: كما أن المعنى الوارد في الآية مهم جدًا، وكان لتمام الفقه والبيان إيراد ذلك، والله أعلم.

ما يستفاد من الحديث

١- أن الظالم مطرود من رحمة الله.
٢- الظالم مطرود من ستر الله.
٣- أهل الإيمان يتنعمون بستر الله الجميل.
٤- الله رحيم بعباده يستر ويغفر.
٥- ثبوت كلام الله مع عباده يوم القيامة.
٦- مغفرة الله قريبة من عباده.
٧- إقرار العبد بذنوبه يوم القيامة.
٨- الإمام البخاري مُحَدِّثٌ فقيه.
٩- الإمام البخاري قد يورد عنوان الباب آية قرآنية ولا يورد تحتها حديثًا، لعدم وجود ما على شرطه لهذا المعنى.
١٠- أن المعنى الذي يورد له الآية القرآنية مهم جدًا.

الحديث السادس والعشرون

باب: ظلم الإنسان لنفسه وأهمية الدعاء بطلب مغفرة الذنوب

عن أبي بكْرٍ الصِّدِّيق رضى الله عنه، أنه قَالَ لِرَسول اللَّه ﷺ: (عَلِّمني دُعَاءً أَدعُو بِهِ فِي صَلاتي، قَالَ: قُلْ: اللَّهمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثِيرًا، وَلا يَغْفِرِ الذُّنوبَ إلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لي مغْفِرَةً مِن عِنْدِكَ، وَارحَمْني، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفورَ الرَّحِيم) متَّفَقٌ عليهِ.

تخريج الحديث

أخرجه الإمام البخاري: "كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة" برقم: (٨٣٤)، ومسلم في كتاب الدعوات والأذكار، باب دعاء المغفرة والرحمة في الصلاة" برقم: (٢٧٠٥).

المعنى الإجمالي

هذا حديث جليل الشأن فيه كيف يعلم النبي ﷺ المؤمن أن يعترف بين يدي ربه بحقيقته الغالبة، وهي أنه ظالم لنفسه ظلمًا كثيرًا، والظلم كما سبق البيان ليس فقط بارتكاب المعاصي؛ بل بالتقصير وعدم استيفاء الواجبات والحقوق التي عليه، وحتى لو استطاع الإنسان هذا في جوارحه، فأين هو من قلبه.

وعند أصحاب السنن كان النبي ﷺ إذَا خَرجَ مِنْ بيْتِهِ يقول: (بِسْمِ اللَّهِ، توكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذُ بِكَ أنْ أَضِلَّ أو

أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزلَّ، أو أظلِمَ أو أُظلَم، أو أَجْهَلَ أو يُجهَلَ عَلَيَّ"[٨٩].

ونجد في هذا الحديث حرص الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على التعلم؛ وذلك بالسؤال، حتى نجد الصدّيق أبا بكر رضي الله عنه، وهو من أشد الملازمين لرسول الله ﷺ يستفسر عن دعاء يدعو به في صلاته.

وكان هذا الدعاء يشمل الاعتراف بأن الإنسان يظلم نفسه ظلمًا كثيرًا، وتأكيد أن الله وحده هو من يملك تكفير الذنوب، والدعاء مخ العبادة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (دعاؤكم إيمانكم).

وللدعاء مكانة عظيمة في حياة المسلم، وله آدابه ومستحباته وضوابطه، وكل هذا مبسوط في الكتب المتخصصة في الدعاء.

ما يستفاد من الحديث

١- أهمية الدعاء.
٢- الصحابة يستفسرون ولو كان أبا بكر!
٣- أهمية الدعاء في الصلاة.
٤- اعتراف العبد بين يدي ربه بارتكابه الذنوب.
٥- طلب المغفرة من الله فهو الغفور الرحيم.
٦- أن الظلم في حقيقته هو ظلم الإنسان لنفسه.
٧- أنه لا يملك المغفرة إلا الله.
٨- العفو والمغفرة فضل من الله على عباده.
٩- طلب العبد الرحمة مع المغفرة.

---

(٨٩) أخرجه أبو داود: (٥٠٩٤) واللفظ له، والترمذي: (٣٤٢٧) وقال: حسن صحيح، والنسائي: (٥٤٨٦)، وابن ماجه: (٣٨٨٤)، وأحمد: (٢٦٦١٦)، والألباني في صحيح أبي داود: (٥٠٩٤).

الحديث السابع والعشرون

باب: إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه

عن أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ رَسُول اللَّهِ ﷺ: أنه سَمِعَ خُصُومَةً بِبَابِ حُجْرَتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: (إِنَّمَا أنا بَشَرٌ، وإنه يَأْتِينِي الخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ، فَأَحْسِبُ أنه صَدَقَ، فَأَقْضِيَ لَهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ، فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ، فَلْيَأْخُذْهَا أو فَلْيَتْرُكْهَا).

تخريج الحديث

البخاري: "كتاب المظالم والغصب، باب من خاصم في باطل وهو يعلمه": (٥/ ٨٦٨) برقم: (٧١٨٥)، ومسلم في: "كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر" برقم: (١٧١٣).

هذا الحديث هام في حياة المسلمين، وله وقائع كثيرة متعددة، ولننظر الآن في العناوين التي وضعها الأئمة لهذا الحديث في كتبهم.

البخاري:	"كتاب المظالم"	"باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه".
	"كتاب الشهادات"	"من أحكام البينة بعد اليمين".
	"كتاب الأحكام"	"باب موعظة الإمام للخصوم".
		"باب من قضى له بحق أخيه فلا يأخذه".

		"باب القضاء في كثير المال وقليله".
	"كتاب الحيل"	"باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت، قضي بقيمة الجارية الميتة، ثم وجدها صاحبها فهي له ويرد القيمة، ولا تكون القيمة ثمنا".
مسلم:	"كتاب الأقضية"	"باب إنّ حُكْم الحاكِم لا يُغَيِّر الباطِن".
أبو داوود:	"قضاء القاضي إذا أخطأ".	
الترمذي:	"ما جاء في التشديد على من قُضِيَ له بشيء ليس له أن يأخذه".	
النسائي:	"كتاب أداء القضاء"	"باب الحكم بالظاهر".
ابن ماجه:	"كتاب الأحكام"	"باب قصد الحاكم لا يحل حراما ولا يحرم حلالا".

إن العناوين التي وضعها هؤلاء الأئمة، تكشف عن جزء كبير مما يحتويه هذا الحديث العظيم.

المفردات

أم سلمة: أم المؤمنين زوج النبي ﷺ، واسمها هند بنت أبي أمية.

خرج إليهم: أي إلى المتخاصمين.

إنما أنا بشر: تقرير للحقيقة التي عليها النبي ﷺ، وأنه لا يعلم الغيب؛ إلا ما علمه الله، ويحكم بالظاهر، ولكنه ﷺ له الكمال البشري.

أبلغ: أحسن في إيراد الكلام وتقديم الحُجاج.

قضيت له: حكمت له.

المعنى الإجمالي

وهذا الحديث يؤكد بشرية الرسول، وأنه لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، فحيث لم يُعلّمه الله فلا عِلم له، بينما نجد في حادثة اللِّعان بين الزوجين وقد تفرقا قال ﷺ: (إن يأتي الغلام بصفة كذا وكذا فهو مما رميت به)، وأتى الغلام على هذه الهيئة، ولكن النبي لم يُقِم عليها حدًّا بسبب المُلاعَنة، وعدم الاعتراف وعدم الشهود.

١- أن الإسلام يقيم أحكامه على الظاهر، وهذه قاعدة فقهية هامة.

٢- أن حكم الحاكم لا يُحِلُّ حرامًا ولا يُحَرّم حلالًا.

٣- (فمن قضيت له بحق أخيه) ليس للتخيير؛ لأنه بيّن إذا لم يكن حقًا له فهو قطعة من النار.

وقائع الحياة

وحقيقة الأمر أن واقع البشر، والطمع في الدنيا، تبعد الناس عن هذه الضوابط.

١- فهذا أخَذ مالًا وأعطى شيكًا على نفسه بالمال، وبعد ذلك سدَّد المال لصاحبه، وغفل أو نسي أو لم يفكر في أخذ الشيك،

فإذا بالدائن الذي أخذ المال يرفع قضية، ويأخذ حُكما على مدِين سبق له سداد الدين، واللحن في الحجة وجود الشيك.

٢- وهذا يعطي مالًا مشاركة مع آخر، ومع ذلك يأخذ وصل أمانة عليه، فأصبحنا لا نعلم هل هو شريك له في الربح والخسارة أو دائن بهذا الإيصال؟ وكل هذه الصور الباطلة التي سببها خراب الذمم وضعف الإيمان.

٣- وهذا زوج فصيح اللسان، يتجنى على زوجته ذات الحياء، أنها مقصرة في حقه لا تقوم بواجباته، والله وحده يعلم أنها من أفضل الناس معه، ولكنه يستغل حياءها، وقدرته على البيان، ويرميها بكل ما هي منه بريئة.

إن السبب في هذا كله، راجع إلى غفلة الإنسان، أن الله مُطّلع عليه يعلم السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وصور كثيرة أخرى، كلها من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

لذا كان التعبير النبوي في آخر الحديث: (فمن قضيت له بحق أخيه فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها).

ما يستفاد من الحديث

١- التأكيد على بشرية الرسول ﷺ.

٢- أن الرسول ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما علّمه الله.

٣- الإسلام يقيم الأحكام على الظاهر.

٤- حكم الحاكم لا يحل الحرام ولا يحرم الحلال.

٥- للمتخاصمَيْن أن يتحاكما عند القاضي، أو المفتي العام بذلك.

٦- أن فصاحة الإنسان وشدة بيانه، لا تحل له ما هو حرام.

٧- من أخذ حق أخيه فهو جمرة من النار.
٨- التحذير لأصحاب الألسنة التي يستحلون بها المحرم.
٩- الله مطلع على كل شيء، فلا يخفى عليه شيء.

الحديث الثامن والعشرون

باب: من غير معالم الأرض أو ظلم

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُنَاسٍ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ، فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَذَكَرَ لَهَا ذَلِكَ فَقَالَتْ: (يَا أَبَا سَلَمَةَ، اجْتَنِبِ الأرضَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ). متفق عليه

تخريج الحديث وشرحه

البخاري: "كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئا من الأرض" برقم: (٣١٩٥).

مسلم: "كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض" برقم: (١٦١٢).

وأخرج الإمام البخاري عن سعيد بن يزيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَن ظلم من الأرض شيئا طوقه الله من سبع أرضين) "كتاب المظالم إثم من ظلم شيئا من الأرض"، وعند الإمام مسلم أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ، ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه أَنَّهُ أخذ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ أخذت مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: مَنْ أخذ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ)، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ، إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا،

قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا، إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ(٩٠).

وعن أَبي الطفيل عامر بن وائلة، كُنْتُ عِنْدَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: فَغَضِبَ وَقَالَ: (مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا يَكْتُمُ النَّاسَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ. فَقَالَ: مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ)(٩١) وفي لفظ له: (لعن الله من سرق منار الأرض). "كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله".

وروى البخاري عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ: (مَنْ أخَذَ من الأرضِ شيئًا بغير حقه، خُسِفَ به يومَ القيامةِ إلى سبعِ أرَضِين)(٩٢).

وعَنْ أبي أُمامةَ إياس بْنِ ثَعْلَبَةَ الحَارِثِيِّ: أَنَّ رسُول اللَّه ﷺ قالَ: (مَن اقتَطعَ حَقَّ امرئٍ مُسْلِمٍ بِيمِينِهِ، فقَدْ أَوْجَب اللَّه لَهُ النَّارَ، وحرَّم عَلَيْهِ الْجنَّةَ، فَقالَ لَهُ رَجُلٌ: وإِنْ كَانَ شَيْئًا يسِيرًا يَا رسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَراكٍ)(٩٣).

---

(٩٠) أخرجه مسلم في: "كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها" رقم: (٣٩٩٩).

(٩١) أخرجه الإمام مسلم في: "كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى" رقم: (٤٩٩٥).

(٩٢) أخرجه البخاري: "كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئًا من الأرض": ٥/ ١٢٤، برقم: (٢٤٥٤).

(٩٣) مسلم: "كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار" رقم: (٢١٠).

هذه الأحاديث، وغيرها في الباب كثير تحذر من تغيير معالم الأرض، ومنار الأرض– الحدود التي تتميز بها الأملاك–: وأن من يسرق ولو شِبرًا من الأرض يُطوّق يوم القيامة من سبع أرضين، ذلك لأن حدود علامات الأرض متداخلة بين الجيران، وقد يحدث وفاة الرجل فتبقى الأرملة والأطفال الصغار لا يدركون فتتم السرقة وتُغَيّر المعالم، ولأننا نشهد حدوث الخصومات بين الجيران، وقد تصل إلى المقاتلة والقتل، بسبب تغيير منارات وعلامات الأرض.

وفي التحذير (ولو قضيبا من أراك)، تحذير شديدٌ مَهْما قَلّ هذا الظلم، فإن عاقبته وخيمة.

وقال رسول الله ﷺ: (أعظمُ الغُلُولِ عندَ اللهِ تعالى يومَ القيامَةِ، ذراعٌ مِنَ الأرضِ، تجدونَ الرّجُلَيْنِ جارَينِ في الأرضِ أوْ في الدّارِ، فيَقْتَطِعُ أحَدُهما مِنْ حظِّ صاحِبِهِ ذراعًا ، فإذا اقتطعَهُ طُوِّقَهُ مِنْ سبعِ أرَضينَ يومَ القيامَةِ)(٩٤).

وفي حديث آخر: (من أخذ أرضا بغير حقها، كُلِّف أن يحمل ترابها إلى المحشر)(٩٥).

ومما يزيد هذا الأمر سوءا؛ ما يكون بين الجيران، الذين لبعضهم على بعض حقوق، وبينهم قرابة أصلُها صلة الأرحام المَوَدّةُ والمَحبّة.

---

(٩٤) مجمع الزوائد: (٤/ ١٧٨)، رواه أحمد والطبراني في الكبير وإسناده حسن.

(٩٥) مجمع الزوائد: (٤/ ١٧٨)، وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير.

وأن جبريل أخذ يوصي النبي ﷺ بالجار، حتى ظن النبي ﷺ أنه سَيُوَرِّثُهُ؛ ومع هذا فإن الشّحناء والبغضاء تدب بين الجيران، بسبب الأرض وسرقة منارها، وكل واحد سيمضي إلى الآخرة ليوم الحساب.

وليس معنى هذا أن أي وسيلة أخرى، من تزوير الأوراق وشهادات الزور، وغيرها من الوسائل لسرقة الأرض، لا يدخل أصحابها في هذا الوعيد، بل يدخلون؛ لأن كلمات الحديث عامة تشمل من يشارك في هذه الجريمة.

ما يستفاد من الحديث

١- أن الإسلام يحرم كل صُوَر الظلم.
٢- من أشد أنواع الظلم تغيير معالم الأرض.
٣- أن أقل أنواع الظلم، ولو عودا من أراك؛ يُحرّم عليه الجنة.
٤- أن من اقتطع أرضًا طُوّقها من سبع أرضين يومَ القيامة.
٥- الإسلام حريص على دَوام العلاقة الطيبة بين الجيران.
٦- تغيير معالم الأرض يؤدي إلى فساد كبير في البلاد.
٧- أن دعاء المظلوم مستجاب.
٨- أن سعيد بن زيد رضي الله عنه من مستجابي الدعوة.
٩- تقديم النصيحة كما قدمتها عائشة إلى أبي سلمة رضي الله عنهما .
١٠- جواز نُصح المرأة للرجل.
١١- النبي ﷺ كان يُعلِم الشريعة الإسلامية للناس كافّة.
١٢- لم يكن لأهل البيت عِلم خاص بهم.
١٣- جواز الغضب من الاتهامات الباطلة.
١٤- جواز لعن من سرق الأرض.

١٥- أهمية نشر العلم والتحذير من الظلم.

الحديث التاسع والعشرون

باب: دَعُوها فإنَّها مُنْتِنَةٌ

روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (كُنَّا فِي غزَاةٍ- قالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً فِي جَيْشٍ- فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأنْصَارِ، فَقالَ الأنْصَارِيُّ: يا لَلأنْصَارِ، وقالَ المُهَاجِرِيُّ: يا لَلْمُهَاجِرِينَ؛ فَسَمِعَ ذلكَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ فَقالَ: ما بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ؟ قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأنْصَارِ، فَقالَ: دَعُوهَا فإنَّهَا مُنْتِنَةٌ فَسَمِعَ بذلكَ عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ، فَقالَ: فَعَلُوهَا، أما واللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ، فَبَلَغَ النبيَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ: دَعْنِي أضْرِبْ عُنُقَ هذا المُنَافِقِ، فَقالَ النبيُّ ﷺ: دَعْهُ، لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أصْحَابَهُ).

تخريج الحديث

خرجه الإمام مسلم في: "كتاب البر والصلة والأدب، باب انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا": (٨/ ٢٤٢)، برقم: (٦٤٦٦).

وأخرجه الإمام البخاري في: "كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾" المنافقون: ٧]، (٨/ ٥١٦)، برقم: (٤٩٠٥).

معاني الكلمات

كسع: ضربه على المؤخرة باليد أو بالسيف، وفيه خلاف، وهذا هو المفهوم العام.

المهاجرين: الهجرة من مكة إلى المدينة، ولا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، لكن باب الهجرة مفتوح لكل من خاف على دينه.

الأنصار: أهل المدينة (يثرب) الذين استقبلوا المهاجرين بكل قلب وحب وكرم.

دعوها: اتركوها، وهل الضمير عائد على الكسع أو على دعوة كل فرد لفريقه.

منتنة: ذات رائحة كريهة وفاسدة.

عبد الله بن أُبَيّ ابن سَلول: كبير المنافقين، وسلول جدته لأبيه.

فعلوها: أي تجرأ المهاجرون على الأنصار.

ليخرجن الأعز منها الأذل: المراد بالأعَزّ الأنصار عامّة، وهو وشيعته خاصة، والمراد بالأذل المهاجرون.

لا يقال إن محمدًا يقتل أصحابه: من حيث الظَّاهر، فإن نفاقه لم يكن معلومًا للجميع.

الشرح الإجمالي

هذا الحديث بَيّن واقعة حدثت بين مُهاجِرِيٍّ وأنصاريٍّ، ضرب أحدُهُما الآخرَ، فنادى كل فريق علَى أهلِه، قال الأنصاري مناديًا الأنصار طالبًا النّجدة منهم: يا للأنصار، وقال المهاجر مناديًا المهاجرين طالبًا النّجدة منهم: يا للمهاجرين. وهذه كانت العادة قديمًا، أن ينادي كل إنسان على أهله لنصرته– سواء كان على حق أو باطل– وهذا ما تحدثنا عنه في

الحديث الثامن عشر، فلما سمع بهذا رسول الله ﷺ قال: دعوها فإنها منتنة، أي ذات رائحة كريهة لا يأتي من ورائها خير.

فلما سمع عبد الله بن أُبي ابن سلول بذلك، قال كلمته التي سجلها القرآن: ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ **المنافقون: ٨**، يريد بالعزيز هو وجماعته وعموم جماعة الأنصار، ويريد بالأذل: المهاجرين، وقد يكون قاصدًا من بينهم رسول الله ﷺ، وإن لم يُصَرّح بذلك.

هنا غضب عمر رضي الله عنه، وطلب الإذن بضرب عنقه؛ ولعل السبب وضوح مقصده بأن الذليل هو رسول الله ﷺ! وبالتالي يستحق ذلك. قال رسول الله ﷺ: اتركه حتى لا يتناقل الناس قتل النبي ﷺ لأحد من أصحابه، وهذا من حيث الظاهر منه، وإن كان حقيقته أنه منافق.

ولكبير المنافقين ولَدٌ صحابيٌّ جليل من خيار الصحابة، شهد بدرا واستشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. أورد البخاري في: "كتاب التفسير، باب استغفر لهم أو لا تستغفر لهم" هذا الحديث:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أَنَّهُ قَالَ: "لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَثَبْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أُبَيٍّ وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ. فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ

أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا! قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمْكُثْ إلا يَسِيرًا، حَتَّى نَزَلَتِ الآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةٌ: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ :﴿وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ"(٩٦).

قال الإمام ابن حجر: ومن مَنَاقبه أي عبد الله بن عبد الله بن أبي – أنه بلغه بعض مقالات أبيه فجاء إلى النبي ﷺ يستأذنه في قتله، قال رسول الله ﷺ: بل أَحْسِنْ صحبته(٩٧).

ونجد في حديث البخاري أن النبي ﷺ أعطاه القميص ليكفن فيه، وطلب ولده الصلاة عليه، علي ما يعرف من ظاهر حال أبيه؛ لكن سيدنا عمر اعترض على ذلك وكرر على سمع النبي ﷺ مقولته، هنا تبسم رسول الله ﷺ قال: يا عمر، ابتعد عني، فلما كرّر عمرُ الكلام، قال له رسول الله ﷺ :إن الله قد خيّرني حيث ورد في التنزيل: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ مُبَيِّنًا: لو أعلم أني لو زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها، وصلى رسول الله ﷺ عليه، ولَّما رجع لم يلبث طويلًا حتى أُنزل قوله تعالى: **﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾**.

---

(٩٦) أخرجه الإمام البخاري في: "كتاب التفسير، باب: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾": ٨/ ١٨٤، برقم: (٤٦٧١).

(٩٧) أخرجه بن مَنْدَةْ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

يقول عمر: عجبت من جرأتي على رسول الله في كثرة طلب عدم الصلاة عليه.

قال الخطابي: "إنما فعل النبي ﷺ مع عبد الله بن أُبي ما فعل؛ لكمال شفقته على من تعلق بطرفٍ من الدين، ولتطييب ولده عبد الله الرجل الصالح، وتأليف قومه من الخزرج لرياسته فيهم، فاستعمل أحسن الأمْرَين في السياسة إلى أن نُهِيَ عن ذلك".

مقدرات إلهية من بينها الحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

١- عاقب النبي ﷺ الثلاثة الذين اعترفوا بذنوبهم في تخلفهم عن غزوة تبوك ولم يعاقب المنافقين ذوي الأعذار الواهية.

٢- أقام حَدّ القذف على من تناقلوا حادث الإفك، ولم يُقِم شيئًا على عبد الله ابن أبي ابن سلول، مع أنه الذي تَولَّى كِبْرَه.

ولعل في هذا طُهْرة لأهل الصلاح بإقامة الحَدِّ عند الاعتراف، وترك غيرهم حيث لم يثبت عليهم أمرٌ ظاهر، والسؤال يوم القيامة أشد، وفي بيان عدم استجابة الرسول لطلب عمر قتل المنافق ابن سلول معان عظيمة، أولها النبي لم يعترض على وصفه بالنفاق؛ وإنما نظر إلًى مآلات الأفعال، وأن العرب والبادية سيتناقلون أن محمدًا يقتل أصحابه، وهذا يجعلهم يمتنعون عن الإسلام، كما أن النبي ﷺ كان لا يغضب لنفسه.

ويبدو لي، أن الرسول ﷺ، قد يكون طلب الاستغفار وزيادته، على أن خطأ ابن سلول كان في شخصه، هذا هو الأمر الظاهر، والله أعلم.

ما يستفاد من الحديث

١- رحمة النبي وشفقته.
٢- حرص النبي على عدم حدوث تَشَقُّق في الأمة.
٣- دليل لمن رأى أن العدد سبعة، أو سبعين مقصودٌ حصرًا.
٤- أن ابن سلول هو كبير المنافقين.
٥- أن ولده عبد الله صحابي جليل.
٦- حرص الولد على جلب النفع لأبيه، خاصة عند الاحتضار والموت.
٧- إمكانية مراجعة الإمام فيما يظهر من أمور.
٨- المسلم مخير في فعل الخير والزيادة لتحقيق هدف عام.
٩- الشريعة قائمة على الحكم بالظاهر.
١٠- أهمية فقه المآلات.
١١- النهي عن العصبية والنصرة لها.
١٢- استعمال الرأفة من الوالي ممدوح؛ إلا إذا كان نهيًا شرعيًّا.
١٣- من حق الوالي مراعاة الشفقة بالأولاد؛ ولذا نهى النبي ﷺ عن سَبِّ أبي جهل؛ لأنه يؤذي ولدَه عِكرمة.
١٤- أن حب الآباء عميق في قلوب الأبناء.
١٥- للهجرة فضلها، وللأنصار فضلهم.

الحديث الثلاثون

باب: أكل مال اليتامى ظلم

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

قال رسول الله صلى الله عليه: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ).

تخريج الحديث

أخرجه الإمام البخاري: "كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾"، الفتح: ٥/ ٤٦٢، برقم: (٢٧٦٦). وقد أورده في أكثر من باب.

وأخرجه الإمام مسلم: "كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها": ١/ ٢٠١، برقم: (١١٢).

معاني المفردات

اجْتَنِبُوا: ابتعدوا ولا تقربوا مما وَرَد.

الْمُوبِقَاتِ: المُهلكات.

السَّبْعَ: العدد ليس مقصودًا بذاته، فهي المُهلكات من ضمن مهلكات أخرى وردت في أحاديث أخرى، فقد ورد في الصّحيح من أكبر الكبائر: (عقوق الوالدين، وقول الزور)، ومن

الكبائر الكِبْر وأمور أخرى، بل ورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنها إلى السبعين أقرب.

الشِّرْكُ بِاللَّهِ: هو أن يَجعل له صاحبةً أو ولدًا، أو يدعي أن أحدًا خالق غير الله، أو يصف أحدًا باسم من أسماء الله، أو صفة من صفاته التي تفرد بها، أو غير ذلك من أمور شِركِيّة.

السِّحْرُ: عَزائم ورُقَى تخدع الناس، وقد تؤثر فيهم.

أكل مال اليتامى: اليتيم هو من مات أبوه وهو دون الحلم، والحديث عن أكل مال اليتيم يتم خلال الشرح.

التَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ: الفِرار حال قِتال العدو.

قَذْفُ الْمُحْصنَاتِ: اتهام العفيفات دون بَيِّنَة.

الْغَافِلاتِ: عن الفواحِش وما قد يُرْمَيْن به.

الْمُؤْمِنَاتِ: صفة أغلبية؛ ولكن حتى لو كانت غير مسلمة، فرَمْيُها بدون بَيِّنَةٍ مُحرّم.

شرح الحديث

أخرج الإمام البخاري حديث أبي هريرة، اجتنبوا السبع الموبقات في: "كتاب الوصايا"، وجعل له عنوان الباب، نفس الآية التي أوْرَدْتُها تأسِّيًا بالإمام: "﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾" [النساء:١٠]، ثم أورد بعده "باب يسألونك عن اليتامى"، وقبله "باب وما للموصي أن يعمل في مال اليتيم وما يأكل منه بقدر عمالته"، وقوله: "باب قول الله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا

تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾" [النساء: ٦].

وهكَذا نجد اهتمام الإمام البخاري، بهذا الأمر الجَلَل والخطير في حياة المسلمين.

مال اليتيم، مال الضعيف، مال فاقد الأب، مال من لا خبرة له في الحياة، والمال يشمل النُّقود المُتعارف عليها، وكل ما يُتَمَوّل من عَقار أو أرض أو سيارة، أو شيء له قيمة.

من أخذ أو أكل أو أضاع أو أتلف، أو استبدل مالًا آخر بهذا المال، مع الإضرار باليتيم، فحقيقته أنه أكل في بطنه نارًا يُكوَى بها في الدنيا والآخرة.

﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]، فهذا حَوْبٌ كبير؛ أي ظلم عظيم، حتى لو كان أخذ أرض صارت للمباني، و إعطاؤه أرضًا زراعية؛ طمعًا فيما ينتظر، كذلك استبدال أسهم بالبورصة يملكها اليتيم، بأسهم لهذا الرجل في طريق الهبوط، وهكذا في كل الأمور والأحوال والمكونات. ولهذا أيضا اشترط الله ﷻ في إعادة الأموال لليتيم كي يتصرف فيها شرطين: البلوغ والرشد.

بل نجد في هذه الآية الكريمة أحكامًا كثيرة متعلقة بأحكام مال اليتيم، علاوة على ما سبق، منها:

١- عدم استهلاك مال اليتيم قبل بلوغه وتمكنه من القيام بأمره.

٢- القائم بوصاية أو ولاية على مال اليتيم، عليه الاستعفاف عن أخذ مقابل لذلك.
٣- من كان فقيرًا ويريد عِوَضًا عما يقوم به فليكن ذلك بالمعروف.
٤- الإشهاد على تسليم اليتيم أموالَه.
٥- ويكفي ختام الآية ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.

وقد وردت آيات قرآنية كثيرة منها ما يخص المال، علاوة على ما سبق.
١- ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].
٢- ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤].
كما جاء التحذير في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧]. وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩].
كما وردت آيات كثيرة تحض على الإحسان لليتيم.
ثم تتبين لنا حكمة الله البالغة، والجامعة لحقوق اليتيم: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

إن الذي دعاني لبسط الآيات في هذا الشأن، عِظَم الجُرْم الذي يتم بالنسبة ليتيم ضعيف، ليس له خبرة في الحياة.

وقد يتم هذا الجرم من الأم لصالح ابن لها بالغ كبير، فيُضَيِّع أموال إخوته اليتامى الصغار، في شهوات أو غيرها، أو مظاهر كاذبة له في عُرْس أو أمور أخرى.

وقد يتم ذلك في سُرادق للعزاء، أو غيره من أموال اليتامى، وهذا كله مُحرّم بنصوص القرآن.

ومع أن رعاية مال اليتيم ورعايته، لها أجر كبير يجب أن يسعى الناس إليها، ويكتفوا بها عن لُعاعات الدنيا، ومن ذلك:

١- (أنا وكافلُ اليتيمِ في الجنَّةِ كهاتينِ) وجمع بينَ السَّبَّابةِ والوسطى(٩٨).

٢- شكا رجل إلى رسول الله ﷺ قسوةَ قلبِه فقال: (امسَحْ رأسَ اليتيمِ وأطعِمِ المسكينَ)(٩٩).

ويأتي هذا الحديث: اجتنبوا السبع الموبقات، والتي منها أكل مال اليتيم. وروى الإمام الذهبي في الكبائر، "أَرْبَعٌ حَقٌّ على اللهِ ألا يُدْخِلَهُم الجنةَ، ولا يُذِيقَهم نَعِيمَها: مُدْمِنُ خَمْرٍ، وآكِلُ الربا، وآكِلُ مالِ اليتيمِ بغيرِ حَق، والعاقُّ لوالِدَيْهِ"(١٠٠) منهم آكل مال اليتيم.

---

(٩٨) أخرجه الإمام البخاري في: "كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيمًا: ١٠/ ٤٥٠، برقم: (٦٠٠٥).

(٩٩) الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/ ١٦٠، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(١٠٠) رواه النسائي: (٢٥٦٢) عن عبد الله بن عمر، وهو حديث صحيح لغيره.

وهناك آثار تبين لنا..
الرفق باليتيم من الإيمان
خير بيت.. بيت فيه يتيم يكرم.

وهذه أبيات شعر في اليتيم:

للخير أغصانٌ تطيب ثمارُهـــــــا
فامنحْ جَناها خائفًا وعَديـــــما
واحملْ إلى أفيائها الطفلَ الـــــذي
ما زال في حُفَرِ الشقاء مقيـــما
فلَرُبَّ ماسحِ أَدْمُعٍ من مقـــــــلةٍ
تبكي، رأى فضلًا بهنَّ عَميـــما
انظرْ إلى وجه اليتيمِ، ولا تـــــكنْ
إلا صديقًا لليتيمِ حميـــــــــما
وارسمْ حروفَ العطف حَوْل جبينهِ
فالعَطْفُ يمكن أنْ يُرى مرسوما
وامسح بكفِّكَ رأسه، ســترى على
كفَّيكَ زَهْراً بالشَّذَا مَفْعُـــــوما
ولسوف تُبصر في فؤادكَ واحـــــةً
للحبِّ، تجعل نَبْضَه تنغيـــــــما
ولسوف تبصر ألفَ ألفِ خميـــــلةٍ
تُهديك من زَهْر الحياةِ شَميمًا
ولسوف تُسعدكَ الرياضُ بنـــشرها

وتريكَ وجهًا للحنانِ وسيما
انظرْ إلى وجه اليتيم وهَبْ لـــــه
عَطْفًا يعيش به الحياةَ كريــما
وافتحْ له كَنْزَ الحنانِ، فإنـــــما
يرعى الحنانُ، فؤادَه المكلـوما
لولا الحنانُ لَمَا رأيتَ ســـــعادةً
لولا السماءُ لَمَا رأيتَ نجـوما
لولا الرّياحُ لَمَا رأيتَ لَواقـــحًا
لولا البحارُ لَمَا رأيتَ غـيوما

ثم قال:

يا كافلَ الأيتامِ، كأسُكَ أصبحتْ
مَلأَى، وصار مِزاجُها تسنيما
ما اليُتْمُ إلاَّ ساحةٌ مفتوحـــــةٌ
منها نجهِّز للحياةِ عظيـــــما
ونحوِّل الحرمانَ فيها نعـــــمةً
كُبْرى تُزيل عن الفؤادِ همومًا
قَسَمَ الإلهُ على العباد حظوظَهم
فالكلُّ يأخذ حَظَّه المقســوما
وسعادةُ الإنسانِ أن يرضى بــما
قَسَمَ الإلهُ، ويُعلنَ التَّسليـــما

ولقد وردت في القرآن الكريم بعض الأعمال التي تعد من الظلم، هذا بخلاف حديث القرآن عن ظُلم الإنسان لنفسه،

وحديثه عن الكفار والمعاندين بظلمهم، ومن بين ما ورد في القرآن:

١- الكذب على الله، وقد تكرر هذا النوع، وأن فعله من الظالمين كثير: ﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [آل عمران :٩٤].

٢- التكذيب بآيات الله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧].

٣- الحكم بغير ما أنزل الله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

٤- مساواة عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج، بالإيمان بالله والجهاد في سبيله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩].

٥- اتخاذ ذوي القربى أولياء وقد استحبوا الكفر: ﴿يَأيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإيمان وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

٦- الإعراض عن آيات الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧].

٧- الإلحاد في المسجد الحرام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

٨- اتباع الهوى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

٩- منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤].

١٠- كتمان الشهادة: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أم اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠].

١١- تعدي حدود الله: ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أو تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلا أَن يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

١٢- سخرية قوم من آخرين والتنابز بالألقاب: ﴿يَأيها الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ

وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمان وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

هذا بعض ما ورد في القرآن.

والكثير مما ورد في السنة من الظلم بيّنّاه في هذا الكتاب.

ونسأل الله القبول.

ما يستفاد من الحديث

١- شدة تحريم أكل مال اليتامى ظلمًا.

٢- دقة التشريعات الإسلامية وتكاملها وتمامها.

٣- أكل مال اليتيم ظلمًا ينتهي بصاحبه إلى النار.

٤- رحمة الإسلام باليتامى.

٥- الإسلام يقرر أن أكل مال اليتيم من السّبع المُهلكات.

٦- رقم سبعة ليس للحصر.

٧- هناك أعمال أخرى بينتها الأحاديث هي من أكبر الكبائر، مثل عقوق الوالدين وقول الزور.

٨- هناك أفعال كثيرة أهلها من الظالمين، ذكرها القرآن من بينها التكذيب بآيات الله، ومنع بيوت الله من ذكر الله فيها، المساواة بين عمار المسجد الحرام وسقي الحجيج بالإيمان والجهاد في سبيل الله وغيرها مما ذكر أثناء الشرح.

الحديث الحادي والثلاثون

باب: الظلم في معاملة النساء وعصمة النبي عن جميع أنواع الظلم

قالَتْ عَائِشَةُ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسول اللهِ ﷺ قُلْنَا: بَلَى، قالَ: قالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كانَ النبيُّ ﷺ فِيهَا عِندِي، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُما عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَما ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فأخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ البَابَ فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ، وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ، حَتَّى جَاءَ البَقِيعَ فَقَامَ، فأطَالَ القِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فأسْرَعَ فأسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فأحْضَرَ فأحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ، فليسَ إِلَّا أَن اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ، فَقالَ: ما لَكِ؟ يا عَائِشُ، حَشْيَا رَابِيَةً قالَتْ: قُلتُ: لا شيءَ، قالَ: لَتُخْبِرِينِي، أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الخَبِيرُ. قالَتْ: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، بأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فأخْبَرْتُهُ، قالَ: فأنْتِ السَّوَادُ الذي رَأَيْتُ أَمَامِي؟ قُلتُ: نَعَمْ، فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِي، ثُمَّ قالَ: **أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكِ وَرَسولُهُ؟** قالَتْ: مَهْما يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ، نَعَمْ، قالَ: فإنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ، فَنَادَانِي، فأخْفَاهُ مِنْكِ، فأجَبْتُهُ، فأخْفَيْتُهُ مِنْكِ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ، وَظَنَنْتُ أَنْ قدْ رَقَدْتِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ، وَخَشِيتُ

أَنْ تَسْتَوْحِشِي، فَقالَ: إنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ البَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لهمْ، قالَتْ: قُلتُ: كيفَ أَقُولُ لهمْ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ قُولِي: السَّلَامُ علَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ المُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وإنَّا إنْ شَاءَ اللَّهُ بكُمْ لَلَاحِقُونَ). وشاهدنا في الحديث قول النبي ﷺ لعائشة: "**أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ؟**".

تخريج الحديث

أخرجه الإمام مسلم في: "كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول المقابر والدعاء لأهلها": (٤ / ٣٠)، برقم: (٢١٢٠).

معاني المفردات

رَيْثَمَا أنْ: بمقدار.

رُوَيْدًا: متمهلًا.

أَجَاف الباب: أغلقَه.

دِرْعِي: قميصي.

اخْتَمَرْتُ: غطاء الرأس.

تَقَنَّعْتُ: أي لبست.

أَحْضَرَ: ركض.

حَشْيا رَابِيَةً: ارتفاع النفَس وتواتره.

السَّوَادُ: الشخص.

فَلَهَدَني: دفعني.

يَا عَائِشُ: يا عائشة.

والحيف: الجور والظلم، وهو الميل والخروج عن حد الاعتدال، سواء من حاكم أو محكوم.

شرح الحديث

حكاية الحديث أن النبي ﷺ كان في الفراش مع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقام، فكأن عائشة من غيرة النساء ظنت أنه ذاهب لإحدى نسائه، فتلَحّفَت (أي: لبست دِرْعَها) وسارت خلفه، حتى رأته أتي البقيع، فلما هم بالانصراف أسرعت حتى عادت إلى فراشها، فلما دخل عليها قال: يا عائش؟ حشيا رابية. وقوله: يا عائش، ترخيم، وفيه وُدٌ، وأما قوله: حشيا رابية، حيث رأى هياجا في نَفسِها، قالت: قال: أخبريني أو يخبرني اللطيف الخبير، فلما أخبرته، قال ﷺ: (أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟!) فإن الله لا يرضى من رسوله الظلم، والرسول لا يفعل الظلم، ثم بيّن سبب تركِه لفراشها أن جبريل أخبره، أن الله يأمره أن يأتي أهل البقيع ويستغفر لهم...

وقد أمر الإسلام بحسن العشرة بين الزوجين وَفْقًا للقاعدة الكلية: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقد بيّن الإمام أبو جعفر النحاس، أن الدرجة هي ما فوق المعروف، وهي العفو والصفح.

صور الظلم للنساء:

١- عدم إعطائهن المهر: وفي هذا حديث شديد الخطورة، رواه الإمام ابن ماجه بسند حسن: (أيُّما رجلٍ تزوَّجَ امرأةً على ما قلَّ منَ المَهرِ أو كثُرَ، ليسَ في نفسِهِ أن يؤدِّيَ إليْها حقَّها خدعَها، فماتَ، ولم يؤدِّ إليْها حقَّها لقيَ اللَّهَ يومَ القيامةِ وَهوَ زان)[١٠١].

٢- قال رسول الله ﷺ: (من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وشِقُّه مائل)[١٠٢].

٣- ومن الظلم سوء المعاملة، وسوء الأدب مع الزوجة بألفاظ سيئة، وعدم القيام بحقوقها المادية والمعنوية باعتدال: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧].

والشاهد هنا قول النبي ﷺ: (أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟). والحيف نوع من الظلم، والنبي ﷺ معصوم من كل ذلك؛ بل وأدنى من ذلك، لذا فليحذر الرجال من ظلم النساء، ولتحذر النساء من ظلم الرجال، وخطورة الظلم داخل الأسرة التي يفترض أن أفرادها بعضهم عونٌ لبعض، فحين يحدث الظلم بينهم فإن العاقبة تكون سيئة.

عن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ قالَ: (لَمَّا كانَ يومُ فتحِ مكَّةَ اختبأَ عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ ابنِ أبي سرحٍ عندَ عثمانَ بنِ عفَّانَ، فجاءَ بِهِ حتَّى أوقفَهُ على النَّبيِّ ﷺ، فقالَ يا رسولَ اللَّهِ بايِع عبدَ اللَّهِ،

---

(١٠١) ابن ماجه: (٢٤٣٩).

(١٠٢) الترمذي: (١١٤١) في النكاح: "باب ما جاء في التسوية بين الضرائر".

فرفعَ رأسَهُ فنظرَ إليهِ ثلاثًا، كلُّ ذلكَ يأبَى، فبايَعهُ بعدَ ثلاثٍ، ثمَّ أقبلَ على أصحابِهِ، فقالَ: أما كانَ فيكم رجلٌ رشيدٌ يقومُ إلى هذا حيثُ رآني كففتُ يدِي عن بيعتِهِ فيقتُلَهُ، فقالوا: ما ندري يا رسولَ اللَّهِ ما في نفسِكَ، ألا أومأتَ إلينا بعينِكَ؟ قالَ: إنَّهُ لا ينبغي لنبيٍّ أن تكونَ لهُ خائنةُ الأعيُنِ)(١٠٣).

يقول القاضي عياض في الشفاء: ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين، فكيف أن تكون له خائنة قلب؟!

ما يستفاد من الحديث

١- استحضار ذهن المستمع لأهمية العلم، وكذلك فعلت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حين قالت: ألا أحدثكم عن رسول الله؟ ففي هذا تشويق.

٢- وجوب احترام وإجلال أمهات المؤمنين.

٣- رفق النبي ﷺ بزوجاته.

٤- تقدير النبي ﷺ لغيرة الزوجات، طالما لم يحدث من ورائها ضَرَرٌ.

٥- رفع اليدين عند الدعاء.

٦- مراعاة المرأة لملابسها الشرعية مهما كان الأمر.

٧- مراعاة إغلاق الباب عند الخروج.

---

(١٠٣) أبو داود في الجهاد: "باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام"، رقم: (٢٦٨٣).

٨- جواز إتيان المقابر والدعاء لأهلها.

٩- استعداد النبي دومًا لمجيء جبريل عليه السلام.

١٠-مراعاة النبي لحال النائم حتى لا يستيقظ.

١١-النهي عن ظلم النساء.

١٢-بيان الزوج لزوجه الأمر الذي قد يُحدث لبسًا، أو يتسبب في مشاكل داخل الأسرة، طالما ليس من حقوق الآخرين.

١٣-عصمة النبي ﷺ من النّواقص والرّذائل.

الحديث الثاني والثلاثون

باب: من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ أخذ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا، أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أخذ يُرِيدُ إِتْلافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ).

تخريج الحديث

أخرجه الإمام البخاري في: "كتاب الاستقراض، وأداء الديون والحجر والتفليس، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها"، الفتح: ٥/ ٦٦، برقم: (٢٣٨٧).

معاني المفردات

أَدَاءَهَا: أي لصاحبها.

إِتْلافَهَا: تضييعها بأي صورة من الصور.

شرح الحديث

هذا الحديث يشتمل على نوع من الظلم في المعاملات المالية، إننا أمام نوعين من الناس:

الأول: يأخذ أموال الناس، وهو حريص على سدادها، مجتهد في ذلك ساعٍ لأداء الحقوق، جَمَعَ أمْرَه وعَقَد نيته على السداد والوفاء، يبذل كل ما في وسعه في ذلك، هنا نجد فضلًا من الله ينتظره: (أدّى اللهُ عنه)، أي يسّر الله السُّبُل، ووسّع رِزقه، وألهمه

رُشدَه حتى يسدد ما عليه، وظاهر الأمر أن من نَوى السداد ،وكان حريصا على ذلك، ولكنه مات قبل السداد، فإن الله ﷻ يُرضي عنه الدائن، وفي الحديث: (من حمل من أمتي دينًا ثم جَهد في قضائه، ثم مات قبل أن يقضيه فأنا وليُّه)(١٠٤).

وفي حديث آخر عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت أبا القاسم يقول: (مَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ هَمَّهُ قَضَاؤُهُ– أَوْ هَمَّ بِقَضَائِهِ– لَمْ يَزَلْ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ حَارِسٌ)(١٠٥).

وفي آخر: (ما من عبدٍ كانت له نية في أداء دَيْنه إلا كان له من الله ﷻ العون). وفي آخر: (من أخذ دينا وهو يريد أن يؤديه أعانه الله).

وفي آخر: (من ادّان دينًا ينوي قضاءه أداه الله عنه يوم القيامة).

هذه جملة من الأحاديث فيها رحمة من الله، لمن نوى سداد الدين.

الثاني: نجد نفوسا شرسة لا تريد السداد ولا تعزم على السداد وليست حريصة على ذلك، بل هي عازمة على عدم السداد، هنا يأتي الوعيد لهم: (أتلفه الله).

وقد سبق بيان حكم الدَّين في الحديث العاشر (١٠٦)، وكيف أن النبي ﷺ كان يستعيذ منه (١٠٧).

---

(١٠٤) رواه أحمد وأبو يعلى، ورجال أحمد رجال الصحيح، مجمع الزوائد: ٤/ ١٣٢.

(١٠٥) مجمع الزوائد المرجع السابق، رواه أحمد والطبراني في الأوسط.

(١٠٦) الحديث العاشر.

(١٠٧) راجع في هذا كله كتاب الاستدانة للمؤلف.

وعن رسول الله ﷺ: (من سَرّهُ أَن يُنَجِّيَه الله من كَرْبِ يوم القيامة، فَلْيُنَفِّسْ عن مُعْسِرٍ أو يَضَعْ عنه)(١٠٨).

الأحاديث هنا شديدة فيها وعيد، فعن ابن عمر: "من مات وعليه دين أو درهم قضى من حسناته ليس ثَمَّ دينار أو درهم".

ولعل حديث المفلس السابق شرحه فيه وضوح وجلاء لحال هذا المدين الذي أكل مال الناس ولا ينوي سدادها.

ومن المعلوم أن النبي ﷺ، كان يستعيذ من الدّيْن، فعن أنس بن مالك يقول: كنت أسمع كثيرا من النبي ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال"(١٠٩).

وفي أول الإسلام كان إذا مات رجل وعليه دين فإن النبي ﷺ، ما كان يصلي عليه صلاة الجنازة.

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ، قال: (نفس المؤمن مُعلّقة بدَيْنه حتى يُقضى عنه)(١١٠).

وفي الحديث: (وأيما رجل استدان دَيْنًا لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقَّه، خدعه حتى أخذ ماله فمات ولم يؤد إليه دينه، لقي الله وهو سارق"(١١١).

---

(١٠٨) أخرجه الإمام مسلم: "كتاب المساقاة، باب فضل إنذار المعسر": (١٥٦٣) .

(١٠٩) أخرجه الإمام البخاري: "كتاب الدعوات، باب التّعوّذ من غلبة الرجال": (٦٠٢٨).

(١١٠) أخرجه الترمذي في: "الجنائز، باب رقم: (٧٦)"، وإسناده حسن.

(١١١) أخرجه الهيثمي في: الزواجر، والمنذري في: الترغيب والترهيب.

وهكذا يتضح لنا مدى سوء حال من استدان ولم يَنْوِ سداد الدّين.

إن فقدان الثقة في سداد الدين أو القرض، له عاقبته السيئة في الجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي، ففي الجانب الاقتصادي، الذي يقوم على الثقة وسداد الأموال في مواعيدها، غالبًا ما يؤدي إلى سيولة اقتصادية، فإذا تم العكس وعدم السداد، أدى ذلك إلى فقدان الثقة، مما يعوق حركة التجارة والتبادل التجاري.

كذلك في الجانب الاجتماعي، حيث يتم القرض لحل مشاكل بعض أفراد المجتمع، ومساعدتهم فيما يواجهون من أحداث وحوادث، فإذا انتشر عدم السداد، أمسك الناس عن مساعدة المحتاجين في قضاء حوائجهم.

وهكذا نرى أن المجتمع، وليس الفرد فقط يتحمل عاقبة هذا الخلق السيئ.

ما يستفاد من الحديث

١- أهمية الدَّين والقرض في حياة البشر.

٢- من استدان وينوي السداد أعانه الله في الدنيا.

٣- أو تحمل عنه ذلك في الآخرة.

٤- عدم سداد الدَّين عاقبته وخيمة.

٥- دعاء النبي على من أخذ دَينا وينوي عدم السداد.

٦- لعدم سداد الديون آثار سلبية على الفرد والمجتمع.

الحديث الثالث والثلاثون

باب: الفطرة السليمة والعلم النافع يرفضان جميع صور الظلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه: (... وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ، وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللهُمَّ اجْعَل ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ). قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُول اللهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِهِ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا، قَالَ: (وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللهُمَّ لا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ: حَلْقَى مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللهُمَّ اجْعَل ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتَ: اللهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الأمة وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللهُمَّ لا تَجْعَل ابْنِي مِثْلَهَا فَقُلْتَ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا، فَقُلْتُ: اللهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا زَنَيْتِ وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ فَقُلْتُ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا).

تخريج الحديث

أخرجه الإمام مسلم في: "كتاب البر والصلة والأدب، باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها": ٨/ ٢٢١، برقم: (٦٣٩٤)، وهذا جزء من الحديث، وسبق شرح الجزء الآخر في الحديث الخامس من هذا الكتاب: "باب من هدم جدارًا فعليه إعادته، والهدم ظلم بغير حق".

معاني المفردات

دابة فارهة: أي نفيسة وهذا في مقام المدح.

شارة حسنة: له هيئة حسنة يشار إليه بها.

حسبي الله ونعم الوكيل: أي الله كافينا وكفيل بنا.

تراجعا الحديث: فلما سمعت كلامه مرتين أعادت الحديث معه لمعرفة السبب.

حَلْقَى: كلمة تقال للتعجب، وأصلها أصابك الله بوجع في حلقك؛ لأنه تكلم بما لا يرضيها.

اللهم اجعلني مثلها: في البراءة من الذنب.

شرح الحديث

هذا الحديث يبين أن بعض الأمور لها ظاهر، وهناك أمر خفيٌّ لا يعلمه إلا الله، فهذا رجل ظاهره محبب للنفس؛ ولكن الله أعلمَ الغلامَ الرضيعَ أنه جبّار متكبِّر وفي رواية كافر، وهذه المرأة التي تهان وقد وصفت بالزنى والسرقة، والله يعلم أنها بريئة من ذلك، فتمنى الغلام البراءة من الذنوب مثلها.

وهذا الذي وقعت فيه المرأة من رغبة ابنها أن يكون مثل صاحب الشّارة، يحذرنا منه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فيما رواه البخاري.

حَدَّثَنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ. حَدَّثَنَا «أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ. ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ. فَعَلِمُوا مِنَ القرآن وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ». ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ. فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ. فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ. كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، (ثُمَّ أخذ حَصى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ)، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ. لاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلًا أَمِينا. حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ». وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ. لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ. وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيّا أو يَهُودِيّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ. وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلاَّ فُلاَنًا وَفُلاَنًا"[١١٢].

نعم يقال للرجل: ما أعقله (في أسلوب كلامه) وما أظرفه (بمزحه وبشاشته ولين تصرفاته)، وما أجلده في (بذل الجهد والتعب وأقواه)؛ ولكن أين الحقيقة؟ (وما في قلبه حبة خردل

(١١٢) البخاري: "كتاب الرقائق، مجلد: ١١، "باب رفع الأمانة" رقم: (٦٤٩٧)، ومسلم مجلد ١، "كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب: رقم: (٢٢٤)
.

من إيمان) كم من الخُدَع يعيشها الناس، ولكن للإيمان نورٍ في قلب أصحابه يشعرون به، ولكن لا يقطعون بوجوده خوفا من الفتن.

هذا كله أيضا يذكرنا بقصة قارون: ﴿إِنّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللّهُ الدّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأرض إِنّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنّ اللّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُون مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقّاهَا إِلا الصّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأرض فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُون اللّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الّذِينَ تَمَنّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنّ اللّهَ يَبْسُطُ الرّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنّ اللّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص ٧٦- ٨٢].

هنا نجد زُخرف قارون أخذ بالقلوب، فما كان من راغبي الدنيا إلا أن قالوا: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾. لكنهم لم يتفكروا في هذا الحظ؟ ومن أين؟ وماذا فعل

به؟ وأين حقه؟(١١٣) وهل آمن بالله أم لا؟ لَمعانُ الذّهب أخذ بالقلوب؛ لكن أهل العلم ذوي البصيرة قالوا: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠]. الصبر طريق الرضا ويعطي المهلة لحسن التفكر، وبعد أن خسف الله بقارون: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢].

هذا حال الإنسان، علمه ظاهري، سريع التأثر، وليس لديه صبر ورضا، فيطلب ما فيه هلاكه، ولو أنه رضي بما قسم الله له، وسعى بالحلال نحو الحلال، لكان في مأمن من شَرّ الدنيا.

هذه الأم تمنت لابنها الهلاك دون أن تعلم، وهو شخص خدع الناس بكلامه، وحسن تصرفاته، وقد يكون بذلك سبب هلاكهم، وهؤلاء أهل الدنيا يُخدَعون بمظهر قارون، دون مراجعة يعرفون بها ما أحاط به، وفي هذا أنواع من الظلم.

ظلم بتقديم المظهر دون تمهل.

ظلم بسرعة الدعاء بما لا جدوى من ورائه.

ظلم بعدم الرضا.

نسأل الله أن يعيذنا من كل صور الظلم والظالمين.

---

(١١٣) أي حق الله.

كما أن هذا الحديث اشتمل على فائدة كبيرة وهي قول المرأة: "حسبي الله ونعم الوكيل"، قالها الرسول والمؤمنون: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]. ولها فوائد كثيرة:

- تأخذ حق من قالها من الظالم، وتنصر المظلوم ولو بعد حين.
- تُقرّبُ قائلها من الله.
- تجعَل المسلم في رضًا بقضاء الله.

ما يستفاد من الحديث

١- كرامة الله لأوليائه.
٢- قد تكون الكرامة لامرأة مغمورة على يد طفل رضيع.
٣- أهمية القصص في التربية والتعليم.
٤- عدم الاهتمام بذكر الأسماء فالمقصود العبرة.
٥- الحقيقة قد تخالف الظاهر أحيانا.
٦- وجوب التأكد قبل الاتهام.
٧- الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن إلى قلوبكم وأفعالكم.
٨- العلم هام في النظر للحقائق
٩- الله يدافع عن الذين آمنوا.
١٠- الفطرة السليمة ترفض أهل المعاصي.
١١- في هذه القصص مواساة لقلوب الصالحين.
١٢- الدعاء بالسلامة من الذنوب والمعاصي.

١٣- عدم الحكم على الشيء إلا بعد النظر والاطلاع.
١٤- أن المال ليس هو حقيقة السعادة.
١٥- فضل قول: حسبنا الله ونعم الوكيل.

الحديث الرابع والثلاثون

باب: ما سُمِّيَ ظلم تجاوزًا، وغض الطَّرْف عن أصحاب الفضائل في الأمور الصَّغيرة

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النبيِّ ﷺ، إذْ أقْبَلَ أبو بَكْرٍ آخِذًا بطَرَفِ ثَوْبِهِ حتَّى أبْدَى عن رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: (أمَّا صَاحِبُكُمْ فقَدْ غَامَرَ) فسَلَّمَ وقَالَ: إنِّي كانَ بَيْنِي وبيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شيءٌ، فأسْرَعْتُ إلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أنْ يَغْفِرَ لي فأبَى عَلَيَّ، فأقْبَلْتُ إلَيْكَ، فَقَالَ: (يَغْفِرُ اللَّهُ لكَ يا أبَا بَكْرٍ) ثَلاثًا، ثُمَّ إنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فأتَى مَنْزِلَ أبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أثَمَّ أبُو بَكْرٍ؟ فَقالوا: لا، فأتَى إلى النبيِّ ﷺ، فَجَعَلَ وجْهُ النبيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ، حتَّى أشْفَقَ أبو بَكْرٍ، فَجَثَا علَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، **واللَّهِ أنا كُنْتُ أظْلَمَ**، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ ﷺ: (إنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وقَالَ أبو بَكْرٍ: صَدَقَ، ووَاسَانِي بنَفْسِهِ ومَالِهِ، فَهلْ أنْتُمْ تَارِكُو لي صَاحِبِي؟) مَرَّتَيْنِ، فَما أُوذِيَ بَعْدَهَا.

تخريج الحديث

البخاري: "كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلًا"، برقم: (٣٦٦١).

معاني المفردات

يتمعر: أي تذهب نضارته من الغضب.

جثا: بَرَكَ.

الشرح الإجمالي

خلاصة القصة أنه حدث حوار بين الحبيبين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وخلاله حدث من أبي بكر ما أغضب عمر، فلما راجع أبو بكر نفسه، حاول الاعتذار لعمر، فلم يقبل عمر الاعتذار، فذهب أبو بكر إلى رسول الله وقص عليه الأمر، فقال الرسول: (غفر الله لك يا أبا بكر) ثلاث مرات.

وسيدنا عمر راجع نفسه، وندم أنه لم يقبل اعتذار أبي بكر، فخرج يبحث عنه، فلم يجده في البيت، فذهب إلى المسجد، وهنا كانت الأمور لها مجرى آخر.

تمَعّر وجه النبي وأخذ لونًا غير المعتاد منه، وهنا أشفق أبو بكر من أن ينال عمرَ شيء من غضب النبي ﷺ، فبرك على ركبتيه متحدثًا مع الرسول: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم، ويكررها مرتين، أبو بكر يأتي بأمور ثلاث.

١- استخدم القسم.

٢- تكرار الأمر.

٣- القول بأنه البادي وأنه ظلم عمر.

إن العقل يقف أمام هذه القواعد، والأسس الأخلاقية العالية، ولو كان غير أبي بكر لفرح أن النبي غاضب؛ ولكن أبا بكر المُتّسِم بالرحمة يسمي ما حدث ظلمًا، مع أنه ذهب لعمر بطلب المغفرة وتذكر قوله: "فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ" مع مراعاة فارق العمر بينهما، وسابقة الإسلام، لكن أبا بكر يخشى على عمر من غضب النبي ﷺ.

وهنا تأتي كلمات النُّبوّة تُبيّن مكانة الصِّديق، وكيف يعامل الأكابر من القوم سنًا ومكانة: (فهل أنتم تاركو لي صاحبي) إنه الصّاحب وقد ورد عنه ﷺ: (لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي)(١١٤)، وقال ﷺ: "لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذته خليلًا، ولكن أخوة الإسلام أفضل"(١١٥).

ويعلل النّبي مكانة أبي بكر بأمور منها:

١- آمن بالرسول حين أعرض الناس.

٢- حمى الرسول بالنفس.

٣- أمده بالمال.

وكان لهذا كله أثر كبير فما أوذي بعدها.

ولسيدنا أبي بكر مناقب كثيرة يُرجع إليها في كتب الحديث والآثار.

ما يستفاد من الحديث

١- حدوث بعض الخلاف بين أصحاب رسول الله ﷺ.

٢- أن لهذا الخلاف ضوابط.

٣- مسارعة كل طرف للاعتذار وصفاء النفس.

٤- مكانة الصديق سيدنا أبي بكر رضي الله عنه.

٥- من مكانة أبي بكر أنه أول المصدقين برسول الله ﷺ.

٦- أن أبا بكر دفع ماله في سبيل الله.

---

(١١٤) أخرجه البخاري: ٧/ ٢١ "كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلًا": (٣٦٥٦).

(١١٥) المرجع السابق، برقم: (٣٦٥٧).

٧- أن أبا بكر دافع عن الرسول بنفسه، ومن ذلك يوم الهجرة.
٨- الرُّكبة ليست عورة.
٩- اعتراف أبي بكر بأنه أخطأ في حق عمر.
١٠- الندب إلى قبول الاعتذار حين يقدم.
١١- دعاء النبي ﷺ لأبي بكر بالمغفرة.
١٢- جواز تكرار الدعاء بالمغفرة.
١٣- حدوث الندم على بعض الأفعال، التي صدرت من الإنسان جائز.
١٤- حرص المسلم على البحث عن أخيه، حتى يسترضيه.
١٥- تسمية الرسول أبا بكر بالصاحب، وفي ذلك عدة أحاديث.
١٦- حرص الصَّحابة على التودُّد بعضهم لبعض.
١٧- حرص أبي بكر على عمر، والخوف أن يلحقه شيء من غضب النبي ﷺ.
١٨- بيان أن أبا بكر لم يؤذَ بعد هذا الحادث قط.
١٩- فيه التجاوز لأهل الفضائل عن بعض اللَّمَم والصغائر.
٢٠- تسمية بعض الأشياء الصغيرة ظُلمًا مجازًا.

الحديث الخامس والثلاثون

باب: إذا حلله من ظلامته فلا رجوع فيه وعفو المظلوم

حدّثنا محمدّ قال أخبرنا عبد الله أخبرنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائِشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا في هذه الآيةِ:﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أو إِعْرَاضًا**﴾ [النساء: ١٢٨]، قالت: (الرجُلُ تكونُ عنده المرأةُ ليس بمُستكثِرٍ منها، يريدُ أن يُفارِقَها، فتقولُ: أجْعَلُك مِن شأني في حِلٍ، فنَزَلَت هذه الآيةُ في ذلكَ).

تخريج الحديث

خرجه الإمام البخاري في: "كتاب المظالم، باب إذا حلّله من ظلمه، فلا رجوع فيه"، الفتح: ٥/ ١٢٢، برقم: (٢٤٥٠).

معاني المفردات

بعلها: أي زوجها.

النشوز: إساءة العشرة، أو منع النفقة هذا هو المَعني هنا.

الإعراض: كراهية الرجل للمرأة وإرادة مفارقتها.

ليس بمستكثر منها: لا رغبة فيها.

يفارقها: بالطلاق أو غير ذلك.

أجعلك من شأني في حِل: أي أعفيك من حقي، أو حقوقي حسبما يتفق عليه.

الشرح الإجمالي

ليس هنا موضع بيان الأحكام الفقهية، المتعلقة بالواقعة التي نزلت فيها الآية الكريمة؛ لكن الآن نتكلم عن دِقَّة فهم الإمام البخاري، واستنباطه من هذا الحديث.

أولا: ننظر في كتاب المظالم والغصب، نجد الإمام البخاري أورد الأبواب: ١٠، ١١، ١٢ بينها تقارب وتكامل.

الباب ١٠: من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل بيَّن مظلمته.

الباب ١١: إذا حلله من ظلمه فلا رجوع فيه.

الباب ١٢: إذا أذن له أو حلله ولم يبين كم هو.

ومن الملاحظ هذا التكامل بين الأبواب الثلاثة المتتالية، ونبين ذلك بتوفيق الله تعالى.

الباب العاشر: يبين حال من كان له مظلمة عند من أخذها بغير حق، وفيه الحديث: (من كانت له مظلمة لأحد من عرض أو شيء، فليتحلله منه اليوم..)، وهذا يبين أنه لم يبين قدر ما يتحلل به، **فيتحلله**: أي يستوهبه ويقطع دعواه عنه، وجاء رجل إلى ابن سيرين، فقال: اجعلني في حل فقد اغتبتك. فقال: إني لا أحل ما حرم الله تعالى، ولكن ما كان من قبلنا فأنت في حل" وقد قام الإجماع على أنه إذا بين مظلمته عليه فأبراه فهو نافذ، واختلفوا فيما لم يبيّن، أو فيمن بينهما شراكة ولم يبين.

أما الباب الحادي عشر، وهو موضع هذا الحديث، فذكر البخاري: "إذا حلل المظلومُ من ظلمه فلا رجوع فيه، إذا كان معلومًا عند من يشترطه، أو مجهولًا عند مَّن يُجيزه".

وهذا الأمر مهم جدًّا، خاصة بين الأزواج، فيحدث بينهما مشاحنات وغيبة واتهامات، وفي لحظة الصَّفاء يسامح كلاهما الآخر، فإذا حدث نِزاع أسرع كلاهما خاصة النساء إلى إعادة التهم، وأنها سوف تقتص يوم الحساب، وهذا فهم دقيق، واعتُرِض أن موضوع الحديث في الأمر المستقبلي، والعفو عن أمر قَد حدث، يقول الإمام النووي: "البخاري تألَّق في الاستدلال، فكأنه قال: إذا نفذ الإسقاط في الحق المتوقَّع فعَوْدُه في الحق المتحقق أولى وأجدر، و فيما يخص النساء المتزوجات إذا وهبت يومها لزوجة أخرى، فهل لها الرجوع في ذلك ومطالبته بالعدل؟ أجاز رجوعها الحنفية، وترجمة البخاري تفيد النَّفي".

أما الباب الثاني عشر، وفيه حديث الغلام الذي كان على يمين النبي ﷺ، فأراد أن يستأذن منه لسقيا كبار الصحابة ممن هم على يساره، ورفض الغلام لذلك، وقوله: لا أوثر بنصيبي منك أحدًا، فهنا ناسب عنوان الباب لأن طلب الإذن من الغلام لا يعرف حدوده، فكم سيشرب من على اليسار، وكم سيبقى

له؛ لذا عنون له البخاري: "باب إذا أذن له أو حلله ولم يبين كم هو"؟(١١٦)

وبهذا تكتمل الأبواب الثلاثة وندرك مراد الإمام البخاري أن من حلَّلَ ظالمَه فقد تحقق ذلك.

نسأل الله أن نتحلل من حقوق جميع الخلق؛ أما حقوق الله فهو الغني أرحم الراحمين.

ويُرجع في هذا كله، لعمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام العيني عند شرح هذه الحديث.

ما يستفاد من الحديث

١- جواز التنازل بين الظالم والمظلوم.

٢- الإجماع إذا كان التنازل عن معلوم بينهما فهو مقبول بإذن الله.

٣- ووقع الخلاف إذا كان مجهولًا.

٤- أن من تنازل ليس له حق الرجوع في ذلك، واختلف إذا كان بين الزوجين في حقوق العشرة والنفقة.

٥- سعة رحمة الإسلام.

٦- ترغيب الإسلام في معافاة المظالم داخل المجتمع.

٧- الحكمة من التنازل عن المظالم صفاء النفوس وصلاح المجتمع.

٨- كمال التشريع الإسلامي.

---

(١١٦) سبق شرحه عند الحديث الخامس عشر.

الحديث السادس والثلاثون

باب: تفريج الله عن غير الظالمين

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَامْرَأَتِي، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ، حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ، فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وأنه نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ، فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلابِ، فَقُمْتُ عِنْدَ رؤوسهما أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةٍ، فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، وَلا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ،

فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي، قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا، فَخُذْهَا فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا، فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ، وَزَادُوا فِي حَدِيثِهِمْ: وَخَرَجُوا يَمْشُونَ).

تخريج الحديث

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: "كتاب الرقائق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بالعمل الصالح": ٩/ ٣٨، برقم: (٦٨٣٤)، وخرجه الإمام البخاري في: "كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار".

معاني المفردات

انطبقت عليهم: أي أغلقت باب الغار.

أرحت عليهم: أي حلبت لهم في أماكنها.

المريح: مكان المبيت.

نأى بي: كان ما تسبب في إبعادي عنهم.

الخاتم: علامة العُذْريّة.

لا تفض الخاتم: أي لا تجامعني إلا بالحلال وهو الزواج.

فَرَقُ أَرُزٍّ: قدر ثلاثة آصُعٍ.

المعنى الإجمالي

هذا حديث جليل الشأن مثل سائر الأحاديث النبوية، أسلوب قصصي مشوق ومحبب للنفس البشرية يبين فيه النبي ﷺ، كيف أن العمل الصالح سبب في نجاة المسلم من الكروب الشديدة، التي قد تعترضه في حياته، وفي هذا بيان أهمية الإخلاص، قال رسول الله ﷺ (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)(١١٧).

ولقد أدرك السلف أهمية الإخلاص، قال الإمام الجنيد: "الإخلاص سر بين العبد وربه، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيمليه".

وسئل سهل بن عبد الله، أي شيء أشد على النفس؟ قال: "الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب، ومثل الإخلاص ألا تطلب على عملك شاهدًا إلا الله".

والله لا يقبل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم، جاء في الحديث القدسي: (أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)(١١٨).

---

(١١٧) البخاري: (٥٤)، ومسلم، مجلد: (٧) ص: (٣٧)، "باب إنما الأعمال بالنيات" برقم: (١٩٠٧).

(١١٨) أخرجه الإمام مسلم: "كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله"، مجلد: (٩)، حديث رقم: (٧٣٥٩).

وقد يبلغ العبد بِنِيّتِه مالا يبلغه بعمله، وعمل السِّر أفضل من عمل العلانية، إلا إذا كان في ذلك تعليم للغير، ويعلم كل منا أنه لا ثواب إلا بالنية، والنية محلها القلب، ولا يشترط التلفظ بها إلا في الحج والعمرة.

وهذا الحديث يؤكد معنى عظيمًا، وهو أن بُعد الإنسان عن الظلم، سيُدّخر له في شدة شديدة يشيب لمثلها الوليد، ويغير الله لهذا الإنسان في شدة ضعفه سُننًا كونية، ونواميس، فقد ترفَّع عن الظلم وكان عليه قادرًا، خشية من الله، فسبحانه ادّخر ذلك له.

ماذا كان سيكون حاله لو أهمل والديه، أو ارتكب الفاحشة، أو أنكر المال القليل الذي هو أجرة يوم، بماذا كانوا يرفعون أكُفّ الدعاء إلى الله.

إن البعد عن الظلم فوق أنه بُعد عن المعصية، فهو سبب لكشف الكُرَب.

وفي الأمور الثلاثة من الفتن، التي عُرِضَت على أصحاب الغار، أهمية في حياتنا:

١- فتنة تقديم الوالدين على الأولاد، فالقلب غالبًا يحن للأولاد، وتكون في ذلك غفلة عن الوالدين، خاصة في كبر السن. لذلك لم يرد في القرآن الوصية بالأولاد كثيرًا؛ بل ورد تحذير وبيان أنهم قد يكونون فتنة، لأن محبة الأولاد فطرة في الآباء، لكن للوالدين حكم آخر، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا

تَعْبُدُوا إلا إيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْن إحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وفي الصحيحين: حديث عَبْدِ اللَّهِ بْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: (الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا، قَالَ: ثُمَّ أَيّ؟ قَالَ: بِرُّ الْوَالِدَيْن، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

٢- شهوة النساء لها سلطانها في قلوب الرجال، خاصة بعد أن زين الشيطان وتمكن الرجل مما أراد؛ ولكن دافع الإيمان كان أكبر. وقد قال رسول الله ﷺ: (مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ)[١١٩]، قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الدُّنْيا حُلْوَةٌ خضِرَةٌ، وإنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا. فينْظُر كَيْفَ تَعْمَلُونَ. فَاتَّقوا الدُّنْيَا واتَّقُوا النِّسَاءِ. فَإنَّ أَوَّلَ فِتْنةِ بَنِي إسْرَائيلَ كَانَتْ فِي النسَاء)[١٢٠]. لذلك شرعت الأحكام في تحريم الزنى، وستر العورات، وغض البصر، والتشريعات الأخرى.

٣- وتأتي فتنة المال ليس فقط بأن يعيد له أجرة يومه بل أعطاه البقر والعُمّال الذي كانوا عليه، بعد استثمار ومجهود فيه نوع بركة للابتلاء. وقد ورد عن رسول الله ﷺ: (إنّ لِكُلّ أُمّةٍ فتنة، وفِتنَةُ أُمّتي المَالُ)[١٢١]، والإنسان سوف يُسأل عن ماله، من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وقال ﷺ: (يَأْتِي علَى النَّاسِ زَمانٌ، لا يُبالِي

(١١٩) مسلم: "كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء": ٩/ ٣٧، برقم: (٦٨٣٠).

(١٢٠) أخرجه الإمام مسلم: "باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال": رقم: (٦٨٣٣).

(١٢١) تحفة الأحوزي، حديث: (٢٣٣٦) في: "كتاب الزهد"، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

المَرْءُ ما أخَذَ منه، أمِنْ حَلال أمْ مِن حَرام)[١٢٢]، وقال ﷺ: (قَدْ أَفْلَحَ مَن أَسْلَمَ، ورُزِقَ كَفَافًا، وَقَنّعَهُ اللَّهُ بما آتَاهُ)[١٢٣].

والحديث يرشد إلى جواز التّوسّل بالعمل الصالح، وهو أحد ثلاثة أنواع من التّوسّل جائزة، وإلى جوار العمل الصالح، التوسل إلى الله بالأسماء والصفات، وكذلك بدعاء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب، والتوسل المحرم هو دعاء أحد من أهل القبور، وطلب الحاجات منهم، واختُلف في الدعاء إذا اقترن بالتوسل بالنبي ﷺ فأجازه أحمد بن حنبل وخالفه ابن تيمية.

٤- كما أن الحديث بيّن فضل صُحبة الصالحين.

ما يستفاد من الحديث

١- استخدام أسلوب القصة في التعليم والتربية.
٢- لم يذكر الأسماء أو البلدان فلا فائدة منها.
٣- أهمية صحبة الصالحين.
٤- المقصود بالقصة العظة والعبرة.
٥- جواز التوسل إلى الله بالعمل الصالح، وهو من المتفق عليه.
٦- أن البلاء قد يقع على المؤمنين.
٧- شرع من قبلنا شرع لنا، إذا ورد بطريق سليم، ولم يعارضه شرع عندنا.
٨- الابتلاء من سنن الله تعالى.

---

(١٢٢) أخرجه البخاري، "كتاب البيوع، باب من لم يبال من حيث كسب المال": ٤/ ٣٤٧، رقم: (٢٠٥٩).
(١٢٣) أخرجه مسلم في: "كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة" برقم: (١٠٥٤).

٩- الإخلاص من أسباب تفريج الكُرَب.
١٠- إجابة الله لدعاء المضطر: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].
١١- أهمية الدعاء، حتى قيل: دعاؤكم إيمانكم.
١٢- مهما اشتد البلاء فرج الله قريب.
١٣- المؤمن لا ييأس من رَوح الله.
١٤- حسن الظن بالله.
١٥- الله قادر على كل شيء.
١٦- لا يُنجي حذر من قدر.
١٧- الكرامة للصالحين والأولياء ثابتة.
١٨- المؤمن لا يتعلق إلا بالله.
١٩- أبواب الفتن كثيرة أهمها المال والنساء.
٢٠- عظمة الوالدين ومكانتهم.
٢١- حق الوالدين مقدم على الجميع.
٢٢- بر الوالدين عبادة وليس عادة.
٢٣- قد يحرم الوالد عن أولاده شيئًا لمصلحة أهم.
٢٤- الخير في كل زمان ومكان.
٢٥- أهمية العفة والاستعفاف.
٢٦- الشيطان يزين للعبد المعصية.
٢٧- ضعف الإنسان.
٢٨- شده ضعف المرأة عند شدة الحاجة.
٢٩- شرف المرأة في عِرضها.
٣٠- ترك العبد للمعصية عند التذكر فضيلة كبيرة.

٣١- الرجوع إلى الحق فضيلة.
٣٢- من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه.
٣٣- التّقِيُّ رَجَّاعٌ للحق.
٣٤- الإنسان التّقي قد تغلبه شهوته حينًا.
٣٥- خشية الله تحفظ العباد.
٣٦- المضطر قد يذهب إلى المعصية.
٣٧- البخل والشح يؤديان إلى هلاك المجتمع.
٣٨- فضل التوبة.
٣٩- جواز الإجارة.
٤٠- حفظ الحقوق.
٤١- رعاية أموال الآخرين.
٤٢- حفظ الأمانة من صفات المتقين.
٤٣- حقوق الخلق لا تسقط بمضي المُدَّة.
٤٤- لا يُترك المال بلا نماء.
٤٥- التصرف في مال الغير حسب المصلحة.
٤٦- جواز العمل دون الحصول على أجر، فقد عمل الرجل في مال الأجرة، ولم يطلب عليه أجرة.
٤٧- أبواب الفتن لا تغلق بل تزداد.
٤٨- البقر والعبيد يسمون مالا.
٤٩- من حق صاحب الحق أن يقول: اتق الله ولا تظلمني.
٥٠- جواز مناشدة الآخر بقول: اتق الله.
٥١- من حق المرأة أن تطلب النكاح الصحيح الشريف.
٥٢- الإنسان يقول عند المفاجأة: لا تستهزئ بي.

الحديث السابع والثلاثون

باب: الحق سيقام والظلم سيزال

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ، حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ).

تخريج الحديث

أخرجه الإمام البخاري في: "كتاب المظالم، باب كسر الصليب وقتل الخنزير"، الفتح: ٥/ ١٤٤، برقم: (٢٤٧٦)، وأشار الإمام ابن حجر أنه ورد في: "أحاديث الأنبياء"، وفي: "آخر كتاب البيو ع، باب من قتل الخنزير".

وأخرجه الإمام مسلم في: "كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة محمد ﷺ": ١/ ٢٧٠، وما بعدها رقم: (٢٤٦)، واللّفظ هنا للبخاري.

الشرح الإجمالي

ولعل في هذا الحديث عدة مسائل.

المسالة الأولى: يشكك الكثير في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وهذا الحديث من الأحاديث المتواترة، التي تفيد العلم اليقيني، فقد ورد عن أكثر من خمسة وعشرين صحابيا، وله أكثر من ثلاثين رواية مرسلة عن كبار التابعين، وفي هذا كتاب عظيم

الشأن هو كتاب: "التصريح بما تواتر في نزول المسيح"، للإمام محمد أنور شاه الكشميري، تحقيق علامة عصره الشيخ عبد الفتاح أبو غدة– رحم الله الجميع–.

وهذه الأحاديث حددت مكان ووقت نزول المسيح عليه السلام، عند المنارة البيضاء الشرقية من دمشق عند صلاة الصبح، كما أن بعض المفسرين يرون أن قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ**﴾ [الزخرف: ٦١]، أن المقصود هو عيسى بن مريم عليه السلام، كما ورد عند ابن كثير، في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾ [النساء: ١٥٩]، وعَيّن أنّ الضّميرين (به) و(موته) يعودان على سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، وعلى يديه يكون هلاك الدّجّال بإذن الله تعالى.

ويحدث لَبس كثير عند بعض المتدينين أن يهود عندهم مسيح، وكذلك النصارى، وأنا أقول: أليس هذا دليل صدق نزول المسيح؟! ولكنهم حَرّفوا كتبهم، ونحن والحمد لله كتابنا محفوظ، وسنة نبينا محفوظة أيضًا.

ويتعجب البعض من أن عيسى عليه السلام قد رُفِع، ولم يمت، ويقولون: كيف والقرآن يقول: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ويغفلون عن صحيح القرآن: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ**﴾ [النساء: ١٥٧]، والوفاة استيفاء الشيء، ويكون بنزوله مرة أخرى، ولعل سبب التعجب أنهم ينظرون إلى الأمور العادية في حياتهم، ولم يفكروا فيما أحيط به عليه السلام، من أول الأمر في حَمْله،

وولادته، وكلامِه في المَهد، ثم كيف يفكرون؟ وأين قدرة الله التي لا يُعجزها شيء؟!

الثانية: هل عيسى بن مريم عليه السلام سينزل نبيًّا بشريعة؛ أم يحكم بشريعة محمد ﷺ؟ من المعلوم أن رسول الله ﷺ، هو خاتم الأنبياء والمرسلين؛ لذا لا شريعة بعد شريعته؛ وإنما عيسى عليه السلام ينزل مطبقا لشريعة رسول الله محمد ﷺ، وتؤكد ذلك رواية الإمام مسلم، برقم: (٢٤٩): (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم؟ وإمامكم منكم).

الثالثة: هل في شريعتنا قتل الخنزير وكسر الصليب؟ والإجابة في اختصار شديد، طالَما أُقِرُّوا في أرض المسلمين، مع دفع الجزية فلا يكسر لهم صليب، ولا يقتل خنزير حسب المعاهدات والاتفاقات.

الرابعة: لماذا عيسى بن مريم سيفعل ذلك؟ أقول:

> لأنه لن يقبل الجزية، وليس هذا هو الأساس، إنما الأساس أنه الذي يدَّعون أنه صُلِب، وأنه الذي أجاز لهم أكل الخنزير، فوجوده إبطال لهذه الدعوى الكاذبة؛ لذا لا يقبل شيئًا من هذا الباطل.

الخامسة: ولعل السؤال المهم: أين نحن الآن من ذلك؟ أقول: فقه السياسة الشرعية وإدارة الدولة يكون حسب حالها، والفقه السياسي الآن، أن المواطَنة حلَّت محل عقد الذمة، **راجع: "أحكام**

الذميين والمستأمنين في الإسلام" للأستاذ الدكتور/ عبد الكريم زيدان ;.

ولا أسترسل أكثر من هذا.

ولعل سائلًا يقول: ما مناسبة ذلك لكتاب المَظالم في البخاري؟ أقول:-والله أعلم- لَمَّا كان وجود الصليب والخنزير من المحرمات، كان لابد من إزالتها، وهذا يستلزم عدم أخذ الجزية التي فرضها الإسلام على أهل الكتاب، رجاء إيقاظ الإسلام في قلوبهم، وترك ذلك لهم؛ لادعائهم الكاذب أن عيسى عليه السلام أباح لهم ذلك. فإن قيل: كيف وهو عندنا محرم؟ قلت: نعم، عندنا مُحرّم؛ لذا لا يحل لمسلم بيع الخمر، أو الخنزير أو صناعة الصليب أو غيره، والإسلام أقرَّ وجودهم مع أنهم يعتقدون أن عيسى إله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة، وهو أشد، ولو كل مُحرّم أُزيل أهلُه لم يبقَ في الأرض إلا المسلمون، وحكمة الله لم تشأ ذلك، ليبقى قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ**﴾؛ لذا لا تنتهي الدنيا حتى يُحَقّ الحقُّ بنزول عيسى، فلا يَقبل الجِزية، ويكسِر الصليب، ويقتل الخنزير، والله أعلم.

وحديث عيسى ابن مريم وَرَد متواترًا عن أبي هريرة، وجابر، والنواس بن سمعان، وعبد الله بن عمرو، وحذيفة بن أسيد، وثوبان، ومجمع بن جارية الأنصاري، وأبي أمامة الباهلي، وعبد الله بن مسعود، وعثمان بن أبي العاص، وسمرة بن جندب، وعبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وواثلة بن الأسقع، وعبد الله بن سلام، وابن عباس، وعمران بن حصين، وعائشة،

وسفينة، وحذيفة بن اليمان، وعبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن مغفل، وأوس بن أوس الثقفي، رضوان الله عليهم أجمعين.

وفي الصحيحين: (حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها).

قال الإمام ابن حجر: "فإنهُ يُشير بذلك إلى صلاح الناس، وشدة إيمانهم وإقبالهم على الخير، فهُم لذلك يُؤثِرُون الركعة الواحدة على جميع الدنيا. والسجدة تُطلق ويُراد بها الركعة".

وعند مسلم من رواية عطاء: "وَلَتَذْهَبَنّ الشّحْنَاءُ وَالتّبَاغُضُ وَالحسدُ".

والأحاديث التي في الصحيحين، فيها ذكر الدّجّال، وخروج يأجوج ومأجوج، وتَحَصُّن عيسى ابن مريم عليه السلام بمن معه من المؤمنين بجبل الطُّور، وهلاك يأجوج ومأجوج، وغير ذلك من أحداث، تُراجَع في الكتاب الذي ذكرته منذ قليل.

ما يستفاد من الحديث

١- أن قدرة الله مطلقة.
٢- الله خالق كل شيء.
٣- لا يُعجز الله شيء في السماوات والأرض.
٤- سبحانه يقول للشيء كن فيكون.
٥- خلق الله عيسى بلا أب.
٦- أن عيسى عليه السلام تكلّم في المهد، وقال: إني عبد الله.
٧- أنه ﷺ رفعه الله إليه، ولم يُصلب، ولم يُقتل.

٨- أنه ﷺ ينزل في آخر الزمان، ليكون حُجّة على أكبر كَذِبَة، وهي ادعاء أنه ابن الله، أو أنه الله، أو ثالث ثلاثة!

٩- نزول عيسى بن مريم ثابت بالأحاديث المتواترة.

١٠- أن دلالة الأحاديث على نزوله قاطعة.

١١- أنه ﷺ لن يقبل الجزية؛ لأنه لا يقبل غير الإسلام.

١٢- أنه ﷺ ينزل على أنه من أمة محمد ﷺ.

١٣- يصلي خلف إمام الأُمّة.

١٤- عيسى ابن مريم عليه السلام لن يقبل الجزية، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير.

١٥- أن الشريعة الإسلامية أجازت بقاء ذلك فيهم تحديًا لهم.

١٦- أن بقاء الأمم حولَنا لسُنّة التّدافع.

١٧- بقاء أمم أخرى لعدم فساد الأرض.

———

الحديث الثامن والثلاثون
قول العبد لِرَبِّه ألَمْ تُجِرْنِي مِن الظُّلم؟!

عن أَنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كُنَّا عِنْدَ رَسول اللهِ ﷺ، فَضَحِكَ، فَقالَ: (هلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: مِن مُخَاطَبَةِ العَبْدِ رَبَّهُ يقولُ: **يا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟** قالَ: يقولُ: بَلَى. قالَ: فيَقولُ: فإنِّي لا أُجِيزُ علَى نَفْسِي إلا شَاهِدًا مِنِّي، قالَ: فيَقولُ: كَفَى بنَفْسِكَ اليومَ عَلَيْكَ شَهيدًا، وَبِالْكِرَام الكَاتِبِينَ شُهُودًا، قالَ: فيُخْتَمُ علَى فِيهِ، فيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قالَ: فَتَنْطِقُ بأَعْمَالِهِ، قالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بيْنَهُ وبيْنَ الكَلامِ، قالَ: فيَقولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ).

تخريج الحديث

أخرجه مسلم: "كتاب الزهد والرقائق": ٩/ ٢٠٠، برقم: (٧٣٢٣).

المفردات

الضّحِك: أمرٌ يعتري الإنسان بشيءٍ من سُرور أو تعجب، وكان جُلُّ ضحك الرسول ﷺ التّبسم.

تُجِرْنِي: أي تُعافيني.

الكِرامُ الكَتَبَة: الملائكة الذين يكتبون أفعال العباد.

يُخْتَم على فِيه: أي لا يقدر على الكلام.

أُناضِل: أدافع.

شرح الحديث

هنا حديث يكشف عن حال أناس جَهلوا قَدْرَ الله، وعِلم الله، وإحاطَة الله بكل شيء، قوم ظنُّوا أن الحوار مع الله كحوار الدنيا، وأن مُجادَلات الدنيا الكاذبة وعقولهم الخادِعة تنفعهم يوم الحساب؛ بل إن هذه المنطقية الجدلية الفاسدة شديدة العُمق فيهم، بحيث إن أحداثًا كثيرة لم تغيّرْها.

أتساءل مع نفسي كيف بعد أن ذاق الموت، ورأى ملائكة الموت، ورأى كثيرًا مما كان في عالَم الغيب في حياته الدنيوية، وكان الحشرُ وأهوالُه، والساعةُ وأحداثُها، ورأى.. ورأى كثيرًا؟!

كيف بهذا كله لا يُذَكِّرُه بقدرة الله؟!

فإذا بأسلوب الشيطان الكاذب، يجد له طريقًا في نفوس أتباعه، هذا الشيطان الذي أنشأ قانونًا باطلًا ليُبرّرَ لنفسه معصية الله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّار وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، من أين لك يا إبليس أن النّار أفضل من الطين؟!

هذا تراه في هذا العبد، أسلوب جَدَلِيٌّ فاسد وباطل، يكلم ربه مُتسائلًا: ألم تُجِرْنِي من الظُّلم؟ والله ليس بظلّام للعبيد. والإجابة معلومة لا تحتاج إلى بيان. حينها يُختم على فَمِه وتُؤمَر الجوارح. بالنُّطق.

هذا الجهل المطبق بعدم معرفة قدرة الله، هذا الجدل الفاسد باستخدام غوغائية الكَلِم ألم تُجرني من الظلم؟ الإجابة بلى، فحينها يطلب شُهودًا فقط من نفسه.

ألم يقرأ قرآنا؟!...ألم يستمع إلى قرآن؟!

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّار فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ **[فصلت: ١٩- ٢٣]**.

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ **[غافر: ١٧]**.

في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾ أي: تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم: ما كنتم تَتَكَتَّمون مِنّا الذي كنتم تفعلونه، بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصى ولا تبالون، إنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم؛ ولهذا قال: ﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾، أي هذا الظَّنُّ الفاسد وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون، هو الذي أهلككم وأرداكم عند ربكم: ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

إن هذه الآيات وغيرها تكشف لنا عن مَدَى الجهل المُطبِق، الذي يصل بهؤلاء إلى عدم الاعتراف بِجُرمهم، إن بعض الكفّار يعترفون بذنوبهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ [الملك:١١]، والآيات كثيرة؛ ولكن هؤلاء يجادلون. فعجبًا لهذه النّفسيات.

ما يستفاد من الحديث

١- كلام الله إلى خلقه يوم القيامة.
٢- إثبات ضَحِك الرسول ﷺ.
٣- من أسباب الضّحك التّعَجُّب للأمور العجيبة.
٤- أن من عِباد الله من لا يتأثر تهذيبًا بأحداث القبر وأحوال يوم القيامة.
٥- فساد الجِدال في غير حق.
٦- مدى عمق الفساد في بعض النفوس.
٧- مدى جهل الخَلق باطّلاع الله على أعمالهم.
٨- إثبات شهادة الملائكة.
٩- أن هناك شهودًا كثيرين على أعمال العباد.
١٠- مِن هؤلاء الشهود، الجوارح والأعضاء.
١١- لَوْم الإنسان أعضاءه حين تشهد عليه.
١٢- أن الله هو الذي أنطق الجوارح بالشهادة.
١٣- دعاء الإنسان على نفسه بالهلاك في هذا اليوم العظيم.
١٤- العملية التعليمية في هذا الحديث الشريف.

الحديث التاسع والثلاثون

باب: لو عمل عنده عُمَّالٌ وأعطى كُلَّ ذي حَقٍّ حَقَّه، وتَفَضَّلَ على بعضهم بالزيادة هل يُسمى ظالمًا؟

حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: (إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ العَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ، فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ، فَعَمِلُوا إِلَى صَلاَةِ العَصْرِ، ثُمَّ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِينَا القُرْآنَ، فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأُعْطِينَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَقَالَ: أَهْلُ الكِتَابَيْنِ: أَيْ رَبَّنَا، أَعْطَيْتَ هَؤُلاَءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟** قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ).

تخريج الحديث

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: "كتاب مواقيت الصلاة، باب مَن أدرك ركعة من العصر قبل المغرب"، الفتح: ٢/ ٤٦، برقم: (٥٥٧)، وتكرر عنده في الأرقام:

(٢٢٦٨، ٢٢٦٩، ٣٤٥٩، ٥٠٢١، ٧٤٦٧، ٧٥٣٣)، وهذا يدل على مَدَى الإفادة منه.

شرح الحديث

في الحديث بيان أن الأمة المحمدية بقاؤها بالنسبة لما سبق من الأمم قليل، ولكن السؤال، كم كانت أعمار الأمم السابقة؟ هذا لا يعلمه إلا الله، والحديث عن حضارة عدة آلاف من السنين، هو اختزال لواقع البشرية فيما مضى، وضِيق أفق، كذلك في الحديث: بيان أن اليهود والنصارى عَجزوا عن حَمل الأمانة، وأن الله أعطى الأمم السابقة حَقّها؛ ولكنه تفضل على الأمّة المُحَمّدية بمضاعفة الأجر والثواب.

فسألت الأمم السابقة ربها عن ذلك، فقال لهم جَلّ في عُلاه: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا، وهذا هو موضع الشاهد في هذا الحديث، وبَيّن سبحانه وتعالى أن هذه الزيادة، فضل منه يؤتيه من يشاء.

ويعلل العلماء ذلك بأمور:

١- أن هذه الأمة أعمارها قصيرة.

٢- أن نبيها محمدًا ﷺ أرحم خَلْق الله.

٣- لم يطلب نَبِيُّها مُعجزةً مادِّية فيها تحدٍّ، وكل ما تم من ذلك فضلٌ من الله عليه، وما حدث مثل انشقاق القمر، أو نبع الماء بين أصابعه، أو غير ذلك فهو فضلٌ من الله على حبيبه محمد ﷺ.

٤- أنها أمة على مدى عُمُرها ليس لها إلا رسول واحد، ومهما تعاقبت الأيام فهو الرسول الوحيد لهم على مدى العصور، ويؤمنون بالكتاب الذي أنزل عليه، على عكس بعض الأمم كانت كُلَّما هلك نبيٌّ بَعث الله نبيًا آخر.

٥- أمة فيها رِقَّة قلب.

٦- كل نبي لَه دعوة مستجابة قد دعاها، إلا رسول هذه الأمة ادّخَرَها لأمته إلى يوم القيامة.

وقبل كل شيء وبعد كل شيء هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، وكذلك نرى فضيلة ليلة القدر لهذه الأمة، وغيرها من نعم وألطاف الله عليها.

بماذا خص الله سبحانه وتعالى أمة محمد ﷺ؟

١- أنها خير الأمم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٢- الأمة الوسطية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

٣- الأمة الشاهدة: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة :١٤٣].

٤- أول الأمم حسابًا[١٢٤].

٥- أول الأمم دخولًا الجنة[١٢٥].

٦- أكثر الأمم دخولًا الجنة حديث: (أترضون أن تكونوا رُبُع أهل الجنة؟"[١٢٦]، إلى أن بَيّن أنهم ثُلُثَا أهل الجنة.

---

(١٢٤) صحيح البخاري: ٦/ ٣٦٧، رقم: (٣٢٤٥)، "كتاب بدأ الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة".

(١٢٥) مسلم: "كتاب الجُمُعة، باب هداية الله لهذه الأمة ليوم الجمعة"، رقم: (٨٥٥).

(١٢٦) صحيح البخاري: "كتاب الرِقاق، باب الحشر": ١١/ ٣٨٥، رقم: (٦٥٢٨).

٧- صُفوفُها في الصلاة كالملائكة[١٢٧].
٨- جُعلت الأرض لها مسجدًا وطَهورًا[١٢٧].
٩- نُصِر نبيها بالرُّعب مسيرة شهر[١٢٧].
١٠- نبيها مبعوث للناس كافّة[١٢٨].
١١- أُعطي نبيها خواتيم سورة البقرة[١٢٩].
١٢- سبعون ألفا منها يدخلون الجنة بدون حساب[١٣٠].
١٣- يأتون غُرًّا مُحَجّلين من أثر الوُضوء يوم القيامة[١٣١].
١٤- هداية الله لهم ليوم الجمعة[١٣٢].
١٥- أُحِلّت لهم الغنائم[١٣٣].
١٦- أُعطى نبيها الشفاعة العُظمى [١٣٤].
١٧- من رحمة الله بها أنه قبض نبيها قبلها[١٣٥].
١٨- أقل الأمم عَملًا وأكثرهم أجرًا[١٣٦].

---

(١٢٧) مسلم: "كتاب المساجد"، رقم: (٥٢٢).

(١٢٨) البخاري: ١/ ٥١٩، برقم: (٣٣٥)، "كتاب التيمم"، ولا يوجد اسم للباب، ومسلم في كتاب: "المساجد ومواضع الصلاة"، الجزء الثالث: (ص٤).

(١٢٩) مسلم: "كتاب صلاة المسافرين وقصرها"، ٣/ ٢١٨، "باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة".

(١٣٠) البخاري، ص: (٣٦٧) "كتاب بدأ الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة"، رقم: (٣٢٤٧).

(١٣١) مسلم: "كتاب الطهارة"، ج: (٢)، ص: (٩٠)، "باب استحباب إطالة الغُرّة في الوُضوء".

(١٣٢) البخاري: ٢/ ٤١٢، "باب فرض الجمعة"، برقم: (٨٧٦).

(١٣٣) البخاري: ٦/ ٢٥٣، برقم: (٣١٢٢)، "كتاب فرض الخُمْس، باب قول النبي أحِلَّت لكم الغنائم".

(١٣٤) البخاري: ١١/ ٤٢٥، "كتاب الرِّقاق، باب صفة الجنة والنار"، حديث: (٦٥٦٥).

(١٣٥) مسلم: "كتاب الفضائل، باب إذا أراد الله تعالى رحمة أمّة قَبض نبيها قبلها".

(١٣٦) موضع الحديث الذي يُشرح.

١٩- تَجاوُز الله لها عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه(١٣٧).

٢٠- تَجاوُز الله لها عمّا تُوَسْوِس به صدورها، ما لم تعمل به أو تتكلم(١٣٨).

٢١- أول الأمم سَيْرًا على الصِّراط(١٣٩).

٢٢- تَمَيُّزُها بالسلام والتأمين(١٤٠).

٢٣- حَفِظَها الله من الهلاك العام، وألَّا يُسلِّط عليها الهَلَكَة من عَدُوِّهِم(١٤١).

٢٤- كثرة الشهداء فيها(١٤٢).

٢٥- فُضِّلوا بصلاة العشاء (١٤٣).

٢٦- هذه الأمّة كالغيث: (مثل أمتي كالغيث)(١٤٤).

٢٧- مَرَضُ الطَّاعون لهم شهادة(١٤٥).

٢٨- لا تجتمع على ضَلالة(١٤٦).

---

(١٣٧) الحديث: (٣٩)، في الأربعين النووية، عن ابن عباس، وهو حديث حسن، رواه ابن ماجه والبيهقي.

(١٣٨) أخرجه البخاري: "كتاب الأيْمان والنُّذور، باب إذا حَدَّث ناسيا في الأيمان"، رقم: (٦٣١٥).

(١٣٩) مسلم في صحيحه: "كتاب المساجد ومواضيع الصلاة، باب وقت العشاء وتأخيرها": ٣/ ٩٠.

(١٤٠) ابن ماجه، وإسناده صحيح: (٨٥٦).

(١٤١) أخرجه مسلم: (٢٨٨٩).

(١٤٢) مسلم: "كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء": (١٩١٥).

(١٤٣) مسلم في صحيحه: "بَابُ وَقْتِ الْعِشَاءِ وَتَأْخِيرِهَا".

(١٤٤) حديث حسن رواه الترمذي.

(١٤٥) البخاري: "كتاب الطب": ١٠/ ٢٠٢، برقم: (٥٧٣٤).

(١٤٦) الحاكم في المستدرك: ١/ ١١٦.

٢٩- نزول عيسى ابن مريم فيها، ويصلي خلف إمامها.
٣٠- أمتي مرحومة، ليس عليها عذاب في الآخرة، عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل (١٤٧).

ما يستفاد من الحديث

١- فضل أمة محمد ﷺ.
٢- إذا زاد لأحد الأجيرين دون نُقصان حق الآخر لا يُعد ظُلما.
٣- أن عمر هذه الأمة المحمدية قصير، إلى جوار أعمار الأمم السابقة.
٤- نعني بالأمم السابقة من أول آدم عليه السلام.
٥- إيراد الحديث عن اليهود والنصارى؛ ذلك لأنهم الذين يعيشون حَوْلَنا، وأنهم الأمم التي أُوتِيَتْ كُتُبًا من قبل.
٦- استخدام أسلوب التشبيه للتقريب.
٧- أن الله لا يظلم أحدًا.
٨- الله يعطي فضله لمن يشاء.
٩- مشيئة الله لا يردها أحد.
١٠- الأمة المحمدية أمة مرحومة.
١١- عَجْز الأمم السابقة عن القيام بواجبها.
١٢- أن الأمة المحمدية باقية إلى قيام الساعة.
١٣- كلام الله مع خلقه.
١٤- إدراك ركعة من العصر قبل المغرب، يعد إدراكًا للصلاة.
١٥- الحديث عن عمر البشرية سبعة آلاف أو ثمانية آلاف، حديث في الغيب بغير علم.

---

(١٤٧) أبو داوود في: "الفتن": (٤٢٧٨).

الحديث الأربعون

باب: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي

عن النبي ﷺ فِيمَا رَوَى عن اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قال: (يا عِبَادِي إني حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فلا تَظَالَمُوا، يا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلا من هَدَيْتُهُ فاستهدوني أَهْدِكُمْ، يا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلا من أَطْعَمْتُهُ فاستطعموني أُطْعِمْكُمْ، يا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إلا من كَسَوْتُهُ فاستكسوني أَكْسُكُمْ، يا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وأنا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جميعا فاستغفروني أَغْفِرْ لَكُمْ، يا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا على أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، ما زَادَ ذلك في مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا على أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، ما نَقَصَ ذلك من مُلْكِي شيئا، يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ما نَقَصَ ذلك مِمَّا عِنْدِي، إلا كما يُنْقِصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يا عِبَادِي إنما هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ). (إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي، فَلا تَظَالَمُوا).

تخريج الحديث

خرجه الإمام مسلم في: "كتاب البِرّ والصِّلة والأدب، باب تحريم الظلم: ٨/ ٢٢٨، رقم: (٦٤٥٦)، من رواية أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان أبو إدريس الخولاني إذا حدّثَ بهذا الحديث جَثا على ركبتيه.

معاني المفردات

حَرّمت الظلم: أي لا يقع مِنِّى ذلك؛ بل تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ضَالٌّ: غافل عن الشريعة السّمْحَة، التي فيها الخير كل الخير له.

من هَدَيْتُه: أُرْشِدُه إلى طريق الحق.

استهدوني: اطلبوا مِنِّى الهداية.

صَعِيد واحد: أرض واحدة.

المِخْيَط: الإبرة.

أحصيها عليكم: بِعِلْمِي وملائكتي.

أَوَفِّيكُم إياها: إما ثوابًا أو عفوًا أو مساءلةً أو عقابًا.

حَمْدُ الله: هو الثّناء والشكر والتعظيم لله ﷻ لذاته وصفاته ولأفضاله ونِعَمِه، والحمد لله من الكلمات النافعة للعبد ولها أجر عظيم.

لوم النفس: هو الشعور بالذنب والتقصير نتيجة لما ارتكبت، ويوم القيامة شديد حيث لا مجال لعمل يصلح به حاله، وليس إلا رحمة الله.

الشرح الإجمالي

هذا حديث قدسي(١٤٨) جليل الشأن، يحتوي على إفادات كثيرة هو جامع لها، وكلماته سهلة يسيرٌ على الناس فهمها. ولكن المعاني التي اشتملت عليها عظيمة تحتوي على تحريم الله الظلم على نفسه، وهو موضع الشَّاهد هنا. وقد ورد هذا المعنى الجليل في القرآن الكريم كثيرًا:

---

(١٤٨) الحديث القدسي هو الحديث الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه ﷻ؛ غير القرآن الكريم، سواء من ربه مباشرة، أو عن جبريل عليه السلام، عن رب العزة والجلال.

ولا خلاف في أن المعنى من الله؛ ولكن اختُلف هل اللفظ من الله أم من جبريل؟ والراجح أن معناه. وحي من الله واللَّفظ إنشاء من رسول الله ﷺ، والفرق بينه وبين القرآن:

١- القرآن لفظ ومعنى من الله؛ أما الحديث القدسي فالمعنى من الله.

٢- القرآن معجزٌ بلفظه، محفوظ من التبديل والتغيير، ومتحدّى بأقصر سورة منه إلى يوم القيامة؛ أما الحديث القدسي فليس كذلك.

٣- القرآن يتعين قراءته في الصلاة؛ أما الحديث القدسي فليس كذلك؛ بل لو قرأه أحد مكان القرآن بطلت صلاته.

٤- القرآن له ثواب مضاعف، الحرف بعشر حسنات، وليس الحديث القدسي كذلك.

٥- القرآن نُقل إلينا بهيئته وترتيبه وجميع حروفه بالتواتر؛ بل أعلى التواتر وليس الحديث القدسي كذلك؛ بل لابد من دراسة سنده للحكم عليه.

٦- والحديث القدسي يُروى بأن يقول الراوي: قال النبي فيما يرويه عن ربه، أو يقول الرسول قال الله تعالى، أو قال ربكم، أو يكون حوارا بين الله وخلقه، أو حكاية كلام الله مع الملائكة، أو ما أوحى الله به لبعض أنبيائه، أو عن الأمم السابقة.

والحديث القدسي فيه الصحيح والحسن أو المقبول والمردود، وذلك بدراسة السند والمتن وهو في هذا مثل الحديث النبوي.

من ذلك: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَام لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّار هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيح فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْم ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١١٦- ١١٧]، ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَن اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاس مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوح وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُون اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ٣٣]، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨]، ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ

حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩]، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦].

واحتوى الحديث على مسائل مُهمّة جدًا متعلقة بافتقار العباد إلى الله في جميع أمور حياتهم ومعادهم، وأن الذنب والنقص لاحق بالإنسان، والله يفتح باب المغفرة، وأن الإنسان صالحه لا ينفع الله، وسيئه لا يضره؛ لأن الله ﷻ مُنَزّهٌ عن ذلك.

وإنما مآل ذلك إلى الإنسان نفسه، وعليه أن يراجع نفسه، فما وجد من خير فليحمد الله عليه، وما وجد من سوء فعليه سرعة الاستغفار، قبل يوم الندامة والحسرة.

ولنا أن نتساءل كيف يظلم من يملك كلّ شيء؟!

كيف يظلم من أوجد كلّ شيء؟!

كيف يظلم القَيُّوم على كل شيء؟!

كيف يظلم الغَنِيُّ عن كل شيء؟!

وكيف يظلم من يفتقر إليه كلُّ شيء؟!

وكما يقول العز بن عبد السلام في مقدمة هذا الكتاب:

١- "وكذلك أمرهم بتحصيل مصالح إجابته وطاعته، ودرء مفاسد معصيته ومخالفته، إحسانًا إليهم وإنعامًا عليهم، لأنه غَنِيٌّ

عن طاعتهم وعبادتهم، فعرفهم ما فيه رشدهم ومصالحهم ليفعلوه، وما فيه غَيُّهم ومفاسدهم ليجتنبوه، وأخبرهم أن الشيطان عدو ليعادوه ويخالفوه، فرتّب مصالح الدارين على طاعته واجتناب معصيته، فأنزل الكتب بالأمر والزّجر والوعد والوعيد، ولو شاء لأصلحهم بدون ذلك، ولكنه يقبل ما يشاء ويحكم ما يريد: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾" [فصلت: ٤٦].

٢- "فسبحان من لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، وإنما نفع الطاعات لأربابها وضُرُّ المخالفات لأصحابها".

٣- ثم قال: "الشريعة إذن ليست أحكاما وتوجيهات خالية من المعنى ومطلوبة لذاتها، ولكنها أحكام لها غاية محددة هي جلب المصالح للناس ودفع الفساد عنهم". يتابع العِزُّ فيقول: "الشريعة كلها مشتملة على جلب المصالح كلها، دِقّها وجِلّها، وعلى درء المفاسد بأسْرها، دِقّها وجِلّها. فلا تجد حكما لله إلا وهو جالب لمصلحة عاجلة أو آجلة، أو درء مفسدة عاجلة أو آجلة".

وبلغني عن بعض الزنادقة الذين أعمى الله قلوبهم أنّه قال: في الشريعة عدل وجَور! ومثّل الجَور بإيجاب الدِّية على العاقلة!

كيف يكون هذا جَوْرًا؟! والأموال كلّها لله، والعباد كلّهم مُلْكُه وطَوْع يديه. وقد دفع هذا المالك الأعظم، والسيّد الأعلم بمصالح عباده أموالًا إلى عباده، وشَرَطَ عليهم في أموالهم أن

يصرفوا بعضها في مصالحهم، وأن يصرفوا بعضها إلى فقرائهم، وبعضَها إلى أهل ضروراتهم، وأن يصرفوا بعضها إلى من أخطأ مِن جُناتهم، جبرًا للمَجنى عليه، وإحسانًا إلى الجانى بإرفاقه لأجل خطئه، وصلةً لرحمه، ودفعًا لما يُتوقّع من مفسدة قَتْل الجانى. فمن زعم أنّ السيّد إذا تصرّف في أمواله، بما يُصْلِح عبيدَه بالجهات المذكورة كان جائرًا! فإنّه أعمى البصر والبصيرة، فاسد السريرة، متظاهر بالإسلام، وليس بمسلم: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]، هل للعبد أن يجوِّر سيّده إذا أعطاه ماله بهذه الشروط؟!

فسبحان من جعل تشريعاته لمصالح عباده، فهو الغني الرزاق ذو القوة المتين.

ما يستفاد من الحديث

١- تنزيه الله عن الظلم.
٢- الظلم لا مصلحة فيه مطلقًا.
٣- الله مُنَزّهٌ عن كل عيب أو نقص.
٤- الكمال المطلق لله.
٥- إثبات النّفْس لله.
٦- أن الله يتكلم.
٧- أن الله ينادي عبادَه دون طلب منهم.
٨- دليل أهمية ما تكلم به الله لعباده.
٩- أن الله ذَكرَ تحريمَ الظلم إرشادًا للعباد.
١٠- إن الله لا يحب الظلم والظالمين.

١١- الله في هذا الحديث نادى عباده بيا عبادي عشر مرات.
١٢- هذا النداء تشريف لهم.
١٣- هذا النداء فيه ترقيق لقلوبهم.
١٤- لا تلازم بين ما حَرَّمَه الله على نفسه، وما يحرمه على عباده.
١٥- قد يُحَرِّمُ الله على نفسه ما حرمه على عباده مثل: الظلم.
١٦- قد ينزه الله نفسه ما أباحه لعباده مثل: النوم.
١٧- قد يحرم الله على عباده ما هو حق له مثل: الكبر.
١٨- المُحلِّلُ والمُحرّم هو الله وحده.
١٩- الهدى هدى الله.
٢٠- الله هو الهادي.
٢١- حاجة الإنسان لطلب الهداية.
٢٢- ضعف الإنسان.
٢٣- عدم الاعتماد على النفس.
٢٤- أهمية القلب.
٢٥- التفكير في هذا الحديث بطرد العُجْب من قلب الإنسان.
٢٦- تدبر هذا الحديث يطرد الرّياء والنِّفاق من القلب.
٢٧- الله هو الرزاق ذو القوة المتين.
٢٨- الإطعام والكساء بيد الله.
٢٩- قَدَّم الطعام على الكساء لشدة الحاجة إليه.
٣٠- قَدّم الطَّعام على الكِساء لتكرار الحاجة إليه أكثر.
٣١- ابن آدم خطَّاء.

٣٢- ذنوب العباد مستمرة ليلًا ونهارًا.
٣٣- الله وحده غفّار الذنوب.
٣٤- الله يدعو عباده إلى طلب المغفرة منه.
٣٥- وعد الله المستغفرين الإجابة.
٣٦- الإنسان يَضِلُّ طريق معيشته النّافع له.
٣٧- على الإنسان أن يطلب من الله العون على أمور معيشته.
٣٨- تنزيه الله عن أفعال العباد.
٣٩- الله هو الغنيّ، غنًى مطلقًا.
٤٠- لا أحد يستطيع أن يزيد في ملك الله أو ينقص منه.
٤١- تَقْوَى العباد ستعود عليهم.
٤٢- أن فُجور العباد سيعود عليهم.
٤٣- سعة ملك الله، فلو أجاب كل ما طلبوا ما نقص شيء من ملكه.
٤٤- الكون كله عبد من عبيد الله
٤٥- الله مالك كل شيء.
٤٦- استخدام التشبيه والأمثلة للتعليم والتقريب.
٤٧- كل أفعال العباد يعلمها الله، كبيرَها وصغيرَها علانيتَها وسرها.
٤٨- الله يحصي أفعال العباد.
٤٩- هذا يدعو العبدَ إلى محاسبة نفسه.
٥٠- الخير من الله تفضُّلًا.
٥١- الشَّرُّ من العبد كَسبًا.

٥٢- دوام شكرِ الله من صفات المُوَحِّدين.
٥٣- أن الله يُوفِّي عباده أعمالهم، لا ينقص منها شيء.
٥٤- أن اللَّوم والعتاب يعود على النفس.
٥٥- ومن هذا يُستفاد أن الرؤساء والشيطان وغيرهم، وكل وسائل الغواية، لن تدفع عن الإنسان يوم الحساب شيئًا.
٥٦- أن المحاسَب الإنس والجن.
٥٧- القلوب منها النّقي ومنها الفاجر.
٥٨- في الحديث إثبات أن الإيمان قول وعمل.
٥٩- افتقار العباد لله في كل الأمور الدنيوية والأخروية.
٦٠- يوم الحساب لا ينفع النّدم.

وبلا شك هناك فوائد كثيرة وهذا ما فتح الله به.

———————

ختام الكتاب

لا أجد إلا هذه الآيات البيّنات التي فيها زَجْرٌ ووعيد للظّالمين، وتسرية للمظلومين:

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ * وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ * وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ * وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ * فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٢- ٤٧].

شكر وعرفان

أتوجه بالشكر الجزيل لكل من أشار بالرأي، وراجع ونصح وبيّن وأسهم بأي صورة من الصور في هذا الكتاب، وكذا كل من كتب وأخرج وأسهم في طِباعته.

وأقول للجميع جزاكم الله خيرًا

المؤلف

الفهرس

المقدمة ٣- ١١

الحديث الأول.. باب: حبس المؤمنين بقنطرة بين الجنة والنار.. ١٣- ١٨

(إذا خَلُصَ المؤمنونَ من النار حُبِسوا بقنطرةٍ بين الجنةِ والنار..)

الحديث الثاني.. باب: القصاص من البهائم ١٩-٢٤

(لَتُؤَدَّنَّ الحقوقَ إلى أهلِها يومَ القيامةِ، حتى يُقادَ للشاةِ الجَلْحاءِ..).

الحديث الثالث.. باب: التحذير من الظلم وأنه ظلمات يوم القيامة ٢٥-٣٢

(اتَّقوا الظُّلمَ، فإنَّ الظُّلمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ، واتَّقوا الشُّحَّ..

الحديث الرابع.. باب: تحذير الولاة من الظلم ٣٣-٤٠

(إنك تأتي قومًا أهل كتابٍ فادعُهم إلى شهادةِ أن لا إله إلا اللهُ..).

الحديث الخامس.. باب: من هدم جِدارًا عليه إعادته، والهدم ظلم.. ٤١-٤٦

(كانَ رَجُلٌ في بَنِي إسْرائِيلَ يُقالُ له جُرَيْجٌ يُصَلِّي، فَجاءَتْهُ أُمُّهُ..

الحديث السادس.. باب: من الظلم أن يكون في الطرق ما يؤذي.. ٤٧-٥٠

(بيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بطَريق، وجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ علَى الطَّريق...

الحديث السابع.. باب: الوعيد الشديد لمن يعذب الناس ٥١-٥٦

(إنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ في الدُّنْيا..)

الحديث الثامن.. باب: صِنفان من أمتي من أهل النار منهم من.. ٥٧-٦٢

(صِنْفان مِن أهل النّار لَمْ أرَهُما، قَوْمٌ معهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ...)

الحديث التاسع.. باب: المُفلس ٦٣-٦٨

(أتدرون مَن المُفلِسُ؟ قالوا: المُفلِسُ فينا يا رسولَ اللهِ مَن لا درهمَ..)

الحديث العاشر.. باب: مَطْل الغَنِي ظلم ٦٩-٧٦

(مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ، فإذا أُتْبِعَ أحَدُكُمْ على مَلِيٍّ فَلْيَتْبَعْ)

الحديث الحادي عشر.. باب: عدم العدل بين الأولاد ظلم ٧٧-٨٢

(إني نَحَلتُ ابني غلامًا، وأنا أحبُّ أنْ تشهدَ. فقال: لك ابنٌ..)

الحديث الثانى عشر.. باب: يرفع الإيمان من قلب من أخذ ما ٨٣–٨٨

(نَهَى النبى ﷺ عَن النُّهْبَةِ والمُثْلَةِ)

الحديث الثالث عشر.. باب: مَنْ كانت عليه مظلمة فليسار ع ٨٩–٩٢

(مَن كَانَتْ له مَظْلَمَةٌ لأخِيهِ مِن عِرْضِهِ أَوْ شيءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه..)

الحديث الرابع عشر.. باب: من حق الطريق إعانة المظلوم ٩٣–٩٨

(إيَّاكم والجُلوسَ في الطُّرُقاتِ"، قالوا: يا رسولَ اللهِ، ما لنا من..)

الحديث الخامس عشر.. باب: درجات الظلم ٩٩–١١٢

لَمَّا نَزَلَتْ (الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بظُلْم) [الأنعام: ٨٢]..

الحديث السادس عشر.. باب: من أبغض أنواع الظلم ١١٣–١١٨

(إنَّ أَبْغَضَ الرِّجَال إلى اللَّهِ الألَدُّ الخَصِمُ)

الحديث السابع عشر.. باب: أخذ الحق ولو كان من أحب الناس ١١٩–١٢٢

(كانَ عِنْدَ بَعْض نِسَائِهِ، فأرْسَلَتْ إحْدَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ مع خَادِم..)

الحديث الثامن عشر.. باب: انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا ١٢٣–١٢٨

(انْصُرْ أخاكَ ظالِمًا أوْ مَظْلُومًا فقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللَّهِ..)

الحديث التاسع عشر.. باب: أمر النبى ﷺ بنصر ١٢٩–١٣٤

(بسَبْع، ونَهانا عن سَبْع فَذَكَرَ: عِيادَةَ المَريض، واتِّباعَ الجَنائِز...)

الحديث العشرون.. باب: النهى عن ادعاء الظلم بلا بينة ١٣٥–١٣٦

(ما يَنقِمُ ابنُ جميل إلا أنَّه كان فقيرًا فأغناهُ اللهُ، وأمَّا خالدٌ..)

الحديث الحادي والعشرون.. باب: من الظلم السباب ١٣٧–١٤٠

(الْمُسْتَبَّان مَا قَالا، فَعَلَى الْبَادِئ، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ..)

الحديث الثانى والعشرون.. باب: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ١٤١–١٤٦

(الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ..)

الحديث الثالث والعشرون.. باب: عقوبة من غش الرعية ١٤٧–١٥٢

(مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وهُوَ غَاشٌّ..)

الحديث الرابع والعشرون.. باب: أخذ الله للظالم بعد إمهاله ١٥٣-١٥٨

(إن اللَّه لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ:)

الحديث الخامس والعشرون.. باب: ألا لعنة الله على الظالمين ١٥٩-١٦٤

(سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ..)

الحديث السادس والعشرون.. باب: ظلم الإنسان لنفسه ١٦٥-١٦٦

(عَلِّمنى دُعَاءً أَدعُو بِهِ فِي صَلاتِى، قَالَ: قُلْ: اللَّهمَّ إِنِّى ظَلَمْتُ..)

الحديث السابع والعشرون.. باب: إثم من خاصم في باطل وهو ١٦٧-١٧٠

(أنه سَمِعَ خُصُومَةً بِبَابِ حُجْرَتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: إِنَّمَا أنا بَشَرٌ..)

الحديث الثامن والعشرون.. باب: مَن غيَّر معالم الأرض أو ظلم ١٧١-١٧٤

(مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ..)

الحديث التاسع والعشرون.. باب: دعوها فإنها منتنة ١٧٥-١٨٠

(كُنَّا فِي غَزَاةٍ- قالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً فِي جَيْشٍ- فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ..)

الحديث الثلاثون.. باب: أكل مال اليتامى ظلم ١٨١-١٩٠

(إِنّ الّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ..)

الحديث الحادي والثلاثون.. باب: الظلم في معاملة النساء ١٩١-١٩٦

(لَمّا كَانَتْ لَيْلَتِى الّتِى كَانَ النّبِىُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِي..)

الحديث الثاني والثلاثون.. باب: مَن أخذ أموال الناس يريد إتلافها ١٩٧-٢٠٠

(مَنْ أخذ أَمْوَالَ النَّاس يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ أخذ يُرِيدُ..)

الحديث الثالث والثلاثون.. باب: الفِطرة السّليمة والعلم النّافع ٢٠١-٢٠٦

(وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ..)

الحديث الرابع والثلاثون.. باب: ما سُمِّيَ ظلمًا تجاوزًا ٢٠٧-٢١٠

(كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النبيِّ ﷺ، إِذْ أَقْبَلَ أبو بَكْرٍ..)

الحديث الخامس والثلاثون.. باب: إذا حَلَّلَهُ من مظلمته فلا رجوع ٢١١-٢١٤

(الرجُلُ تكونُ عنده المرأةُ ليس بمُستكثِر منها، يريدُ أن يُفارقَها..)

الحديث السادس والثلاثون.. باب: تفريج الله عن غير الظالمين ٢١٥-٢٢٢

(بَيْنَمَا ثلاثةُ نَفرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ..)

الحديث السابع والثلاثون.. باب: الحق سيقام والظلم سيزال ٢٢٣-٢٢٨
(لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ.)
الحديث الثامن والثلاثون.. قول العبد لربه ألم تجرني من الظلم ٢٢٩-٢٣٢
(كُنَّا عِنْدَ رَسول اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقالَ: هلْ..)
الحديث التاسع والثلاثون.. باب: لو عمل عنده عمال وأعطى ٢٣٣-٢٣٨
(إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ العَصْرِ..)
الحديث الأربعون.. باب: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ٢٣٩-٢٤٨
(يا عِبَادِي إِنِي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا..)
الخاتمة ٢٤٩

تم بحمد اللّٰه تعالى